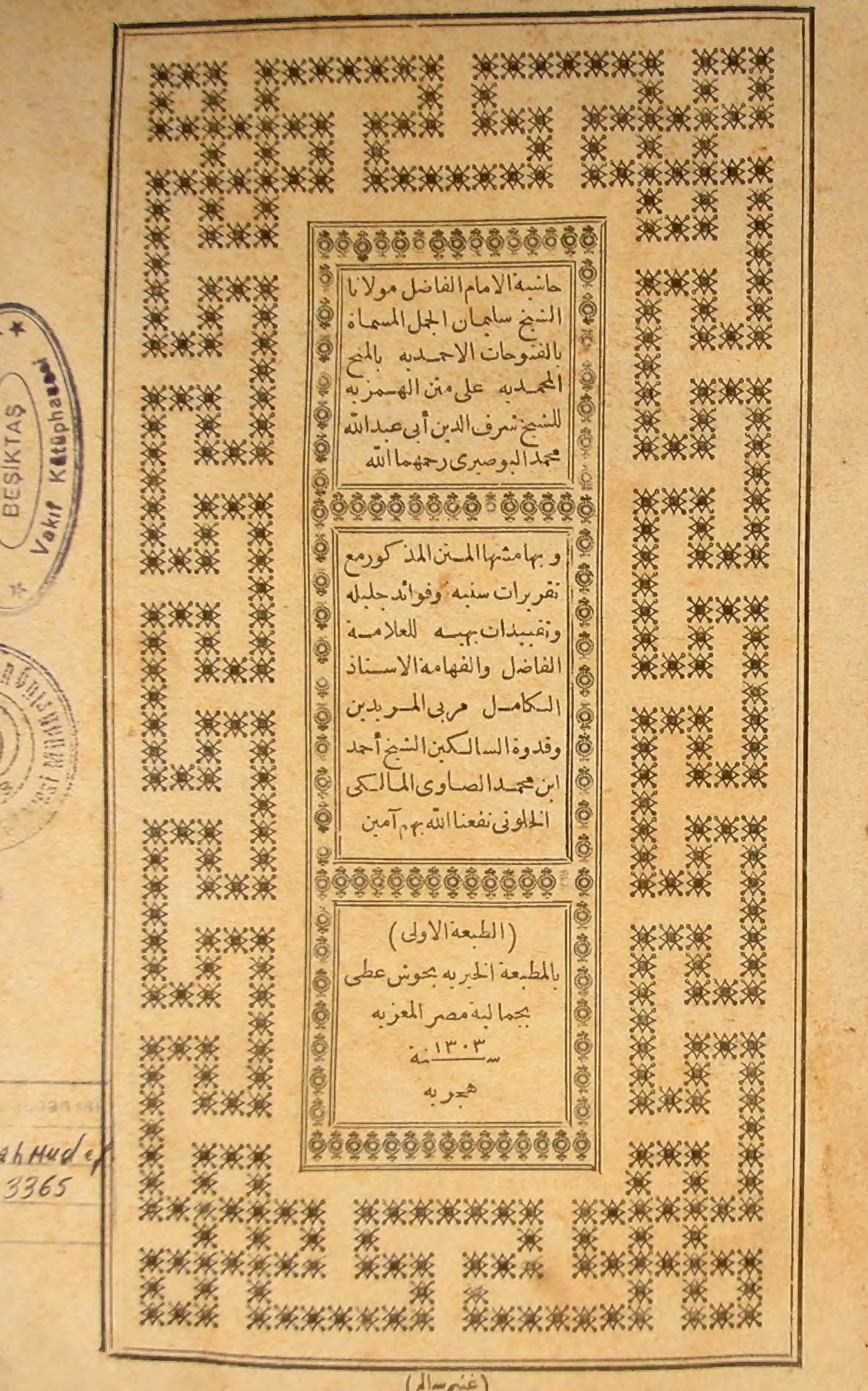


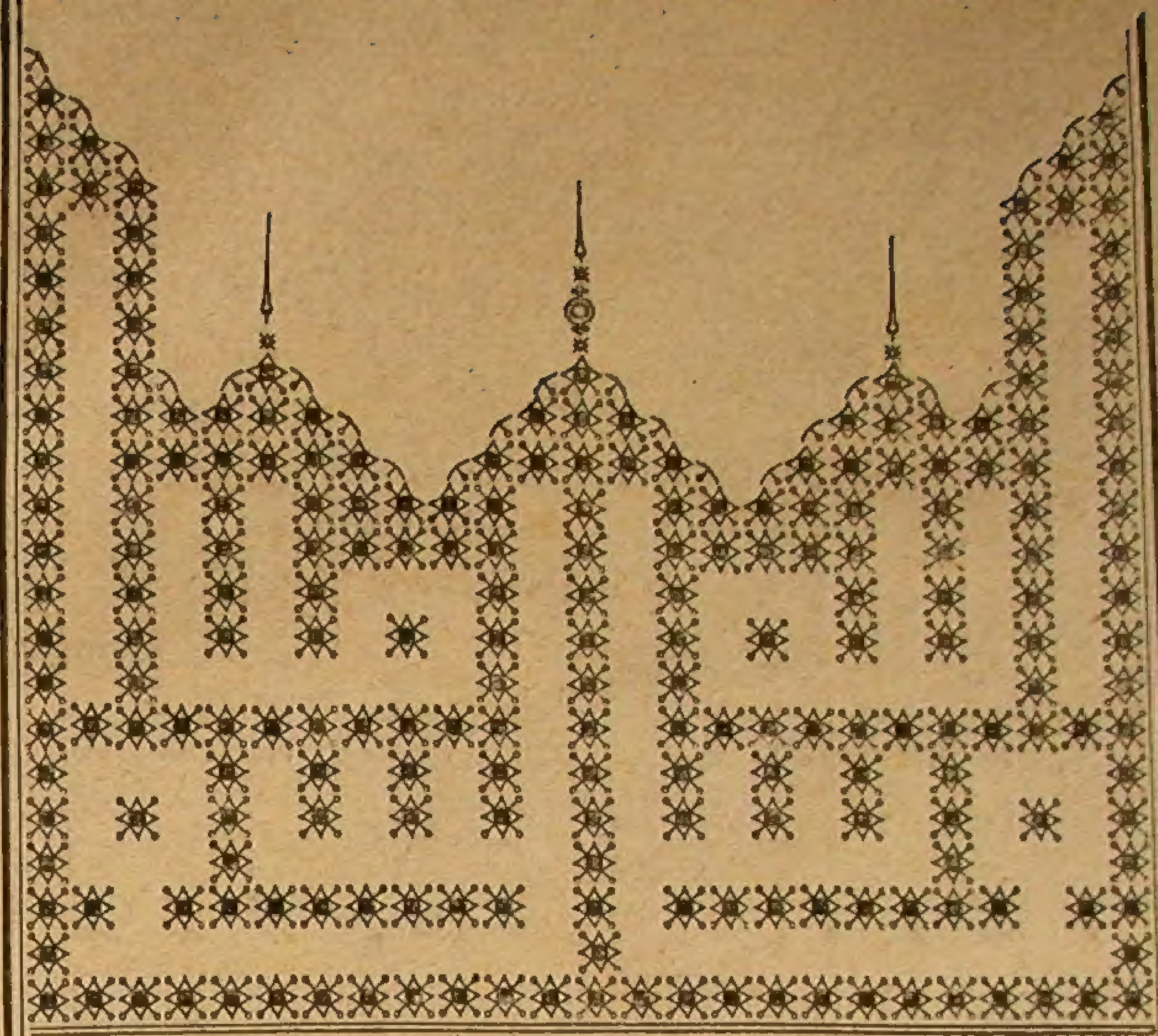
حاشية الامام الفاضل مولانا
الشيخ سليمان الجمل المسماة
بالفتوحات الاحمديه بالمنح
المحمديه على متن الهمزيه
للشيخ شرف الدين أبى عبدالله
محمد البوصيرى رحمهما الله

وبهامشها المتن المذكور مع
تقريرات سنيه وفوائد جليله
وتقييدات بهيه للعلامه
الفاضل والفهامة الاستاذ
الكامل مربى المريدين
وقدوة السالكين الشيخ أحمد
ابن محمد الصاوى المالكى
الخلوتى نفعنا الله بهم آمين

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الخيريه بحوش عطى
بجماليه مصر المعزيه
سنه ١٣٠٣
هجريه

(غنيم سالم)

(شرح قصيدة الهمزية)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين واختصه بشمائل ومعجزات لم تجتمع لغيره من سائر المخلوقين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أنتظم بها فى سلك أهل عنايته وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخواص هباته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زائغ ونحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه وأهل طاعاته • (أما بعد) • فمما يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى وأحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وأن المادحين لجنابه العلى والواصفين لكماله الجلى لم يصلوا الا الى قل من كل لا لاحد لنهايته فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك كيف وآى الكتاب مفصحة عن علاء بما يبهر العقول ومصرحة من صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وانه لو بالغ الاولون والآخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن احصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه قال الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من كثير لكن المتأخرون رأوا أن مدحه عليه الصلاة والسلام من أعظم القرب وان كان الوصول الى الكنه لا يستطاع لاجل التعلق بجنابه الشريف والتبرك بخدمة قدره المنيف فأكثروا من مدحه وتفننوا فيه ومن أبلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع وأحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع

ماصاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء وأشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المعانى النجيبة الاوضاع العديمة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج على منوالها ولا وصل الى على حسنها وكمالها أحد وقد شرحت شروحا كثيرة فقد شرحها الامام الجوجرى بشرحين وشرحها ابن قطيع المالكى والشمس الدلجى والشيخ أبو الفضل المالكى والشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطى والعارف بالله تعالى السيد مصطفى البكرى الصديقى والشيخ الفاضل فريد عصره الامام ابن حجر الهيتمى المكى وشرحه أحسن شروحها وأنفعها لكن رأيت فيه طولا تتقاصر عنه الهمم القاصرة فأحببت أن ألتقط منه بعض عبارات تتعلق بحل المتن وتقربه للكسالى وربما زدت على عباراته بعض عبارات من تقرير شيخنا الحفنى • (وسميتها الفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية) • فأقول وبالله التوفيق قد راعى المصنف رحمه الله تعالى أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة للحديث المشهور واقتداء بالكتاب العزيز فقال (بسم الله الرحمن الرحيم) ولم ينظر الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على أفضل العلوم والمعلومات فهى أحق بالبداءة بالبسملة من كثير من التصانيف وثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال فى النظم أو النثر بأن يكون مبدأ الافتتاح دالا على ما بنى ذلك النظم والنثر عليه من الغرض المسوق اليه وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى على المتأمل لغرضه وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التى ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره فهذا البيت الاول الذى افتتح به أبلغها وما بعده من بقية القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا البيت ووجه الانتزاع المذكور أن براعة الاستهلال مشتملة على جميع ما فى براعة المطلع أى يعتبر فيها ما يعتبر فى براعة المطلع من الامور السبعة المقررة عندهم التى من جملتها صحة السبك ووضوح المعنى وغير ذلك وتزيد براعة الاستهلال على براعة المطلع بكون براعة الاستهلال فيها الاشارة الى المقصود (قوله كيف) هى فى الاصل اسم مبنى لتضمنه معنى حرف الشرط أو الاستفهام على حركة لالتقاء الساكنين وكانت فتحة لخفتها وهى هنا استفهامية والاستفهام غير حقيقى اذ القصد به الانكار والاستبعاد والتعجب فالمراد منه نفى رقيهم كرقيه والتعجب ممن يتشكك فى ذلك وهى فى محل نصب على الحال من فاعل ترقى أى على أى حالة ترقى الانبياء رقيك أى لا يكون ذلك ولا كان وقوله ترقى يقال رقى بكسر القاف يرقى بفتحها فى المحسوسات كالسطح ويقال رقى يرقى بفتح القاف فيهما فى المعانى وهو التنقل من صفات الكمال الى أكمل ومصدر هذين رقى على فعول وفى المصباح رقيته أرقيه من باب رمى رقيا عوذته بالله والاسم الرقيا على فعلى اه والمراد هنا الاولان فالحسى رقيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من بيت المقدس الى السموات السبع الى حيث شاء الله لكنه لم يجاوز العرش على الراجح والمعنوى تنقله صلى الله عليه وسلم من كل صفة كمال الى أكمل منها وهو

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كيف ترقى رقيك الانبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

(قوله لان محله الخ) قال البدر الصاوى فى شرحه لهذا الكتاب وقولهم الشعر لا يجوز ابتداؤه بالبسملة محمول على ما اذا اشتمل على مدح من لا يجوز مدحه أو ذم من لا يجوز ذمه وهو المعنى بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وأما ما هنا فهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وهذه القصيدة سماها المؤلف بام القرى فى مدح خير الورى تشبيها لها بمكة اه كلامه

قوله اسم أى لدخول الجار عليه ولابدال الاسم الصريح منه نحو كيف زيد أصحيح أم سقيم اه صاوى

صلى الله عليه وسلم يترقى دائما وأبدا احيا وميتا كل لحظة الى مراتب يعلمها الله تعالى وكون
المراد بالرقى هنا ما يشمل المعنيين المذكورين من قبيل استعمال المشترك فى معنييه ان قلنا انه
حقيقة فيهما أو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز ان قلنا انه حقيقة فى الحسى مجاز فى
المعنوى عند من أجازه وأما عند المانع له فيكون من عموم المجاز بأن يقال المراد بالرقى
مطلق العلو وكل من المعنيين فرد من أفراده تأمل وقوله الانبياء جمع نبى فعيل بمعنى فاعل
أو مفعول من النبأ يهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر ومخبر عن الله تعالى أو من
النبوة فلا يهمز لانه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم
عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبىء الله بالهمز بل قولوا يا نبى الله أى بلا همز لانه قد يرد بمعنى
الطريد فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه
فلما قوى اسلامهم وتواترت به القراءة نسخ النهى عنه لزوال سببه فان قيل نفى رقى الانبياء
رقيه لا يستلزم نفى رقى الرسل رقيه لتصريحهم بأن الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما
هو نفى رقى كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلنا ممنوع بل هى وافية بل مصرحة به لان قوله
ما طاولتها سماء صريح فى نفى رقى الكل رقيه كما يعلم مما يأتى فى شرحه لان النكرة فى حيز
النفى للعموم وفى أنه أراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل على أن المحقق الكمال بن الهمام نقل
فى مسايرته أن المحققين على ترادف النبى والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وعلى هذا
القول يشترط فى النبى أن يكون مبلغا فان لم يبلغ ما أمر به لم يكن نبيا ولا رسولا والرقى بمعنييه
المذكورين خاص به صلى الله عليه وسلم أما الاول فواضح وكذا الثانى عند من تأمل آى
القرآن والاحاديث الدالة على ترفعه صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين فمن تلك
الاحاديث حديث الترمذى أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر
وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان
ذكر عن ابن مسعود أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء
الحمد فقال طوله ألف سنة وسنانه سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه
من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة فى وسط الدنيا
مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين
والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد انتهى
وما أفاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء للادلة الصريحة
فيه وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل اليهم وأما
الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء لا تفضلونى على الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهى اما
قبل علمه بالتفضيل وأنه أفضلهم واما محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل أو على
تفضيل يؤدى الى تنقيص من مقام أحدهم وعليهما يدل سياق الحديث أو على التفضيل
فى ذات النبوة أو الرسالة فانهم كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون فى
زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وقوله يا سماء يا حرف نداء للبعيد
أو للقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن أن تلحق
أو تسامى والمراد بالسماء محمد صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فهى نكرة مقصودة وما اشتهر
من وجوب بنائها على الضم قيده النحاة بما اذا لم توصف بمفرد أو ظرف أو جملة والا وجب

(قوله ما يشمل المعنيين) أى
الحسى والمعنوى بخلاف الثالث
الذى هو الضمين قال العلامة
الصاوى فالاول عبارة عن
الاسراء به قبل الهجرة بسنة
على يقظة بالجسد والروح
من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى ثم عرج به الى
السموات العلا ثم الى سدرة
المنتهى ثم الى المستوى ثم الى
العرش والرفرف والثانى
تكليم الله له ورؤيته له بعينى
رأسه من غير كيف وسائر
تنقلاته من الصفات الكاملة
والاخلاق العظيمة الى صفات
أخرا كمل منها لم يتصف بها
غيره الخ ما قال اهـ

نصبها وكانت من قبيل الشبيه بالمضاف فقد قالوا فى ضابطه هو ما تعلق به شئ من تمام معناه
والصفة من تمام معنى الموصوف والنكرة هنا قد وصفت بجملة ما طاولتها سماء وقوله
ما طاولتها سماء ما نافية أى غالبتها فى الطول والارتفاع وقد استفيد من الشطر الاول نفى
مساواة أحدهم له ومن الثانى نفى زيادة أحدهم عليه قال فى القاموس طاولنى فطلته أى
كنت أطول منه فالمراد من المفاعلة أصل الفعل بأن يراد بقوله ما طاولتها ما طالت أى
ارتفعت عليها سماء وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانية
لبقية الانبياء لان السماء أعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما أنهم أعلى الخلق ورشح لذلك
بذكر الارتقاء الملائم للمستعار منه (قوله لم يساووك) حال من فاعل ترقى أو مستأنف وقوله
فى علاك اسم مفرد بمعنى الشرف أى لم يساووك فى شرفك ويصح أن يكون جمع عليا
ككبرى تأنيث الاعلى من علا بالفتح يعلو علوا فى المكان وعلى بالكسر يعلى وعلى بالفتح
يعلى علاء فى الشرف فيهما أى فى مراتبك العالية وهذا الشطر الاول من هذا البيت تأكيد
للشطر الاول من البيت قبله اذ مفادهما نفى المساواة ومع كونه ذكره للتأكيد ذكره لنكتة
أخرى وهى التوطئة للشطر الثانى الذى هو بمنزلة التعليل له فاسلكه من ذكر الجملة الاولى
فى شطر البيت الاول والبرهان عليها بما فى الشطر الثانى ثم اعادتها بمعناها فى أول البيت
الثانى والبرهان عليهما بما فى بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته وقوله وقد حال أى حجز
ومنع جملة مستأنفة أو حالية من الفاعل أو المفعول وقوله سنى بالقصر وهو فى الاصل الضوء
الحسى استعير هنا لعلومه صلى الله عليه وسلم التى اختصه الله بها وأمره أن يسأله الزيادة
منها ولما اختصه الله به من جماله الظاهر فى خلقه وفى خلقه فالسنى هنا عبارة عن مجموع
الامور الثلاثة هكذا قال الشارح والاولى ابقاؤه على ظاهره وأن المراد بالسنى الضوء الحسى
وهو صلى الله عليه وسلم كان نورا ايدل لذلك ما ذكره هو أنه لم يكن له ظل يظهر فى شمس ولا قمر
تأمل وقوله منك فيه شبه تجريد أى ان هذا السنى بمعانيه المذكورة ناشئ منك وقوله وسناء
أى شرف ورفعة ومعنى البيت انتفت مساواتهم لك لمانع منعهم عن اللحوق بك هو ما اختص به
من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل أحد الى أدنى كمالهما فضلا عن كماله (قوله انما)
هى للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا
لمن فرق وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويعبر أيضا عنه بأنه اثبات الحكم
للمذكور ونفيه عمن سواه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقى
أو مجازى وقوله مثلوا أى صوروا وقرروا وذكروا أى الواصفون والمتصدون لضبط صفاتك
وشمائلك كعلى وهند بن أبى هالة وهذا المرجع أى تفسير الضمير بالواصفين دل عليه السياق
وان لم يتقدم لهم ذكر ويصح أن يرجع الضمير للانبياء والمعنى عليه انما مثل الانبياء أى
ذكروا لاممهم صفاتك وقرروها لهم الا كما مثل النجوم الماء أو المعنى عليه انما ظهور
صفاتك فيهم كظهور النجم فى الماء فصفاتك الظاهرة والباطنة كانت موجودة فى الانبياء فى
الجملة على سبيل التقريب كما مثل النجوم الماء وعلى هذا فاسناد التمثيل والتصوير للانبياء
مجاز كما فى أنبت الربيع البقل والا فالمعنى الحقيقى عليه انما أظهر الله صفاتك فى الانبياء
السابقين كاظهار صورة النجم فى الماء وقوله صفاتك جمع صفة وهى المعنى القائم بالذات وقوله
للناس من الانس فيختص ببنى آدم وأصله الاناس حذفت همزته تخفيفا أو من نوس اذا

لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنى منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء

(قوله ومعنى البيت) انتفت
الخ قال المحقق الصاوى
الشارح والمعنى انتفت
مساواتهم لك لمانع منعهم من
اللحوق بك وهو ما اختصصت
به من ذلك النور ومن تلك
الرفعة الذين لم يصل أحد
اليهما وفى كلام الناظم جناس
مذيل مطرف بين سنا وسنى
لان الزيادة وقعت فى الذيل
وهو أن يتماثل اللفظان
وينفرد أحدهما بزيادة حرف
وفائدة الجناس الميل والاصغاء
اليه فان مماثلة الالفاظ
تحدث ميلا واصغاء اليها
فلذلك ملأ كتابه بالجناسات
رضى الله عنه اهـ

تحرك فيعم الجن والذى فى القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع ناس أصله
أناس جمع عزيز أدخل عليه أل وقوله كما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى تمثيلا
وتصويرا مثل تمثيل الماء النجوم وقوله الماء أصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو
جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل أبيض وقيل أسود ومعنى
البيت أن الصفات التى ذكرها الواصفون لك وحكوها عنك ليست هى حقيقة صفاتك فى
نفس الامر لان حقيقة صفاتك لم يعلمها الا الخالق كحقيقة ذاتك وهذا كالماء يحكى صورة
النجم ويظهر فيه ويرى والمرئى فيه ليس حقيقة النجم وانما هى صورة تحاكى صورته تقريبا
وقد أشار لهذا المعنى فى بردة المديح بقوله أعيا الورى فهم معناه البيتين (قوله أنت مصباح
كل فضل) ظاهر التركيب تشبيه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه بالمصباح تشبيها بليغا أى
أنت كالمصباح وهو صحيح من حيث انه صلى الله عليه وسلم مستمد من الكمالات كما تستمد
المصابيح من المصباح والمراد بالفضل الكمال والشرف الذى وجد فى غيره وآثر التشبيه
بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ففيه
اشارة بليغة الى أن خلفاءه صلى الله عليه وسلم المقتبسين من نوره باقية بعده عليه السلام
كما أن السراج الحقيقى قد يؤخذ منه سراج غيره ثم ان السراج الاول يذهب ويبقى المصباح
الذى أسرج منه باقيا بعده وينتفع به وان ذهب المصباح الذى أوقد منه فكذلك صلى الله
عليه وسلم فان خلفاءه الذين استمدوا الانوار والمعارف منه بقوا بعده وحصل لهم الانتفاع
الكلى بعد ذهابه صلى الله عليه وسلم الى ربه ويصح أن يكون المشبه بالمصباح نوره المعنوى
ويكون فى الكلام تقدير أى نورك المعنوى كالمصباح ووجه التشبيه أن نوره صلى الله عليه
وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر
ولا ريب أن المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه
وسلم لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافى ذلك أن السراج دون نوره صلى
الله عليه وسلم بل لا نسبة واذا تقرر أن كمالات غيره المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذى
هو الضوء الاعلى فبسبب ذلك ما يصدر الخ بقوله فما تصدر الفاء سببية وما نافية أى ما يبرز فى
الوجود ضوء أى كمال وشرف الا أن يكون ناشئا وصادرا عن ضوئك أى شرفك وكمالك فأنت
المخصوص بأنك الذى يبرز عن ضوئك الذى أكرمك الله به الاضواء كلها من الآيات
والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجودك عن جميع الانبياء لان نور نبوتك
متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضى الله
عنه يا رسول الله أخبرنى عن أول شئ خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل
الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى
ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا
انس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أقسام الحديث فقد علم أن المراد
بضوئه كمالاته وصفاته وبالاضواء كمالات غيره واطلاق الضوء على صفات الكمال المعنوية
استعارة تصريحية بجامع أن كلا من الضوأين المعنوى والحسى يهدى الى المقصود وأيضا
الكمالات الدينية تنور الظاهر والباطن أو بجامع الانتفاع فى كل من المشبه والمشبه به
اذ كل فضيلة كالعلم مما له ضياء واشراق يوصل الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل كما أن

أنت مصباح كل فضل فما تصـ
ـدر الا عن ضوئك الاضواء

(قوله وآثر التشبيه بالسراج الخ) قال العلامة الصاوى وانما شبهه بالمصباح ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما لا يقتبس منهما أنوار بسهولة ولانه تخلفه فروعه فتبقى بعده نظير خلفائه صلى الله عليه وسلم وفى ذلك اشارة الى قوله تعالى وسراجا منيرا فان قلت ان نوره صلى الله عليه وسلم أقوى من كل نور وشرط المشبه به أن يكون أقوى من المشبه وهنا ليس كذلك أجيب بأن نور السراج لما كان محسوسا يدرك بالبصر ونور النبى صلى الله عليه وسلم معنوى يدرك بالبصائر ولا ريب أن المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول فكان المشبه به أقوى بهذا الاعتبار أو يقال انه من التشبيه المقلوب كقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق اهـ

بالضياء

بالضياء يدرك المطلوب ويفصل بين الاشياء (قوله لك ذات العلوم) أى نفس العلوم
والمراد بها المعلومات أى المدلولات والدوال أو يقال المسميات والاسماء والمراد بالاسماء
الالفاظ الدالة على المعانى ولو أفعالا أو حروفا ومعنى كونها له أن الله علمه اياها على لسان الملك
أو بالالقاء فى الروع أى القلب أو بخلق العلم الضرورى أو بسماع الكلام النفسى وقوله من
عالم الغيب حال والعالم بفتح اللام والغيب بمعنى الغائب أى حالة كون العلوم من جملة العالم
الذى غاب عن المشاهدة فالغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل أى الغائب وهو ما لم يشاهد لكن
بالنسبة الينا وأما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول أى المغيب خلافا لمن
زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الآن
العلم به أفخم وأظهر ولان أكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم
الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه اختص به صلى الله عليه وسلم من حيث الاحاطة
والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير
من المغيبات وقوله ومنها أى العلوم المذكورة التى هى بمعنى المعلومات فلا استخدام فى
العبارة خلافا لمن قاله وهو خبر مقدم ولآدم حال والاسماء مبتدأ مؤخر أى ان آدم علم باحدى
الطرق الاربعة المتقدمة أسماء الاشياء أى الالفاظ الدالة عليها ولو أفعالا أو حروفا دون
المسميات أى المعانى المدلولة لتلك الالفاظ فحاصل الفرق بين نبينا وبينه أن نبينا علم الاسماء
والمسميات وآدم علم الاسماء فقط وما درج عليه الناظم هو المتبادر من الآية وهو قول من
أقوال ثلاثة ووراءه قولان آخران أحدهما أنه علم الاسماء والمسميات كنبينا لكن علم
نبينا بهما أتم وأجلى ثانيهما أنه علم المسميات دون الاسماء لان المزية فى العلم انما تحصل بمعرفة
مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة أن أسماءها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا وان
قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أى لان قوله بأسماء هؤلاء وما بعده ظاهر وصريح فى
الاسماء فقط (قوله فى ضمائر الكون) حال وجملة تختار خبر تزل والكون الوجود أى
الموجودات وضمائره مستوراته أى المستورات منه الخفية والمراد بها هنا أصلاب
الآباء وأرحام الامهات وقوله تختار أى تصطفى لك أى لاجلك الامهات جمع أم وهى الوالدة
مباشرة أو بواسطة من قبل الام أو من قبل الاب وقوله والآباء جمع أب وهو الوالد مباشرة
أو بواسطة من قبل الاب أو الام والمعنى كما طابت ذاتك بما أوتيته من الكمال الاعلى كذلك
طاب نسبك فلم يكن فى أمهاتك من لدن حواء الى أمك آمنة ولا فى آبائك من لدن آدم الى أبيك
عبد الله الامين ذو مصطفى مختار وقد كان نوره صلى الله عليه وسلم فى آدم ظاهرا يلمع فى جبهته
ثم انتقل ذلك النور لولده شيث فلما قربت وفاة آدم وصى شيثا أن لا يضع هذا النور الا فى
المطهرات من النساء وكذلك وصى شيث بنيه وهكذا لم تزل تلك الوصية معمولا بها حتى وصل
ذلك النور الى عبد المطلب ثم الى ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح
الجاهلية بكسر السين أى زناهم كما ورد فى الاحاديث كحديث البيهقى فى سننه ما ولدنى من
سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام ويؤخذ من كلامه ما صرحت به الاحاديث
ان آباء النبى وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال فى حقه انه مختار ولا
كريم ولا طاهر بل نجس وهذا صريح فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله
من أهل الجنة لانهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى حديث صححه

لك ذات العلوم من عالم الغيـ
ـب ومنها لآدم الاسماء
لم تزل فى ضمائر الكون تختا
ر لك الامهات والآباء

(قوله وهو خبر مقدم الخ) قال العلامة الصاوى والجار والمجرور خبر مقدم والاسماء مبتدأ ولآدم متعلق بما تعلق به الخبر والتقدير والاسماء واصلة منها لآدم وآدم أصله أأدم أبدلت الهمزة الثانية ألفا لسكونها بعد همزة مفتوحة مأخوذة من الادمة وهى حمرة تميل الى سواد فان قلت كيف هذا وقد ورد أن يوسف عليه السلام كان على الثلث من جماله أجيب بأن السمرة لا تنافى الجمال وهو اسم أعجمى على الصحيح وكان يتكلم بكل لسان والاسماء جمع اسم وهو ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف وفى هذا اشارة الى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أى أسماء المسميات بأن أحضر الله المسميات وأعلمه باسم كل واحد منها اهـ

مامضت فترة من الرسل الا
بشرت قومها بك الانبياء
تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء

غير واحد من الحفاظ أن الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله فى غير الخصوصية والكرامة فان قلت اذا قررتم أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين فى مجرد السلامة من العذاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزيد الايمان زيادة فى شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع أن الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز أنه أبو ابراهيم وذلك لان أهل الكتابين أجمعوا على أنه لم يكن أباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم أبا (قوله مامضت فترة) بفتح الفاء وهى مابين موت الرسول وبعثة الرسول الذى يليه كابين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى قدر مابينهما والمشهور أنه ستمائة سنة وهذه فترة فى حق العرب وغيرهم اذلم يكن فى هذا الزمن رسول أصلا وتزيد العرب على غيرهم بأن الفترة فى حقهم مابين اسمعيل ومحمد وهو ألوف من السنين اذلم يرسل للعرب بعد اسمعيل الا محمد أى مامضى زمن خال من الرسل نسى فيه ذكرك الا جددته الانبياء وقوله بشرت من البشارة وهى الخبر السار بخلاف النذارة فانها الخبر الضار المسئ، وقوله قومها الضمير عائد على الانبياء وان تأخر لفظا لتقدمه رتبة لكونه فاعلا ويصح أن يعود على الفترة أى الا بشرت قوم الفترة أى الاقوام الكائنين فيها ببعثتك وباهر رسالتك وعظمتك الانبياء أى الرسل الذين أتوا بعد تلك الفترة وفى هذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على ألسنة الرسل وأنه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم وأممهم وشاهد ذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله على وابن عباس وطاوس والحسن أنه تعالى أخذ على كل نبى بعثه من لدن آدم أن من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا أن الانبياء كانوا يأخذون الميثاق على أممهم بأنهم ان أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه فان قلت قد علم الله أنه لا يظهر فى زمنهم فما فائدة أخذ ذلك الميثاق وأجيب بأنه تشريف وتعظيم له وأنه لو قدر أنه وجد فى زمنهم لوجب عليهم الايمان به قال السبكى دلت الآية على أنهم لو أدركوا زمنه كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء وأممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله وأرسلت للناس كافة وحكمة أخذ الميثاق على الانبياء اعلامهم وأممهم بأنه المتقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر فى الآخرة بأنهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان بكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه (قوله تتباهى بك العصور) أى تتفاخر بوجودك العصور أى الازمنة الطويلة من لدن آدم الى يوم القيامة ومابعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن أعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم عصر شق بطنك ثم عصر تعبدك بحراء وهكذا فالعصور من لدن آدم الى عصر وفاته يفتخر كل متأخر منها على سابقه اذ المتأخر أفضل مما قبله وكذلك عصور أمته من الصحابة الى آخر الزمان تتباهى وتتفاخر لكن السابق يفتخر على اللاحق لقرب السابق من عهده صلى الله عليه وسلم فكل سابق أفضل من المتأخر عنه وقوله وتسمو أى تعلو وترتفع وقوله بك الباء سببية أى بسبب تلبسها بك وقربها منك

(قوله وشاهد ذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية) قال العلامة الصاوى قال الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله تعالى فى تفسيرها أخذ الله الميثاق على كل نبى بعثه من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا أن الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنهم ان أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه قال ابن السبكى يؤخذ من الآية الشريفة أن الانبياء نوابه فهو نبى الانبياء ولا ينافيه علم الله بأن الانبياء لا يدركون حياته لان المؤاخذة على من تولى حين المعاهدة والتعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع ولا يلزم من الاستحقاق الحصول بالفعل اه

وقوله

وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء

وقوله علياء فاعل تسمو وهو نعت لمحذوف أى مرتبة علياء وقوله بعدها علياء جملة اسمية مستقلة نعت لعلياء الاولى أى لك فى كل عصر من العصور المذكورة رتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها مابعدها وهكذا الى مالانهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكره قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلى هذا غين أنوار لا غين أغيار لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى أن ماقبلها دونها فيستغفر الله تعالى من تلبسه بذلك الدون تواضعا وطلبا للتزايد كماله وقد جعل الناظم تلك المراتب هى التى تسمو وترتفع به ولم يجر على ماهو المتبادر أنه الذى يسمو ويرتفع بها لما هو الحق أنه تعالى خلقه فى عالم الغيب على أكمل كمال يمكن أن يوجد لمخلوق ثم أبرزه فى عالم الشهادة مندرجا فى تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما علمت أنه كامل قبلها (قوله وبدا) أى ظهر للوجود أى لهذا العالم وقوله منك كريم أى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا أحد أنواع التجريد الذى هو من أدق أنواع البديع وهو أعنى التجريد أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو أنواع منها مايكون بمن التجريدية كما هنا ونحو قولهم لى من فلان صديق حميم أى قريب يهتم لامره أى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه أن يستخلص منه فلان آخر مثله ونحو قوله تعالى لهم فيها أى فى جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها فيها تهويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح أن ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه وقوله من كريم أى ان هذا الكريم الذى وجد منه صلى الله عليه وسلم وهو نفسه وجد من كريم آخر أى سالم من نقص الجاهلية والمراد بالكريم الآخر أبوه وأمه عبد الله وآمنة وقوله آباؤه أى آباء ذلك الكريم الثانى كرماء وهذا ظاهر فى اسلام أبويه صلى الله عليه وسلم وقدم مافيه (قوله نسب) التنوين فيه للتعظيم أى نسب عظيم بل لا أظهر ولا أجل منه فى الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذى يجمع متفرقها وقوله تحسب بفتح السين وكسرها أى تظن أنت أيها المخاطب وقوله العلا جمع علياء تأنيث الاعلى كامر وقوله بحلاه بضم أوله وكسره وهو أفصح جمع حلية بكسر أوله وهى مايتزين به وتسمى حليا أيضا أى بسبب حلى ذلك النسب وزينته وقوله قلدتها أى العلا فى محل نصب مفعول تحسب الثانى والاول العلا وقوله نجومها منصوب على نزع الخافض أى بنجومها وقوله الجوزاء اسم لبرج فى السماء كما فى القاموس وعليه فنجومه ماحوله من النجوم التى تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها لكن على الاطلاق الثانى يكون فى التركيب شئ لانه اذا كان المراد بالجوزاء نفس النجوم لا يظهر قوله قلدتها نجومها اذ النجوم نفس الجوزاء الا أن يقال ان الجوزاء اسم لمجموع النجوم والمراد بنجومها كل فرد على حدته فيكون المراد أن المجموع قلد بكل فرد من أفراده علا النسب أى مراتبه العالية وحينئذ لابدع أن ينسب الى الشئ من حيث هو مجموع أنه قلد غيره كلا من تلك الافراد التى اشتمل عليها ومعنى البيت أن من كمال هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب ماتحلى به من الكمالات أن

(قوله وبدا) بدون همز بمعنى برز وظهر وأما بالهمزة فمعناه أنشأ وأوجد وليس مرادا هنا والمراد بالوجود هذا العالم ومنك أى يارسول الله وكريم فاعل بدا أى شخص متصف بكل كمال سالم من كل نقص والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم وفيه تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل له فى تلك الصفة قصدا للمبالغة فقد جرد الناظم منه صلى الله عليه وسلم شخصا آخر مبالغة فى كمال كرمه صلى الله عليه وسلم وبيان أنه بلغ النهاية والغاية وقوله من كريم المراد به أبوه وأمه وقوله آباؤه كرماء صفة لكريم الثانى وفى ذكر آبائه تغليب المذكور على الاناث لشرفهم ومعنى ذلك أنهم متصفون بصفات الكمال سالمون من صفات الجاهلية اه صاوى (قوله نسب) أى هذا نسب عظيم والنسب اسم لمجموع أفراد الاصول وتحسب بكسر السين المهملة وفتحها والمراد بالحسبان الاعتقاد الجازم لا معناه الاصلى وهو الظن لانه لا يليق بالمدح والخطاب للمتأمل اه صاوى

حبذا عقد سودد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء

معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها أى جعلت قلادة لها فأفاد كلامه ان كل واحد من أولئك الآباء الكرام قد ارتفع فى زمنه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان أنه نجم من نجوم الجوزاء وأن ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وأن مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية اه شارح ببعض تصرف وبعبارة أخرى لشيخنا الحفنى نصها قوله تحسب العلا بحلاه الباء سببية كما نص عليه الشارح والحلى جمع حلية وهى ما يتحلى به من الكمالات كما ذكره الشارح أيضا فحينئذ هى بمعنى العلا فيصير التركيب هكذا تحسب العلا بسبب العلا وهذا لا يصح فحينئذ ينبغى أن يراد بالحلى نفس الزينة القائمة بالأشخاص فكأنه قال تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم أن العلا قلدتها الخ فالعلا هى المراتب الشريفة ويكون الشارح ناظرا لبيان الحلى فى الاصل لا للمراد بها هنا ويصح أن يراد بالحلى الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الشارح ظاهرا وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى فى النجوم حيث شبه أفراد ذلك النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم لتلك الافراد والثانية فى الجوزاء حيث شبه مجموع تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب اسم لمجموع أفراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد كل والشهرة الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب والثالثة فى قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب أفراده للمراتب العلية لتتزين تلك المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منه قلدتها بمعنى أعطتها فيكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب أيها المتأمل فيه بسبب الزينة القائمة به أن مراتبه العالية القائمة بافراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها فيكون فى هذا البيت قد جرى على أسلوب ما سبق فى قوله ونسمو بك علياء حيث جعل هناك المرتبة العالية هى التى تعلو به على خلاف المعتاد من أن الشخص يعلو ويرتقى بالرتبة العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هى التى تتزين وتتقلد بالافراد فافراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه قال تحسب العلا تقلدت بافراد النسب لكن على هذا فى الكلام اظهار فى مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها هنا النسب وهو مذكور سابقا فاو ارتكبه للتوصل الى تشبيه بالجوزاء وادعاء أنه هى وانما ارتكب الناظم هذا التركيب الصعب للتوصل الى تشبيه الافراد بالنجوم الى آخر ما تقدم فى الاستعارات وحينئذ ينبغى أن يراد بالحسبان هنا الاعتقاد الجازم لا معناه الاصلى وهو الظن المشتمل على تجويز النقيض لان هذا لا يليق بالمدح الكامل فيكون فى الكلام أربع مجازات ولعل الشارح أشار اليها كلها بقوله كاستعارة نجوم الجوزاء الخ فتكون كلها داخلة تحت الكاف ولا يصح جعل الجوزاء استعارة بالكناية كما ذكره بعضهم لامرين الاول أنه لا يلاقى قول الشارح كاستعارة نجوم الجوزاء فان نجومها اذا كانت مستعارة لافراد النسب المتتابع لا يصح جعلها استعارة بالكناية والثانى أن البيت حينئذ لا يفيد المعنى السابق من أن المراتب هى المتقلدة والمتزينة بالافراد وأن تلك الافراد كالعقد الذى يتزين به تأمل انتهى (قوله حبذا) صيغة مدح كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها

(قوله والحلى جمع حلية الخ) قال المحقق الصاوى والحلى جمع حلية بكسر أولهما ويجوز ضمه فى الجمع وينبغى أن يراد بالحلى الزينة القائمة بالأشخاص والعلا المراتب الشريفة وجملة قلدتها فى محل نصب مفعول ثانى لتحسب ونجومها منصوب بنزع الخافض والجوزاء فاعل قلدت ومفعوله الهاء فى قلدتها وفى كلام الناظم ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى فى النجوم حيث شبه أفراد النسب من حيث ارتفاع كل فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم له والثانية فى الجوزاء حيث شبه مجموع أفراد الاصول المسمى بالنسب بالجوزاء من حيث التناسب بين أفراد كل واستعار لفظ الجوزاء له والجوزاء اسم لبرج فى السماء ونجومها ما حواليها من النجوم التى تسمى نطاق الجوزاء والثالثة فى قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب المعبر عنه بالجوزاء أفراده للمراتب العلية بالتقليد الذى هو الباس القلادة واستعار لفظ التقليد للاعطاء واشتق منه قلدتها بمعنى أعطتها فتكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب أيها المتأمل فى هذا النسب الشريف أن مراتبه العالية

باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب وأصلها حبب بضم الباء الاولى أى صار حبيبا أى محبوبا والاحبب بفتح الباء اذ المعنى عليه أنه صار محبا والغرض أنه محبوب ثم أدغمت الباء الاولى بعد سلب ضمها فى الثانية فصار حب كرد والاصح أن ذا فاعله وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد وقوله عقد هو المخصوص بالمدح وهو مبتدأ مؤخر والجملة قبله خبره وقوله سودد بضم السين أى سيادة وقوله وفخار بفتح الفاء أى افتخار وتمدح بالخصال الجليلة قال بعضهم وقوله عقد سودد من قبيل التشبيه البليغ للجمع فيه بين الطرفين وهذا مبنى على أن العقد مشبه والسودد مشبه به وليس كذلك بل هو من قبيل اضافة الموصوف لصفته أى عقد موصوف بالسيادة والفخار نعم اطلاق العقد على النسب استعارة تصريحية وقوله أنت مبتدأ والعصماء خبره وفيه حال من المبتدا أو الجملة صفة لعقد أو حال منه أى فى ذلك العقد وفى نسخة فيها نظرا الى المعنى لما تقرر أن العقد القلادة وقوله اليتيمة أى التى لا شبيه لها فى جنسها وقوله العصماء من العصمة أى الحفظ والمنع لان من شأن هذه الدرة أن يبالغ فى حفظها ومنعها عن أن تصل اليها يد الاغيار وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أى حبذا نسبك الذى اذا ذكرت وعدت معك آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والافتخار على جميع الجواهر وكنت أنت أعظمها وأنفسها وأعلاها بحيث تكون أنت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول ويفوق الوصف (قوله ومحيا) مقصور كفتى مرفوع بضمة مقدرة على الالف المحذوفة لالتقاء الساكنين معطوف على عقد سودد الذى هو مخصوص بالمدح أى وحبذا أيضا محيا والمحيا معناه الوجه أى وحبذا وجه وقوله كالشمس نعت له وقوله منك حال منه وقوله مضىء نعت آخر أو أن قوله مضىء مبتدأ مؤخر وكالشمس خبر مقدم والجملة نعت لمحيا أو حال منه لتخصيصه بمنك وقوله أسفرت عنه الخ الجملة حال أو نعت أيضا وقوله اسفرت عنه أى انحسرت وزالت وانقضت وانكشفت عنه أى عن ذلك المحيا أو أضاءت متجاوزة عنه ليلة عظيمة وقوله غراء أى بيضاء لظهور نوره فيها وبعدها وهذا أولى من جعل ذلك أى جعل كونها غراء من حيث ظهور القمر فيها بناء على أنها ليلة ثانى عشر من الشهر أو من حيث كونها من غرة الشهر أى أوله بناء على أنها الليلة الثانية منه لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول اذ فيه اشارة الى أن تلك الليلة استنارت بنوره فكانت غرة فى وجه الدهر (قوله ليلة المولد) بدل من ليلة غراء والمولد بكسر اللام مصدر ميمى بمعنى الولادة وقوله الذى نعت للمولد وكان ناقصة وسرورا اسمها وخبرها للدين أو بيومه أو كل منهما والدين الشرع المبعوث به النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله سرور أى فرح عظيم وقوله بيومه أى فى يومه أو كان السرور بنفس اليوم من حيث الولادة فيه وأضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرفه التابع له فكيف بذاته وقوله ازدهاء أى افتخار أى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وأنت أشرف مولود فلاجل ذلك سر الدين وأهله باليوم الذى برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام وازدهاء أصله ازتهاء من الزهو وهو التكبر والفخر وقعت تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد الزاى التى هى من الشديدة فتنافرتا فابدلت دالا وأبقيت بلا ادغام ويجوز بعد قلبها زايا

ـ القائمة بافراده قد تقلدت أى تزينت بتلك الافراد فيكون قد جرى على أسلوب ما سبق من قوله ونسمو بك علياء لان أفراد النسب اكتسبت المراتب العالية الشرف فكأنه قال تحسب الجوزاء التى هى مجموع النسب زينت المراتب العالية وشرفتها بنجومها التى هى أفراد النسب وأظهر فى مقام الاضمار حيث صرح بالجوزاء فان المراد بها هنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيه الافراد بالنجوم كما تقدم اه

ومحيا كالشمس منك مضىء
أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للدين
سرور بيومه وازدهاء

(قوله وأصلها حبب الخ) قال العلامة الصاوى وأصلها حبب بفتح الحاء وضم الباء أى صار حبيبا بمعنى محبوب أدغمت الباء الاولى فى الثانية وهو فعل وذا فاعل على الصحيح وعقد هو المخصوص بالمدح قال ابن مالك
ويعرب المخصوص بعد مبتدا
أو خبر اسم ليس يبدو أبدا
والعقد هو القلادة من الجوهر والسودد بضم السين السيادة الكاملة والفخار هو الافتخار والتحدث بالخصال الحميدة وقوله أنت فيه أى يا رسول الله لا غيرك فى ذلك العقد المذكور اليتيمة أى الجوهرة التى لا شبيه لها ولا نظير لها لحسنها اه

وتوالت بشرى الهواتف ان قد
ولد المصطفى وحق الهناء
وتداعى ايوان كسرى ولولا
آية منك ماتداعى البناء

(قوله ثم قيل انه فى شهر غير معين) قال البدر الصاوى واختلف فى الشهر الذى ولد فيه فقيل صفر وقيل ربيع الاول وقيل ربيع الثانى وقيل رجب وقيل رمضان والمشهور انه ربيع الاول عام الفيل على الصحيح وكانت ولادته يوم الاثنين وانما ولد يوم الاثنين ولم يكن يوم الجمعة أو فى الاشهر الحرم اشارة الى أن الزمان يتشرف به لا أنه يتشرف بالزمان ولذلك دفن بالمدينة المنورة فتشرفت به فصار مضجعه أشرف الاماكن باتفاق الائمة وتشرفت بجواره المدينة فصارت أشرف من مكة عند المالكية اهـ

أو الزاى دالا لادغام احداهما فى الاخرى واختلفوا هل ولد ليلا أو نهارا وظاهر كلام المتن الاول والراجح الثانى لكن بعد الفجر وعلى أنه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا ثم قيل انه فى شهر غير معين والمشهور أنه معين وهو صفر أو ربيع الاول أو ربيع الآخر أو رجب أو رمضان أو يوم عاشوراء أقوال ستة والاصح انه فى شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح أنه معين فقيل للليلتين منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لثنتى عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه أقوال ستة وانما لم يكن فى يوم الجمعة ولا فى الاشهر الحرم ورمضان لئلا يتوهم أنه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل فى المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لانه لو دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد بموضع مفضول عند أكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزية كرامته على ربه واختلفوا فى عام ولادته والاكثرون على أنه عام الفيل والمشهور أنه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك أقوال أخر فقيل ولد بعد الفيل بخمسة وخمسين شهرا وقيل باربعين شهرا وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة واختلفوا فى مكان ولادته والصواب أنه مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور أنه بالمسجد المشهور الآن بالمولد وزعم أنه ولد بعسفان شاذ لا يعول عليه تأمل (قوله وتوالت) أى تتابعت والظاهر أنه معطوف على كان الواقعة صلة للموصول الذى هو لفظ الذى الواقع صفة للمولد الذى هو بمعنى الولادة لكن هذا المعطوف خال عن العائد للموصول فلعله اكتفى بالعائد فى المعطوف عليه أو يقال العائد اعادة موصوف الموصول بلفظه لان قوله أن قد ولد على تقدير الجار فيؤول بمصدر أى بان قد ولد أى بالولادة ولعل هذا القدر كاف فى العائد وقوله بشرى بمعنى البشارة وقوله الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه وقد هتفت الجن كثيرا ليلة مولده أى أخبرت بولادته بعضها على الحجون بفتح الحاء جبل مطل على معلاة مكة أى مقبرتها وبعضها على أبى قبيس وقوله وحق بفتح الحاء أى ثبت يقال حق الشئ بفتح الحاء يحق بكسرها وضمها اذا ثبت ومن هذا المعنى اسمه تعالى فمن أسمائه تعالى الحق أى الثابت وجوده أزلا وأبدا وقوله الهناء أى الفرح والسرور لكل الخلائق به عليه الصلاة والسلام (قوله وتداعى) معطوف على الصلة أيضا أو مستأنف أى تهادم أى أشرف على السقوط لانه انشق شقا بينا أفضى الى خرابه وسقط منه أربع عشرة شرافة وفسرت باربعة عشر ملكا من ملوك فارس تهلك فهلك عشرة فى زمن عمر وأربعة فى زمن عثمان وقوله ايوان بكسر الهمزة أصله اوّان بتشديد الواو فقلبت احدى الواوين ياء لانكسار ما قبلها وقد تحذف الياء ويقال اوان كخوان ويقال فيه ليوان ويجمع على أواوين كدواوين وهو بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه وكان محكما يظن أنه لا تهدمه الا النفخة وكان طوله مائة ذراع وسمكه كذلك وعرضه خمسون ذراعا وذكر شيخنا العمادى أنه بلغه أن مسجد السلطان حسن بنى على شكل وقدر وصورة ايوان كسرى وقوله كسرى بفتح الكاف وكسرها لقب لكل من ملك الفرس وكان اسمه أنوشروان وقوله ولولا حرف امتناع لوجود وقوله آية أصلها أوية قلبت الواو ألفا وقوله منك متعلق بمحذوف أى صادرة منك أى علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وأن كل من عاندك لا ينفع له

وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها اطفاء
مولد كان منه فى طالع الكف
ر وبال عليهم ووباء
فهنيئا به لآمنة الفض
ل الذى شرفت به حواء

(قوله أى صار الخ) قال العلامة الصاوى وغدا أى صار فى تلك الليلة كل بيت نار أى من بيوت نار فارس التى كانوا يعبدونها ويوقدونها ألف سنة لم يطفأ لها لهب لانهم كانوا مجوسا وقوله وفيه أى فى كل بيت نار كربة أى على أهله وهى غم يزل بالانفس وربما أهلكها اهـ

رأس وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب وقوله ماتداعى البناء أى هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام ولما تحرك وانشق وسقطت شراريفه علم أن ذلك ليس الا محض آية وعلامة دالة على نبوته وأنه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه فقد أهين كسرى بجيوش عمر غاية الهوان وطرد الى أقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان بجيوشه وزال ملكه بالكلية (قوله وغدا) معطوف على الصلة أيضا أو مستأنف أى صار فى تلك الليلة كل بيت نار أى كل واحد من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويحكمون ايقادها حتى أنه كان لها ألف سنة لم تخمد ونار أصله نور قلبت الواو ألفا وكانت هذه الصيرورة من العجائب التى ظهرت ليلة ولادته ليتنبهوا ويسألوا عن سبب ذلك وقوله وفيه الواو للحال وقوله كربة بضم أوله أى غم يأخذ النفس وربما أهلكها وقوله من خمودها من تعليلية والخمود بضم الخاء من باب دخل سكون لهب النار من غير انطفاء جمرها فان انطفأ أيضا قيل له همود وهو من باب دخل أيضا وقوله وبلاء أى عظيم صبه الله عليهم ازالة لما يعتقدونه آلهتهم ومتعبدهم فلما انطفأت تلك النيران العظيمة فى ساعة واحدة من تلك الليلة علموا أن ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك (قوله وعيون) معطوف أو مستأنف كما تقدم أى ومن تلك العجائب التى ظهرت فى تلك الليلة عيون وهو مبتدأ وسوغه وصفه بقوله للفرس وجملة غارت هو الخبر والفرس بالضم ويقال لهم فارس أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح أى الشجاعة وكسرى من أعظم ملوكهم وقوله غارت أى فى الارض حتى لم يبق منها قطرة ومن جملتها بحيرة طبرية كانت تسير فيها السفن وكان طولها ستة أميال وعرضها كذلك وتسمى عين ساوة وقوله فهل الخ استفهام تعجبى توبيخى تقريعى أى يتعجب من غورها مع كثرتها ومن انطفاء النار مع قوتها فهل طفئت النار بالماء لا بل لم يطفها الا سر وجوده وظهوره الذى اضمحل به كل باطل ولذا قال مولد الخ وقد أشار لهذا فى بردة المديح بقوله

كأن بالنار ما بالماء من بلل • حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

(قوله مولد) بالجر بدل من المولد وبالرفع خبر مبتدأ محذوف وقوله كان أى صار على الدوام وقوله منه أى من أجله وهى ابتدائية وقوله فى طالع الكفر أى فى النوم أو الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر وغايات أهله المترتبة عليه وهذا هو المراد بالطالع وقال بعضهم الطالع فى الاصل اسم لنجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على امور تحدث فى العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلانى يحصل كذا وكذا وأضيف للكفر من حيث اعتماد أهله عليه ونعويلهم عليه واستعير هنا للامور التى دلت على وقوع الوبال بهم كرؤيا الموبذان وأخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على أمر خفى وان كان دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقيق فحينئذ الظرفية من قبيل ظرفية المدلول فى الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال عليه وقوله وبال أى هم وغم عليهم أى الكفار المعلومين من السياق وقوله ووباء بقصر ويمد لغة وهو المرض العام الذى لا يختص بطائفة ويقال هو كثرة الموت من غير سبب بخلاف الطاعون فانه الموت بسبب طعن كفار الجن لمسلمى الانس (قوله فهنيئا) أى فبسبب ما حصل بوجوده فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه وأمهاته من الشرف الاكبر حق أن يقال فى شأن أمه هنيئا لآمنة وقوله الفضل فاعل فعل محذوف وهنيئا حال منه أى من

الفاعل المذكور والتقدير ثبت لها الفضل أى الكمال والشرف حال كونه هنيئا أى لا آفة فيه ولا نكد وقوله الذى شرفت به حواء أى ومن بعدها من أمهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها لآمنة بدون واسطة ولغيرها بواسطة فمن ثم خصها من بينهن بذلك الشرف حيث قال هنيئا به لآمنة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفى الولادة الأول والآخر ولينبه على أن حواء امتازت بابرازه صلى الله عليه وسلم الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه صلى الله عليه وسلم الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حواء بذلك من لحواء الخ (قوله من لحواء الخ) لما قرر اشتراك آمنة وحواء فى الولادة وتشرفهما بها أشار الى الفرق بينهما وان آمنة أشرف فقال من لحواء بالمد وهو استفهام استبعادى بمعنى النفى أى من يفرح لها ويثبت لها أنها حملت أحمد وهو اسم منقول من الصفة التى معناها التفضيل فمعناه أحمد الحامدين أى أكثرهم حمدا لربه ولذا يفتح عليه فى القيامة عند الشفاعة بمحامد لم يفتح بها على غيره فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه وقوله حملت من باب ضرب سواء كان فى البطن أو على الظهر أو على الرأس ومنه حملت الشجر ثمرها اذا أطلعته وأخرجته وقوله أو أنها به نفساء أى أصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولد أى أو أنها ولدته بلا واسطة أى لو قدر لها انها تحمله وتلده بلا واسطة لكان لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق فى علمه تعالى أنها الفائزة بشرف الانتهاء وهو أفضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال يوم نالت الخ (قوله يوم) بدل من مولد فيما سبق فهو مرفوع أو مجرور وبنى على الفتح لاضافته للمبنى والظاهر أنه بدل اشتمال لان المولد المراد به الولادة وقوله نالت أى ظفرت وأخذت وأعطيت بوضعه أى بسببه وقوله ابنة وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهى تلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم من جهة آبائها فى كلاب وامها مرة بنت عبد العزى بن قصى بن عبد الدار بن قصى ابن كلاب وقوله من فخار من بيانية لما التى بعدها والفخار التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية وقوله مالم تنله النساء أى حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضى أفضليتها على حواء مطلقا لانه انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له بلا واسطة والتفضيل من حيث هو مزية واحدة أو مزايا لا يقتضى الافضلية على الاطلاق فلا ينافى هذا ما انعقد عليه الاجماع من أن حواء أفضل منها بدليل الاختلاف فى نبوتها وذكروا أنه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش فى جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودى فى الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر فقد خصها الله تعالى بهذا الحبيب وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ليلة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نطقت كل دابة كانت لقريش وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضا وله صلى الله عليه وسلم فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا (قوله وأنت) معطوف على نالت أى ويوم أنت وقوله قومها اسم جمع للذكور وقد تدخل فيه النساء تبعا كما هنا وقوله بأفضل أى

من لحواء أنها حملت أحـ
مد أو انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار مالم تنله النساء
وأتت قومها بأفضل مما
حملت قبل مريم العذراء

(قوله ثبت لها الفضل الخ) قال العلامة الصاوى والمراد بالفضل ولادته صلى الله عليه وسلم ومعناه الفضل الكامل اختصت به آمنة الذى شرفت وبه متعلق بشرفت وحواء نائب فاعل ومعنى البيت ثبت الهنا للمؤمنين عموما بذلك المولود مع اختصاص الفضل العظيم لآمنة الذى هو مباشرة ولادته وحملها لجسمه الشريف الذى تشرفت به حواء أى فمن دونها من النساء اللاتى حملن بالنور الشريف ففى كلام المصنف اكتفاء اه

بمولود أفضل بالاجماع وقوله مما حملت أى به وهو عيسى وقوله قبل أى قبل آمنة ومر أن بينهما ستمائة سنة وقوله مريم بنت عمران الصديقة قيل هى من ذرية سليمان وبينها وبينه أربعة وعشرون أبا وهى أفضل النساء على الاطلاق للخلاف فى نبوتها والقول بها فيها أقوى من القول بها فى غيرها من النساء ورفع عيسى وعمرها ثلاث وخمسون سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين أو ستا كما قال السيوطى قال ولما رفع الى السماء تعلقت به وبكت فقال لها القيامة تجمعنا وقوله العذراء أى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى انما هو من نفخ جبريل فى طرف قميصها فحملت به ووضعته فى وقتها على الفور وهذا هو الاشهر كرامة لها ومعجزة له واذا نزل الى الارض يصلى وراء المهدى أول مرة ثم يتقدم عليه بعد ذلك وصلاته وراءه أولا اعلاما بأنه لم ينزل مستقلا بل تابع ومؤيد وحاكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتقدمه على المهدى بعد ذلك لانه أفضل منه (قوله شمتته) من التشميت بالمعجمة والمهملة وهو أن يقال للعاطس رحمك الله وهذا دعاء له بالسلامة من الشوامت أو ببقاء سمته بحاله لان العطاس ربما كان سببا لانحراف بعض الاعضاء كتعويج العنق لكن لا يسن تشميت العاطس الا اذا حمد الله بعد عطاسه ويسن للحاضر أن يذكره الحمد بأن يقول هو أى الحاضر الحمد لله رب العالمين فيقوله العاطس فيقول له الحاضر رحمك الله ولشيخنا الحفنى رحمه الله تعالى

من يبتدئ عاطسا بالحمد يأمن من • شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما • يليه بطنا فاذنا فاستمع رشدا

وهذا النظم جاء به الحديث وقوله الاملاك بوزن فعال جمع ملك وهذا هو القياس فى جمعه كجمل وأجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهى الرسالة فهمزته أصلية وميمه زائدة وأصله مألك بتقديم الهمزة على اللام بوزن مفعل ثم نقلت الهمزة الى ما بعد اللام فصار ملأك على وزن معفل ثم خفف بعد النقل ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملك على وزن معل وحينئذ فقياس هذا جمعه على أفعال كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملأك بعد القلب وقبل التخفيف وقولهم من الالوكة مصرح بأن ميمه زائدة وهو رأى الجمهور وذهبت طائفة الى أنها أصلية ثم اختلفوا هل هو من الملك بفتح الميم أى القوة لقوتهم أو بكسرها بمعنى مملوك قولان قيل وأحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير مأخوذ من شئ وهو التحقيق الذى دلت عليه الآثار وقوله اذ وضعته أى وقت وضع أمه له وقوله وشفتنا أى أفرحتنا وسرتنا أو من الشفاء لانها رقيا والرقيا كثيرا ما يحصل منها الشفاء لان قولها الآتى يشفى العليل ويبرد الغليل وقوله بقولها الشفاء بالفاء المشددة وهى أم عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضى الله عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما أخرجه أبو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك قالت الشفاء وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم ألبسته وأضجعته فلم ألبث اذ غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث منى على بال حتى أن بعثه الله تعالى فكنت فى أول الناس اسلاما وقولها فاستهل أى رفع صوته بالعطاس بشهادة قولها فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك وقولها فسمعت قائلا الخ أى سمعت ملكا يقول الخ وتعبير الناظم بصيغة الجمع فى قوله الاملاك مبالغة واشارة الى أن

شمتته الاملاك اذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

(قوله وقوله مما حملت أى به وهو عيسى) وانما أتى بهذا البيت وان كان تفضيل النبى على عيسى قد علم من قوله كيف ترقى الى آخره لانه ربما يتوهم أن التفضيل المتقدم على غير عيسى بسبب أنه ولد بغير أب ولم يمكث فى بطن أمه مدة الحمل وأنه رفع الى السماء وصار ملكا وينزل محمولا على أجنحة الملائكة على منارة جامع بنى أمية بدمشق الشام ويحكم بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يأخذ الجزية لان هذه مزايا وحكمه بشريعة النبى مما يؤيد أنه أفضل منه وأما رفعه الجزية فهو مغيا بنزوله اه صاوى

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـ
ـع الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى
عين من شأنه العلو العلاء
وتدلت زهر النجوم اليه
فأضاءت بضوئها الارجاء
وتراءت قصور قيصر بالرو
م يراها من داره البطحاء
وبدت في رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء

(قوله رامقا الخ) قال العلامة الصاوى ومعنى البيت وغاية نظر عين من شأنه العلو القلبية والبصرية المراتب العلية لانه أعلا الخلق همة وقوله وتدلت أى قربت ودنت النجوم الزاهرة اليه أى الكواكب المضيئة وتدليها كرامة وتعظيما له لم يقع لغيره لما رواه البيهقى عن فاطمة الثقفية قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على" اه

عصمة الملائكة توجب أن الفعل المسند الى أحدهم كأنه مسند الى الجميع وتشميت الملائكة له بالقول المذكور يقتضى أنه حمد الله بعد عطاسه لان التشميت انما يسن بعد حمد العاطس فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم من جملة من تكلم فى المهد (قوله رافعا) حال من مفعول وضعته وقوله رأسه أى الى السماء كما رواه أبو سعيد أن آمنة قالت لما فصل منى تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج منى نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء وقوله وفى ذلك الرفع أى الذى هو أول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم وقوله الى كل سودد أى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذى هو ايماء وقوله ايماء أى اشارة الى أن شأنه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس (قوله رامقا) حال من مفعول وضعته أيضا فتكون من الاحوال المترادفة أو من ضمير رافعا فتكون من المتداخلة وقوله طرفه فاعل رامقا أى بصره وهو مفرد لا جمع له وقوله السماء مفعول به أى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا اذ الرمق بسكون الميم النظر الخفى لا مطلق النظر وقوله ومرمى هو فى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه بسهمه وهو هنا ما انتهى اليه البصر وهو مبتدأ خبره العلاء وعين المضاف اليه ومن موصولة صلتها جملة شأنه العلو والمراد بشأنه قصده وقوله العلو أى ارتفاع مكانه وقوله العلاء بالفتح والمد أى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر أى الرتب العالية أى كما أن رفع رأسه ايماء الى ما مر كذلك رمق ببصره الى جهة العلو ايماء الى أنه لا يقصد الا أعلى المراتب اذ من شأنه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب فضله (قوله وتدلت) معطوف على نالت أى ويوم تدلت أى دنت وقربت وقوله زهر النجوم جمع أزهر أى نجم أزهر أى مضىء مشرق فهو من اضافة الصفة للموصوف أى الكواكب المضيئة وقوله اليه أى تعظيما وتكريما له لم يقع نظيره لغيره وقوله فأضاءت أى فبسبب هذا التدلى أضاءت وقوله بضوئها أى بضوء تلك الكواكب المضيئة وقوله الارجاء أى نواحى البيت الذى ولد فيه أو نواحى السماء أو نواحى الوجود وروى البيهقى عن فاطمة الثقفية أنها قالت لما حضرت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على" (قوله وتراءت) أى ويوم تراءت من رأى بمعنى أبصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل الفعل أى رأت قصور قيصر وهو لقب لكل من ملك الروم وقوله بالروم هو فى الاصل اسم شخص هو ابن عيص وأخى يعقوب والمراد هنا نفس الاقليم وقوله يراها الخ حال وقوله من داره أى الذى داره البطحاء أى مكة والابطح والبطحاء مسيل الماء الواسع الذى فيه دقاق الحصى وأصل ذلك ما روى عن أمه عليه السلام قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من قذر وفى رواية عنها لما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم وصح أنه ولد مختونا مقطوع السرة لكن المشهور أن عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له وليمة (قوله وبدت) لما تمم الكلام على عجائب ولادته شرع فى ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته مستأنفا أو عاطفا عطف الجمل فقال وبدت أى ظهرت لمن فى عصره بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان وقوله فى رضاعه أى فى زمانه أو فيه نفسه وقوله معجزات أى أمور خارقة للعادة وتسميتها معجزات على رأى

اذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها
وبنيها ألبانهن الشاء

(قوله وقيل انما يتم صلى الله عليه وسلم الخ) ولما مات قالت الملائكة يا رب تركت نبيك يتيما فقال سبحانه أنا له ناصر وكفيل اه صاوى

السلف كالامام أحمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وان تقدم على البعثة والمشهور مذهب الخلف وهو أن المعجزة يشترط فيها أن تكون بعد البعثة أما ما قبلها فيقال له ارهاص وتأسيس للنبوة فعليه تكون تسمية عجائب الرضاع معجزات مجازا من حيث مشابهتها للمعجزات الحقيقية وقوله ليس فيها متعلق بخفاء أى ليس خفاء كائن فيها لوضوحها وهو اسم مصدر لاخفيته لانه بمعنى كتمته لا مصدر لخفيته لانه بمعنى أظهرته (قوله اذ أبته) تعليل أو ظرف لقوله وبدت فى رضاعه وقوله ليتمه بضم الياء وفتحها ويقال يتم من باب علم وتعب وقرب أى لاجل موت أبيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة أشهر وكان موته بطيبة المنورة وهو راجع من الشام للتجارة ومات عند أخوال أبيه عبد المطلب ودفن بها وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قيل انما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق وقيل فى الحكمة لئلا يجب عليه طاعة لغير الله وقيل لئلا يكون عليه ولاية لغير الله وقوله مرضعات أى كن يأتين مكة يطلبن الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها كان عارا عندهم ولان هواء البادية أطيب وقوله قلن ما فى اليتيم أى ما فى هذا اليتيم عنا متعلق بقوله غناء أى ليس فيه نفع يغنى عنا شيأ ليتمه وفقره أى انما تركناه لانا انما نبغى الرضعاء رجاء المعروف من آبائهم وأما الام والجد فلبسا بذلك (قوله فأتته) أى فبعد أن تركنه لذلك أتته من آل سعد بن بكر ونسبت اليه مع أنه الجد التاسع لها لانه أشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها من هذه القبيلة أيضا وقوله فتاة أى شابة كريمة وفى كونها حليمة السعدية من الفأل الحسن والبشارة العظيمة بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن وقوله قد أبتها أى امتنعت من اعطائهم رضيعا الرضعاء أى أهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة لقلة اللبن المضرة بالرضيع عادة وما تعطاه من الاجرة ربما تصرفه فى حوائجها غير الاكل فلا يفيدها فى دفع الجوع الذى هو المحذور وأصل ذلك ما رواه ابن اسحق عن حليمة أنها قدمت مكة فى نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء فى سنة مجدبة ومعها ابن لها صغير رضيع اسمه ضمرة ومعها ناقة ما فيها قطرة لبن فكان صبيها لا ينام من الجوع قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم وما بقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجى والله انى أكره أن أرجع بدون رضيع فانطلقت الى ذلك اليتيم فاذا هو مدرج فى ثوب من صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء وهو راقد على قفاه يغط والغطيط صوت النائم فكرهت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الايمن فدر لبنه فشرب منه ما شاء ثم أخذته فجئت به رحلى أى المكان الذى هم نازلون به وكان فى جهة شديدة فقام زوجى الى ناقتنا فاذا هى حافل أى ممتلئ ضرعها لبنا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فلم يزل الله يزيدنا خيرا (قوله أرضعته) بدل من أتته وقوله لبانها بكسر أوله مفعول به واللبان مختص بلبن الرضاع وقوله فسقتها أى فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود السعيد سقتها أى حليمة وبنيها وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر أن أرضهم كانت فى غاية الجدب وقوله لبانها فيه استعمال اللبان فى غير لبن الرضاع مجازا والضمير راجع على الشاء وهو جمع شاة واسقاء الشياه لبانها لحليمة وبنيها فى هذا الوقت المجدب كرامة لذلك المولود وبركته أيضا أصبحت لا

الخ (قوله أصبحت) أى الشاء وقوله شولا كركع فهو بالتشديد جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة وقوله عجافا أى هزيلات وقوله وأمست لم يرد بأمسى وأصبح معناهما وهو الاتصاف بالخبر فى الصباح والمساء بل انها كانت فى حال فاعتراها نقيضه فى أقرب زمن وأسرعه وقوله مابها أى مافيها شائل مبتدا وخبر أو شائل فاعل الظرف وقوله ولا عجفاء أى هزيلة (قوله أخصب) من الخصب بكسر أوله وهو ضد الجدب وقوله العيش أى ما يتعيش به سواء كان للآدميين أو للدواب أى كثر قوت الآدميين والدواب وقوله عندها أى حليمة أو الشاة وقوله بعد محل بسكون الحاء المهملة أى شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع وقوله اذ أى ذلك الخصب كان وقت أن غدا منها أو لاجل أن غدا منها أى صار وقوله منها أى من حليمة أو من الشاة والاول أظهر لان غذاءه من حليمة من غير واسطة ومن الشاة بالواسطة وقوله غذاء بكسر الغين والذال المعجمة أى لبن تغذيه به (قوله بالها) كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهى ارضاعها له من غير مقابل دنيوى ترجوه والغرض من هذا النداء التعجب لان العرب اذا استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب فليس النداء هنا على حقيقته اذ النداء الحقيقى لا يخاطب به الا العاقل أو المنزل منزلته والارضاع ليس كذلك وقوله منة تمييز أى نعمة منها عليه وقوله لقد اللام للقسم أو للتأكيد وقوله ضوعف الاجر أى كرر الثواب اذ تضعيف الشئ أن يزاد عليه مثله أو أكثر وقوله عليها أى توالى الاجر وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى أو الضمير فى عليها لتلك المنة وتكون على تعليلية أى ضوعف الاجر لاجلها وقوله من جنسها أى حالة كونه من جنسها أى من جنس تلك المنة وهى ارضاعها له والاجر الذى توالى عليها لبن ماشيتها المذكور فى قوله سابقا فسقتها وبنيها الخ وقوله والجزاء من عطف الرديف اذ هو بمعنى الاجر وانما ضوعف عليها هذا الجزاء لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته لبنها سقتها وبنيها شياهها مع أنها كانت وقت أخذه من أمه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل أن غذاءه كان من ألبانها أزال الله عنها المحل والجدب وأبدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم أن ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ من تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها المسبب عن سبق سعادتها ولذا قال واذا سخر الاله الخ (قوله واذا سخر الاله) أى ذلل ووفق وقوله أناسا لغة فى الناس وقوله لسعيد أى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه كحليمة وزوجها وبقية مرضعاته وكلهن أسلمن وهن أربع أمه وحليمة وثويبة جارية أبى لهب وأم أيمن وأول من أرضعه منهن ثويبة فأول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبنها وقوله فانهم سعداء أى بسبب ذلك جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد تعود عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولان المرء مع من أحب من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما فى الحديث وفيه أيضا الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومعنى قوله فما تعارف منها أى ما توافقت طباعه منها أى اذا كانت طباع الارواح متوافقة تكون عند الدخول فى عالم الاشباح مؤتلفة وأما اذا كانت غير متوافقة فتكون عند الدخول فى عالم الاشباح كذلك وما يرى فى الخارج على خلاف ذلك كمحبة صالح لطالح أو بالعكس فلا بد له من جامعة بينهما بأن يكون فى الطالح المحبوب للصالح صفة جميلة موافقة لما عليه الصالح

أصبحت شولا عجافا وأمست
مابها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
اذ غدا للنبى منها غذاء
يالها منة لقد ضوعف الاجـ
ـر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله أناسا
لسعيد فانهم سعداء

(قوله واذا سخر الاله الخ) قال العلامة الصاوى سخر أى ذلل أو بمعنى وفق أى ما حصل لحليمة من هذه المزية انما نشأ من تسخير الله لها فى هذا الفعل الجميل وقد تقرر فى المعقول والمنقول أنه اذا سخر الاله أناسا لسعيد كالنبى صلى الله عليه وسلم فانهم سعداء وفى كلام الناظم حذف والتقدير لمحبته وخدمته فانهم سعداء بتلك المحبة والخدمة وقد تحققت سعادة حليمة وزوجها وأولادها فختم لهم بالاسلام وهذا البيت يسمى عند علماء البديع بالكلام الجامع لان فيه حكمة وموعظة ولهذا المعنى أشار بعضهم بقوله
لقد بلغت بالهاشمى حليمة
مقاما علا فى ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب
ربعها
وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

او

أو يكون فى الصالح المحبوب للطالح صفة خبيثة موافقة لصفات الطالح الخبيثة ولذا قيل ان رجلا صالحا أحب رجلا من الملحدين فخاف الصالح أن يكون فيه صفة موافقة لصفات الملحد فأطلعه الله على صفة جميلة فى ذلك الملحد وهى حبه لآل البيت وكانت موافقة لحال ذلك الصالح ومن أعظم ما سعدت به حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها بل رد رسول الله سبى هوازن عليهم بواسطة كونها منهم وكانت تقدم عليه فيكرم مثواها ولذلك زاد فى اكرام بنتها الشيماء لما أعتقها من جملة من أعتق من سبيهم كما سيأتى وهذا من البديع المسمى بالكلام الجامع وهو أن يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال وهو كثير فى كلام الناظم (قوله حبة الخ) لما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن أنها جوزيت من جنس عملها بكثرة لبن شياهها عقبه بما يبين أن تلك المضاعفة فى قوله لقد ضوعف الاجر عليها بلغت مراتب كثيرة فقال حبة أى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة الخ وليس هذا من الاستعارة بل هو من التشبيه البليغ لكن بحذف المبتدا الذى هو المشبه وأشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء بقوله أنبتت سنابل جمع سنبلة وهى مجمع الحب وهذا اقتباس من قوله تعالى كمثل حبة أنبتت سبع سنابل الآية وحذف الناظم لفظ سبع تنبيها على أن خصوص هذا العدد ليس مرادا بل المراد مطلق الكثرة وقوله والعصف الخ جملة حالية وهو ورق النبات اليابس كالتبن وقوله لديه أى عنده وقوله يستشرف أى يتنظر ويتطلع وقوله الضعفاء أى الفقراء أى جعلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال أن الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما أن حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال أن قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونه (قوله وأتت جده الخ) أى وبعد أن انتهت مدة رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب وقوله وقد فصلته جملة حالية أى فطمته وقوله وبها أى والحال أنه قد لحق بها من فصاله أى فطمه أى من أجله وقوله البرحاء أى التألم الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها (قوله اذ أحاطت به) اذ ظرفية أو تعليلية أى أتت به وقت أو لاجل أنه أحاطت أى أحدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه والتعبير بالجمع ظاهر على الرواية الآتية أنهم ثلاثة وكذا على رواية أنهم اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة وقوله فظنت أى حليمة بأنهم الباء زائدة وقوله قرناء جمع قرين أى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من علقته (قوله ورأى) أى جده حين ردته اليه وجدها أى شدة محبتها له وتعلقها به فيه متعلق بوجدها لما فيه من معنى التعلق كما علمت فرده معها لذلك وليسلم من الوباء الذى كان بمكة وحذف هذا لكن سياقه يدل عليه وقوله ومن الوجد الخ الجملة حالية مبينة لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها ومن تعليلية أى ومن أجل الوجد الذى بها لهيب أى نار تصلى أى تحرق به الاحشاء جمع حشا وهو ما انطوت عليه الضلوع ويحتمل أن الجملة استئنافية وعليه فمن ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة أن شأن الوجد أنه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق الاحشاء وأن وجدها من هذا القبيل فمن ثم رق لحالها وأطفأ نار وجدها بردة اليها (قوله فارقته) بدل من أتت وقوله كرها بالضم والفتح حال أى

حبة أنبتت سنابل والعصـ
ـف لديه يستشرف الضعفاء
وأتت جده وقد فصلته
وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله
فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجـ
ـد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها
ثاويا لا يمل منه الثواء

(قوله أو أتت جده الخ) قال العلامة الصاوى أى وبعد انتهاء رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب وفى رواية أتت به أمه فلعل الناظم ذكر جده لانه الاصل ولان أمه لا تفعل شيأ الا بمشاورة جده اهـ

شق عن قلبه وأخرج منه
مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو
دع مالم تذع له أنباء

(قوله ختمته الخ) ولما ذكر قصة رضاعه شرع في قصة شق صدره فقال مبدلا من قوله احاطت والصحيح أن الشق أربع مرات وقد نظمها العلامة الاجهوري بقوله
وشق صدر المصطفى وهو في
داربني سعد بلا مرية
كشفه وهو ابن عشر ثم في
ليلة معراج ويوم البعثة
اه صاوي

حال كونها ذات كراهية أو كارهة لفراقه لما شاهدت في اقامته عندها من الخيرات وقوله وكان أي والحال أنه كان لديها أي عندها وقوله ثاويا أي مقيما وقوله لايمل بالبناء للمفعول وقوله منه متعلق بقوله الثواء أي الاقامة أي لا تمل اقامته بل تحب ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس هكذا قرر الشارح هذا المقام واعلم أن اتيانها به لجده وقع مرتين الاولى عند استكمال سنتين فقط وسببه جريها فيه على عادة المرضعات من رد الرضيع لاهله عند استكمال مدة الرضاع فلما ردته هذه المرة لجده رده وأرجعه عليها ليكون عندها لامرين الاول شفقته عليها لما رأيتها من المشقة على فراقه صلى الله عليه وسلم والثاني خوفه عليه من الوباء الذي كان بمكة اذ ذاك والمرة الثانية عند استكمال سنتين وشهرين أو ثلاثة أشهر وسبب ردها له هذه المرة خوفها عليه من الجن بحسب ظنها لما جاءته الملائكة لشق صدره فردته على جده فأبقاه عنده ولم يرده عليها ففارقته كرها هذا هو الحق في تقرير المقام اذا علمت ذلك علمت ما في كلام المتن من التدافع لان قوله وقد فصلته ظاهر في الرد الاول فتدافع هذه العبارة ما بعدها من قوله اذ أحاطت به الخ ومن قوله فارقته الخ لما علمت من أن احاطة الملائكة انما هي سبب في الرد الثاني ومن أن الفراق كرها انما كان في الثاني أيضا لا انها في الاول قد رجعت به فحينئذ ينبغي أن ينزل كلامه على الرد الثاني ويقدر في قوله وقد فصلته شئ يلتئم به مع ما بعده الصريح في أن الكلام في الرد الثاني والتقدير وقد فصلته أي ومضى بعد فصاله شهران أو ثلاثة تأمل (قوله شق عن قلبه) لما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق صدره لانه السبب في احضاره لجده المذكور آنفا فقوله شق بدل من قوله اذ أحاطت به بدل اشتمال ويحتمل أنه استئناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع في زمن الرضاع مما يأتي وحاصل ما وقع له من الشق أربع مرات وتكريره من خصوصياته وأما أصل الشق فوقع لكل الانبياء الاولى من الاربعة عند مضي سنتين وشهرين الثانية عند استكمال عشر سنين الثالثة عند مجيء الوحي له بالنبوة وهو في غار حراء الرابعة عند الاسراء به من مكة الى بيت المقدس هذا هو التحقيق وما قيل من أن الشق خمس مرات فضعيف لعدم ثبوت الخامسة عند المحدثين ويؤيد الاحتمال الثاني أنه أي الناظم ذكر في قصة الشق أشياء ككون الخاتم جبريل لم يرد في قصة شقه عقب الرضاع بل في شقه الذي بعد ذلك والقلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط وهو عرق يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه سريعا فهو أخص من الفؤاد وقيل هما مترادفان وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه وفرق الزمخشري بأن الفؤاد وسط القلب ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر وقوله وأخرج منه أي من القلب مضغة أي قطعة لحم بقدر ما يمضغ وقوله عند غسله متعلق بأخرج وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم أخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها نقص في البدن وجاء في رواية أنه أخرج منه علقتان سوداوان ولا ينافيه تعبير الناظم لان المراد بالعلقة فيه الجنس (قوله ختمته) أي ختمت ذلك الشق المفهوم من شق وهذا استئناف أو معطوف على شق بحذف العاطف أي ثم بعد شقه لأمنه واعادته الى ما كان عليه فالمراد بالختم هنا اعادته الى ما كان عليه بامرار جبريل يده على محل الشق هذا هو المراد بالختم في المرة الاولى من مرات الشق وأما ما ورد في بعض الروايات من أن جبريل ختمه بخاتم من نور

صان أسراره الختام فلا الفض
ض ملم به ولا الافضاء
ألف النسك والعبادة والخلـ
ـوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا
نشطت في العبادة الاعضاء

(قوله والخلوة) قال العلامة الصاوي أي الاعتزال عن الناس في حراء أو في غيره وكان خلوته لأنس ربه واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله أولا وعلى الاول فقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى وعلى الثاني فكانت عبادته الفكر والشهود لان ذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الابدان كما قاله سيدي أبو الحسن الشاذلي وهذا هو اللائق بجنابه الاقدس وأما قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فمعناه في التوحيد وكذلك معنى قوله تعالى فبهداهم اقتده أي في التوحيد اه

بحار الناظر دونه فهو في غير المرة الاولى وقوله الامين أي على كتب الله ووحيه وهو جبريل وقوله وقد أودع أي ذلك القلب جملة حالية أي أودع حال الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار ما أي الذي أو شيئا لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة وقوله له اللام زائدة أي لم تنشره أي لم تحط به انباء أي أخبار لانه لا يعلمه الا الله تعالى المولى له والمتفضل به فالمراد أنها لم تشعه من حيث تفصيله والاحاطة الحقيقية والا فقد أشاعته اجمالا والنبأ الخبر الصادق فهو أخص من مطلق الخبر (قوله صان) أي حفظ أسراره أي أسرار ذلك القلب التي أودعت فيه الختام أي الواقع من جبريل وهو كالخاتم ما يختم به الكتاب من طين ونحوه وقوله فلا الفض أي فبسبب هذه الصيانة لا الفض أي الكسر مع ابانة وقوله ملم أي واقع بذلك الختم راجع للختام وقوله ولا الافضاء أي الاشاعة واقعة بذلك السر فهو راجع للاسرار المصونة بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب والمراد بكون الاشاعة غير واقعة بالاسرار عدم الاحاطة بها والا فبعضها قد أشيع وعن حليمة لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت له سنتان وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شئ على بقائه عندنا وقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه من وباء مكة فردته معنا فرجعنا به فبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة فاذا هو مع أخيه من الرضاع خلف بيوتنا جاء أخوه يعدو فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال له ما شأنك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني ثم أخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني هذا قد أصيب فانطلقي رده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى أمه فقالت ما رد كما به فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه من الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما (قوله ألف النسك) لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته في حال طفوليته وما بعدها مبينا أن الفه الآتي نتيجة ما أودعه في قلبه من الاسرار فقال ألف النسك والعبادة عطف تفسير أي اعتادهما واستمر عليهما وقوله والخلوة أي عن الناس وقوله طفلا حال أي حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى وكان تعبده أنه يخرج الى حراء شهرا في كل عام يتنسك فيه حتى اذا انصرف من مجاورته في حراء لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وكان يتعبد لله في حراء بالذكر والفكر وكان يكثر الخلوة في غير حراء أيضا وقوله وهكذا النجباء أي الكرام أي ومثل هذا الشأن العلي شأن الكرام فما بالك بأكملهم وسيدهم على الاطلاق وقوله وهكذا الخ تذييل وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل عليها للتأكيد (قوله واذا حلت الهداية) أي واذا كان هذا شأن النجباء من الانبياء وأممهم لما هو المستقر المعلوم أنه اذا حلت الهداية وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط وقوله نشطت في العبادة الاعضاء نشطت جمع وذلك لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم جاء في الحديث ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي مرت نظائره واعلم أن بين انتهاء رضاعه وبين مبعثه وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة الى بعضها وذلك أن حليمة لما ردته الى أمه وجدته كان في حفظ الله

بعث الله عند مبعثه الشهـ
ـب حراسا وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمـ
ـع كما تطرد الذئاب الرعاء

(قوله تطرد الجن الخ) قال العلامة الصاوى والجن له مراتب ستة جان فان خالط الانس قيل له عامر فان تعرض للاطفال قيل له روح فان اشتد بالاذية وكثر اذاه قيل له شيطان فان زاد فيها قيل له مارد فان زاد فيها قيل له عفريت ذكره العينى فى شرح البخارى وفيهم المؤمن والكافر وأهل سنة ومعتزلة والشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى ويموتون بحسب آجالهم المختلفة ويأكلون ويشربون ولهم القدرة على التشكلات بالصور الحسنة والقبيحة والكل أولاد ابليس وهم موجودون ومن أنكر وجودهم فهو كافر كالفلاسفة اهـ

تعالى بنبذه نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما أشار اليه الناظم بقوله ألف النسك الخ ولما بلغ أربع سنين وقيل ثنتى عشرة وبين ذلك أقوال أخر ماتت أمه وكانت قد قدمت به طيبة تزور أخوال أبيه فأقامت بها شهرا ومعها مملوكته أم أيمن وتعلم العوم فى بئر بنى النجار ولما رجعت به أمه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون وفى أخرى فى بعض دور مكة وحضنته بعدها ام أيمن ثم مات جده كافله وعمره ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل فكفله عمه أبو طالب شقيق والده ولما بلغ ثنتى عشرة سنة خرج به أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته ثم سأل عمه أن يرده خوفا عليه من اليهود وثبت أن الغمامة ظللته فى ذلك السفر وثبت أنها ظللته أيضا وهو عند حليمة فى بنى سعد ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة أخرى للتجارة وكان أبو بكر معه فعرفه بحيرا أيضا ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة الى الشام فى تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة وفى هذه السنة تزوجها ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة وكان ينقل الحجارة معهم ثم لما تقارب بعثه تحدثت بذلك أحبار اليهود ورهبان النصارى لما فى كتبهم من صفته ووصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة فيعلمون بعض خبر السماء فلما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع فلذا قال بعث الله الشهب الخ (قوله بعث الله) أى أرسل وسلط وقوله عند مثلث الاول ظرف زمان أو مكان كما فى القاموس والمراد هنا الزمان وقوله مبعثه أى عند بعثته وارساله أى قرب زمن بعثته الى الخلق كلهم وقوله الشهب جمع شهاب وهو شعلة نار تنفصل من الكوكب تحرق الشيطان المسترق للسمع فالكوكب نفسه لا ينفصل عن محله وقيل ينفصل ثم يرجع واذا انفصلت الشعلة تسقط على المسترقين منهم فلا تخطئ أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرارى وقوله حراسا جمع حارس على غير قياس فهو حال أو مصدر أى لاجل الحراسة لشريعته التى سيأتى بها من الشياطين أن يخلطوا بها ما ليس منها وقوله الفضاء أى الخلاء والجهات والمفازات الواسعة فلم يبق لهم محل يسترقون السمع منه وحاصل هذا أن الجن كانت تصعد السموات حتى السابعة تسمع الاقضية والاحكام والمغيبات التى تكتبها الملائكة وتتكلم بها وتنزل بها الى الارض فتخبر بها الكهان وتزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بلا شهب أى أعجزهم الله عن صعودها فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من البقية بالشهب لكن صاروا يصعدون ويصلون الى مقاعد وأماكن قريبة من أبواب السماء فيسمعون منها فلما بعث زيد فى المنع والطرد والحراسة وكثرة الشهب فصار والا يصعدون أصلا ولا يرى بالشهب أصلا وما يرى الآن من صورة نجم يسقط فى الجو ثم يعود فليس من هذا القبيل بل هو شئ يعلمه الله تعالى (قوله تطرد) حال من الشهب وقوله الجن هم أجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور الحسانة بأن يعلمهم الله قولا أو فعلا اذا أتوا به نقلهم من صورة الى أخرى وأما تصور الجنى بنفسه فمحال وكذا يقال فى تصور الملائكة وقوله عن مقاعد أى أمكنة قريبة من السماء كانوا يقعدون فيها يسمعون شيئا من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات وأصل هذا قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك ترددوا الحق فآمنوا وولوا الى قومهم منذرين

فحمت آية الكهانة آيات
من الوحى ما لهن انمحاء
ورأته خديجة والتقى والز
هد فيه سجية والحياء

(قوله فحمت آية الكهانة الخ) قال العلامة الصاوى الكهانة مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة والفرق بين الكاهن والعراف أن الكاهن يخبر عن المغيبات المستقبلة كأن يقول اذا طلع النجم الفلانى حصل كذا مثلا والعراف يخبر عن الامور الماضية كأن يخبر بمحل المال المدفون والضائع بقواعد عنده اهـ

قائلين يا قومنا انا سمعنا كتابا الى آخر ما قصه الله عنهم فى سورة الاحقاف وعن ابن عباس أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها ويلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب الى آخر ما تقدم وقوله كما تطرد ما موصولة أو مصدرية والذئاب جمع ذئب بالهمز وقد يخفف بابداله ياء وقوله الرعاء بضم أوله وكسره والمراد رعاة الغنم هكذا أطلق الشارح وظاهره أن كلا من الضم والكسر مع الهمز وقال بعضهم اذا كسر أوله همز آخره واذا ضم أوله أنث بالتاء فى آخره (قوله فمحت) أى فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت وأزالت وقوله آية الكهانة مفعول مقدم وقوله آيات من الوحى فاعل والكهانة بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة فالكاهن هو المخبر بالمغيبات كعلماء اليهود ورهبان النصارى وهذه الكهانة كانت فى العرب وكان سببها ما تلقيه الشياطين اليهم من أخبار السماء الصادقة التى يسترقونها قبل حجبهم ومنعهم مما يضمونه اليها من الكذب وقوله من الوحى أى حالة كون الآيات من جملة الوحى أى الموحى به وهو أقسام تارة يكون بالكتابة كما فى التوراة وغيرها من الكتب القديمة وتارة بالالهام وتارة بالكلام الخفى وهذا فى مطلق الوحى وأما الوحى له عليه الصلاة والسلام فأقسامه الرؤيا الصادقة وما يلقيه الملك فى روعه بضم الراء أى فى قلبه من غير أن يراه ومنها تمثل الملك له رجلا فيخاطبه ومنها رؤيته على صورته الاصلية ومنها سماع صوته مثل صلصلة الجرس الى غير ذلك وتصوره المذكور على صورة رجل مع أن صورته الاصلية كبيرة جدا غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام كما أن القطن يقبل الانكباس وهذا أولى من قول بعضهم ان صورة الملك الاصلية باقية بحالها وصورة الرجل صورة أخرى له وروحه متعلقة بهما كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط بأى صورة أرادها الانسان قال عليه الصلاة والسلام الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا اهـ وورد أنهم بالشام وورد أنهم أربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان الحديث الذى فيه أنهم ثلاثون أى ممن كانت قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل كما ذكر فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابراهيم أنهم يتقلبون فى المعارف الالهية التى يتقلب اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وانما سموا أبدالا لان كل من مات منهم أبدل الله مكانه غيره وروى الحكيم الترمذى أن الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا ومن علامة البدل أنه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد تجسمت له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم انتهى (قوله ورأته) أى علمته بمعنى عرفته أو أبصرته وكان الاولى تقديم هذه القصة على قصة ارسال الشهب ليوافق الواقع لان قصة تزوجه بها كانت فى خمس وعشرين سنة وارسال الشهب عند المبعث كان على رأس الاربعين

وأتاها أن الغمامة والسر
ح أظلته منهما أفياء
وأحاديث أن وعد رسول الله
بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما أحـ
ـسن ما يبلغ المنى الأذكياء

(قوله وما أحسن ما يبلغ الخ) قال العلامة الصاوى وفى كلام الناظم من المحسنات ارسال المثل وهو أن يذكر الشاعر فى بعض بيت ما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو غيرها اه

وقوله خديجة بالتنوين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فتلتقى مع النبى فى قصى وهو رابع أب لها وخامس له وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر وهى أفضل نسائه على التحقيق وقوله والتقى الواو للحال وهو البراءة من كل شئ سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال فى التقوى وقوله والزهد هو الاقتصار على قدر الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وقوله فيه أى كل منهما وقوله سجية بالسين المهملة أى خلق غريزى وملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل والاختلاف فى كون حسن الخلق غريزة أو مكتسبا محله فى غيره صلى الله عليه وسلم وقوله والحياء أى سجية فيه أيضا وهو بالمد تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به مأخوذ من الحياة ولذا سمى المطر حيا أيضا لكنه مقصور وقال بعضهم الحياء شرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ويطلق الحياء بالمد على فرج ذى الظلف والخف (قوله وأتاها أن الغمامة الخ) أى أخبرها بذلك ميسرة عبدها حين رجوعه من الشام مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عام زواجه بها والغمامة سحابة كان طولها عشرة أذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عن رأسه كذلك وتظليلها له كان قبل البعثة تأسيسا لنبوته وأما بعدها فلم تظله وثبت تظليلها له فى صغره فرأتها أمه وأخوه من الرضاع وفى سفره الى الشام رآها من كان معه ورآها بحيرا الراهب وغيره بل ورأتها خديجة حين اقباله على مكة وهو راجع من سفره وقوله والسرح جمع سرحة كتمر وتمرة والمراد به الشجر وثبت تظليله له فى سفره الى الشام حين وصلوا الى بحيرا وجلسوا تحت ظل شجرة ولم يبق منه موضع خال وهو صلى الله عليه وسلم يرعى الابل فأمرهم بحيرا أن يدعوه فدعوه فجاء فجلس فى الشمس فمالت الشجرة وانحنت أغصانها عليه فظللته وهم ينظرون وقوله أفياء جمع فئ وهو ما نسخ الشمس فهو ما بعد الزوال بخلاف الظل فانه ما نسخته الشمس فهو ما قبل الزوال (قوله وأحاديث) أى وأتاها أيضا أحاديث أى أخبار أخبرتها بها الأحبار والرهبان والكهان لكن الأحبار والرهبان أخذوا ذلك من كتبهم والكهان أخذوه من الشياطين المسترقين للسمع وقوله أن وعد أى بأن وعد وهو مصدر مضاف لمفعوله أى بأن وعد رسوله والوعد عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير وقوله بالبعث أى الارسال وقوله حان أى قرب وقوله منه متعلق بحان لانه بمعنى قرب كما علمت وقوله الوفاء أى بذلك الوعد فصلته محذوفة (قوله فدعته) أى فبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له عقل على خدمته والتعلق به وقوله دعته أى خطبته وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك وسنها اذ ذاك أربعون سنة وسنه خمس وعشرون سنة وتزوجت قبله رجلين تزوجت أولا عتيقا المخزومى وولدت منه ذكرا وأنثى ثم تزوجت هندا أبا هالة فولدت منه ذكرين هندا وهالة ثم ولدت من النبى سبعة ثلاثة ذكور وأربع اناث وقوله وما أحسن صيغة تعجب وقوله ما يبلغ ما مصدرية فتؤول مع ما بعدها بمصدر وقوله المنى جمع منية كمدية ومدى وهى الأمانى جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان وقوله الأذكياء جمع ذكى والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد تيقظه أى شئ عظيم حسن بلوغ الأذكياء كل ما يتمنونه ومن أكملهم خديجة فانها أدركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كل ما تمنته وأملته مالم تبلغه امرأة غيرها من هذه الأمة ولما عرضت نفسها عليه ذكر

وأتاه فى بيتها جبرئيل
ولذى اللب فى الأمور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدرى
أهو الوحى أم هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ
ـل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنـ
ـز الذى حاولته والكيمياء

(قوله فاستبانت الخ) أى فبسبب ما فعلت انكشف لها وعلمت عين يقين أن ذلك هو جبريل عليه السلام لانها تعلم أنه لا يأتى محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس اه صاوى

ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على أبيها خويلد فخطبها اليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين ناقة وحضر أبو بكر ورؤساء قريش فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها أبوها منه اه وقوله وضئضئ بمعجمتين أو مهملتين معناه الأصل وقوله حضنة بيته أى الكافلين له وقوله وسواس حرمه أى حراسه المتولين لأمره (قوله وأتاه) أى ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها أنه أتاه بعد النبوة والرسالة فى بيتها وقوله جبرئيل كعندليب لغة فى جبريل ليلقى اليه الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين فأحبت أن تنتقل منه الى عين اليقين وعلم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل النقلى وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد فى صفات الرب وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى انما هو صفات العبد لا ذاته هذا هو التحقيق خلافا لمن غلط فيه وقوله ولذى اللب أى ولصاحب اللب أى العقل الكامل وخديجة من أكمل العقلاء وقوله فى الأمور أى الأحوال التى تشتبه وقوله ارتياء أى استبصار من ارتأيته أى نظرته بالعين أو القلب كما فى القاموس (قوله فأماطت) أى فبسبب تلك المحبة أى محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين مع ما عندها من كمال العقل أماطت أى أزالت عنها أى عن رأسها الخمار وهو ما يخمر أى يغطى به الرأس لتدرى أى لكى تعلم عين اليقين أهو أى الذى عرض له حتى أخرجه عن حالته المعروفة منه وقوله الوحى أى حامله الذى يأتى به وقوله الاغماء أى الذى هو بعض الأمراض البشرية العادية ومن ثم جاز على الأنبياء دون الجنون (قوله فاختفى) أى فبسبب ازالتها الخمار عن رأسها اختفى عند كشفها الرأس مفعول كشف المضاف لفاعله وقوله أو أعيد الغطاء أى الى أن أعادت غطاء رأسها فأعيد فعل ماض مبنى للمفعول والغطاء نائب الفاعل وانما اختفى عند كشف رأسها لانه لا يحل فى مكان فيه امرأة مكشوفة الرأس وروى أصحاب السير أنه لما أخبر خديجة بالوحى الذى يأتيه قالت له أتستطيع أن تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الأيسر ففعل فقالت له أتراه قال نعم فقالت فعلى الأيمن ففعل فقالت أتراه قال نعم فقالت فاجلس فى حجرى ففعل فقالت أتراه قال نعم فألقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هو شيطان (قوله فاستبانت خديجة) بالصرف للضرورة والفاء للسببية أى فبسبب ما ترتب على اختبارها ظهر لها أتم الظهور وعلمت عين اليقين أنه أى النبى صلى الله عليه وسلم الكنز أى الشئ النفيس بل الذى لا أنفس منه وقوله حاولته أى أرادت حيازته والظفر به وحازته وظفرت به بالفعل وقوله والكيمياء يطلق الكيمياء على الاكسير المعلوم وعلى العلم البديع الذى يقلب الأعيان الرديئة الى الأعيان النفيسة واقتصر فى القاموس على أنها الاكسير ولم يذكر اطلاقها على العلم المعروف والكلام من قبيل التشبيه البليغ أى أنه كالكنز وكالكيمياء [illegible]

ثم قام النبي يدعو الى الله
وفي الكفر نجدة واباء
أمما أشربت قلوبهم الكفـ
ـر فداء الضلال فيهم عياء
ورأينا آياته فاهتدينا
واذا الحق جاء زال المراء

النبي كذلك ويصح أن يكون الكلام من قبيل الاستعارة فاستعير الكنز وهو المال المدفون والكيميا وهو الاكسير المعروف للنبي لانه بهما تحصل الذخائر الى آخر ما تقدم ويصح أن يكون الضمير في أنه لما يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الوحي والكلام من قبيل التشبيه أو الاستعارة كما تقدم (قوله ثم قام النبي) أي ثم بعد ما نبئ على رأس الاربعين بقوله تعالى اقرأ باسم ربك الآيات الخمس وفتر عنه الوحي ثلاث سنين ونزل قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر الى امتثال ذلك فحينئذ قام أي جد واجتهد وقوله يدعو حال وقوله الى الله أي لعبادته والايمان به وبرسله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام فأول ما وجب عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل قال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا لكن اختلف هل فرض عليه قبل الخمس صلاة أم لا فقيل فرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وثبت أن جبريل نزل عليه في أول البعثة وهو في بطحاء مكة فضرب الارض برجله فنبعت عين ماء فغسل فرجه ونضح على ازاره مما يلي فرجه ثم توضأ ثم أمره أن يفعل مثل فعله ثم صلى وأمره أن يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ورجع النبي صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى أتى خديجة فأخبرها ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها وذكر السيوطي في الاتقان أنه لم يحفظ صلاة في الاسلام بغير الفاتحة وهذا يدل على ان الفاتحة من أول ما نزل وقوله وفي الكفر أي في أهله نجدة بكسر النون أي قوة تامة وتحزب عليه وقوله واباء أي امتناع عن اتباعه والايمان به (قوله أمما) مفعول يدعو أي جماعات وقوله أشربت قلوبهم الكفر بالبناء للمفعول أي اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وفي الكلام استعارة اما تصريحية في الفعل بأن شبه مخالطة الكفر لقلوبهم وشدة امتزاجه بها باشراب الماء ونحوه واستعير الاشراب للمخالطة واشتق منه أشربت أو مكنية في الكفر بأن شبه بمشروب كالماء بجامع قوة السريان واشربت تخييل وقوله فداء الضلال أي مرضه أو الاضافة بيانية وقوله فيهم صفة أي الذي استقر فيهم أي فالداء الذي استقر فيهم وهو الكفر عياء بمهملة مفتوحة فتحتية أي داء عضال لا يرجى برؤه أعيا الاطباء مداواته ولما قام يدعو الى الله دخل في الاسلام رجال ونساء وأولهم على الاطلاق خديجة من النساء ثم أبو بكر من الرجال ثم علي من الصبيان ثم زيد من الموالي ثم بلال من الارقاء وكان مخفيا أمره ثم أمره الله باظهاره بقوله فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من الرسالة وتحزب عليه قومه سنة أربع واجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام أو صدق المحبة كابي طالب فانه تصدى لمنعهم عنه وفي سنة خمس أذن لاصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان أولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حمزة عمه سنة ست فعز به وكفت عنه قريش قليلا ثم أسلم عمر بعده بثلاثة أيام فعز به كثيرا (قوله ورأينا) أي معشر أمة الاجابة وهي علمية عرفانية في حق الصحابة وغيرهم ويصح أن تكون بصرية في الكل لكن في الصحابة ظاهر وفيمن بعدهم بالنسبة الى نقوش القرآن ويصح أن تكون مستعملة في المعنيين فتكون بصرية بالنسبة للصحابة وعلمية عرفانية بالنسبة لمن بعدهم وقوله آياته أي معجزاته وقوله فاهتدينا أي وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان وقوله واذا الحق جاء أي تقرر وثبت وقوله زال المراء أي العناد والجدال وهذا البيت تلميح لقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل

(قوله يدعو الى الله) قال العلامة الصاوي أي ثم بعد تقرر النبوة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز قام النبي صلى الله عليه وسلم امتثالا لما أمر به يدعو الناس الى عبادة الله وتوحيده وترك عبادة الاصنام والحال أن في أهل الكفر نجدة أي قوة تامة وتعصبا عليه صلى الله عليه وسلم واباء أي امتناعا من اتباعه ومع ذلك كان لا يخاف في الله لومة لائم فاستمر على دعائهم وهو على تلك الحالة فأول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال الاحرار أبو بكر الصديق وقيل ورقة ابن نوفل ابن عم خديجة ومن الصبيان علي ابن أبي طالب ومن الموالي زيد ابن حارثة ومن الارقاء بلال المؤذن اه

رب ان الهدى هداك وآيا
تك نور تهدي بها من تشاء
كم رأينا ما ليس يعقل قد أُلـ
ـهم ما ليس يلهم العقلاء
اذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ
ـل ولم ينفع الحجا والذكاء

(قوله رب) أي يا رب ان الهدى أي اتباع الحق هداك أي ليس الا توفيقك وهدايتك كما قلت فمن يرد الله أن يهديه الآية وقوله وآياتك معطوف على اسم ان أي وان آياتك أو مرفوع أي وآياتك التي أقمتها دالة على صدق أنبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور وقوله من تشاء أي من تشاء هدايته أي وتضل عنها من تشاء غوايته فهذا اشارة الى أن الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة (قوله كم رأينا الخ) لما قرر أن الهدى هدى الله وأن الآيات وحدها لا تغني شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو أن غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم رأينا كم خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعل الناظم أي كم مرة أي مرارا كثيرة فان ذكر المميز باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده أكثر وأفصح من جمعه وقوله رأينا أي علمنا وأبصرنا نظيرما مر وقوله ما ليس يعقل أي شخصا ليس يعقل أصلا كالفيل وبعض الاحجار وقوله قد ألهم هذه الجملة في محل نصب ثاني مفعولي رأى وقوله ما ليس يلهم أي أشياء كثيرة حرمها العقلاء (قوله اذ أبى الفيل) علة لرأى أي امتنع الفيل أن يفعل ما أتى أي عزم عليه صاحب الفيل وهو أبرهة ملك صنعاء وكان من عمال النجاشي ملك الحبشة ومن أمرائه وقد قيل انه جد النجاشي الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والذي أتاه وعزم عليه صاحب الفيل هو هدم الكعبة وقوله ولم ينفع الحجا بالقصر أي العقل الوافر ولا الذكاء اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل وعلم ان الهداية ليست الا بتوفيق الله تعالى وسبب هذا أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي ومن عماله وجنده بنى كنيسة بصنعاء وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا واستذل أهل اليمن في بنائها فكان من تأخر منهم عن العمل حتى تطلع الشمس قطع يده وكتب الى النجاشي ملك الحبشة اني قد بنيت لك كنيسة وأريد أن أصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بني كنانة فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالغائط فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فأمر الحبشة فتهيأت ثم سار ومعه الفيلة وعظيمها يسمى محمودا وكان أبيض وهو الذي أبى وامتنع من السير الى تخريب الكعبة وهو المراد في القرآن وفي النظم فخرج عليه في الطريق ملوك من اليمن يمنعونه فهزمهم وأسرهم وسار الى أن نزل عند عرفة فلم يدخل الحرم على الراجح وقيل دخله ونزل عليهم العذاب في وادي محسر وهو بين منى والمزدلفة فتبع ذلك عبد المطلب وكان النبي حملا في بطن أمه فقال يا معشر قريش لا يصل هذا لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم وقع بينه وبينه وقائع كثيرة ثم وجه أبرهة الفيل لجهة الكعبة فبرك لان في الفيلة نوعا يبرك كالبعير فضربوه كثيرا وكانوا اذا وجهوه الى الكعبة برك واذا وجهوه لغيرها أسرع وهرول ثم أرسل الله عليهم طيرا أبابيل أي جماعات كأمثال الخطاطيف خرجت من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران بين رجليه كأمثال العدس وكان يرمي الواحد على الرجل منهم فيسقط على رأسه ويخرج من دبره فيموت لوقته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق وأصيب أبرهة في جسده بداء فتساقطت منه أعضاؤه وبقي حتى وصل الى صنعاء وسال منه الصديد والقيح والدم ومات وكانت هذه القصة ارهاصا وتأسيسا لنبوته عليه السلام ولما هلك أبرهة وتمزقت الحبشة بقيت تلك الكنيسة خربة وسكنها الجن فكان كل من تعرض لاخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صنمين

(قوله كم رأينا الخ) قال العلامة الصاوي أي عرفنا معشر أمة الاجابة الصحابة فمن بعدهم لكن بطريق الابصار من الصحابة وطريق النقل لمن بعدهم اه

واستمرت هكذا الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا واندرست ولله الحمد والمنة (قوله والجمادات) لما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان ذكر قصة القبيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال والجمادات وهى ما لا روح له أفصحت أى أظهرت ونطقت بكلام بين فصيح قيل يخلقه الله فيها حينئذ من غير حياة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتى فى حنين الجذع وأنينه فان ذلك يدل على أن الله خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وأن ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى فضمه الى صدره حتى سكن وقوله بالذى أى بالشهادة بالانباء والارسال والتسبيح الذى أخرس عنه الفصحاء وقوله لاحد متعلق بأفصحت أى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم أرباب الفصاحة امتنعت ألسنتهم من النطق بالايمان به بارساله اليهم وشهد له بذلك الجمادات الصم بأفصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر يسمع تسبيحه كل من كان فى المجلس وصح أيضا انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى أعرفه الآن وهو الموجود الآن فى زقاق الحجر عند بيت خديجة وصح عن على كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبلنا حجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى أبو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وصح أنه طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها فأقبلت تخد الارض خدا أى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها فشهدت ثلاث مرات ثم رجعت الى منبتها ومعجزاته من هذا القبيل كثيرة (قوله وبح قوم) منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق تقديره أهلكهم الله هلاكا فمعناها الهلاك وهى فى الاصل كلمة ترحم تقال لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها وهؤلاء المحاربون له والجافون له وقعوا فى مهلكة وهى العذاب الدائم أى فى سببها وهو جفاؤهم للنبى والترحم من حيث النظر الى قرابتهم له فهم لا يستحقون الهلاك من تلك الحيثية فالترحم باعتبارها وقوله جفوا نبيا أى أبغضوه وآذوه الاذى البالغ بل قصد واقتله فحماه الله منهم وقوله ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة لكنه غريب ضعيف بل قال بعضهم لا يصح اسنادا ولا متنا وهو أن أعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبى طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وكلمات أخر قال من أنا قال أنت رسول رب العالمين فأسلم الاعرابى وقوله والظباء جمع ظبى روى حديثه البيهقى وأبو نعيم والطبرانى قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبى فقد كذب وهو بينما رسول الله فى صحراء اذ هتف هاتف وقال يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق وأعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك فقالت صادنى هذا الاعرابى ولى فى هذا الجبل ولدان فأطلقنى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار أى المكاس ان لم أفعل فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الاعرابى فقال يا رسول الله ألك حاجة قال نعم تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ولم يرد المصنف الحصر فى هذين بل صح أن الحمار كلمه وكذلك الذئب ألفه وأخبر بنبوته فقد ورد أنه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا رزقه

والجمادات أفصحت بالذى أخـ
رس عنه لاحد الفصحاء
وبح قوم جفوا نبيا بأرض
ألفته ضبابها والظباء

(قوله والظباء الخ) روى حديثه من طرق كثيرة أبو نعيم والطبرانى وساق الحافظ المنذرى حديثه فى الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بأنه ورد فى الجملة فى عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم أنه حديث صحيح اه ابن حجر

الله تعالى فتعجب الراعى من كلامه فقال له الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأخبار ما قد سبق وما هو آت فأتى الراعى النبى فأخبره بذلك فقال الذئب فقال صلى الله عليه وسلم صدق واقعد الذئاب جاء يسألكم أن تعطوه شيأ من أموالكم فلم يرد الله لا يفعل وأخذ رجل من القوم حجرا فرماه به فأدبر وله عواء وفى رواية ان الذئب قال للراعى أنت أعجب فقال لم فقال لان النبى بعث بيثرب وأنت مع غنمك تاركه وتبعه فقال له الراعى فمن للذئب اذا مضيت اليه فمن يحرس غنمى قال الذئب أنا أحرسها لك فذهب والذئب يحرسها الى أن وصل اليه صلى الله عليه وسلم فأسلم ورجع فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها وأطعمها له وثبت أيضا أن الجمل كلمه وذلك أن جماعة من الانصار شكوا اليه جملهم وأنه امتنع من العمل حتى عطشت النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب فقال انه ليس على منه بأس فأقبل نحوه الجمل حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ بناصيته حتى أدخله فى العمل (قوله وسلوه) أى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله وقوله وحن جذع اليه الجملة حالية وقد جاء حديثه من طرق كثيرة وحاصل قصته أنه قبل ان النبى قبل أن يعمل له المنبر كان يخطب وهو واقف على الارض مستند الى جذع نخلة وكان عمودا من عمدان المسجد اذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضع المنبر الذى بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع أى الجذع وانشق فنزل صلى الله عليه وسلم وضمه اليه حتى سكن وقال والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة وخيره بين أن يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وبين أن يغرسه فى الجنة يأكل أهلها من ثمره فقال أختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقد احترق فى حريق المسجد الذى وقع فى القرن السادس وقوله وقلوه أى أبغضوه وودّه أى والحال أنه قد وده أى أحبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم وهؤلاء الغرباء كالانصار الاوس والخزرج وذلك أنه صلى الله عليه وسلم من حين أرسل مكث عشر سنين يخرج فى كل موسم لعرفة وغيرها يعرض نفسه على قبائل العرب ويقول من يحمى ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فلم يجبه أحد من العرب خوفا من قريش فقبل الهجرة بثلاث سنين لقى فى منى بعض الخزرج عند العقبة التى هى بجنب منى فقال من أنتم قالوا من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه وأسلم منهم ستة فقال لهم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم فى العام القابل وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة فلما وصلوا المدينة لم يبق فيها دار الا وفيها ذكره ثم فى العام الثانى لقيه اثنا عشر خمسة من الستة الاول والبقية من الخزرج أيضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هى العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا وأظهر الله الاسلام فيهم وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم أرسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فأرسل اليهم مصعب بن عمير فأسلم على يده جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ

وسلوه وحن جذع اليه
وقلوه ووده الغرباء

حاصل مسئلة حنين الجذع أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب مستندا الى جذع نخل فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية أنه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية حتى تصدع وانشق وفى رواية جعل يئن كأنين الصبى فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له اه ابن حجر

أخرجوه منها وآواه غار
وحته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

(قوله قد أذن لي في الخروج) وسببه أنه لما بويع صلى الله عليه وسلم وأمر من معه أن يلحق بالمدينة وأنه ظهر أمره بها اشتوروا بدار الندوة ثم أجمعوا أن يحبسوه أو يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس لعنه الله في صورة رجل جليل وأظهر لهم أنه يريد نصحهم وأمرهم أن يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بالاطائفة لكم به فقال أبو جهل لعنه الله أرى أن نأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا نعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر أهله على حرب قوم فيأخذوا دية فقال ابليس لله درك هذا هو الرأي فأجمعوا عليه اهـ ابن حجر

وأسيد بن حضير وأسلم بنو عبد الاشهل كلهم في يوم واحد رجالا ونساء ثم قدم في العام الثاني في موسم منى نحو سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وحضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقي معه في مكة بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام ينتظر الاذن في الهجرة واستأذنه أبو بكر فقال لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر في أن يهاجر معه فاجتمعت قريش على تدبير أمر يضرونه به كما في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية فأتاه جبريل فقال له لا تبت في هذه الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فخرج عليهم فأعماهم الله عن رؤيته وأخذ كف تراب فرماهم به فكان على رؤسهم وهو يتلو يس الى يبصرون فلما أصبح النهار مر عليهم رجل فقال ما شأنكم قالوا ننتظر محمدا فقال انظروا الى رؤسكم فنظروا فرأوا التراب عليها فعرفوا أنه قد خرج من بينهم وأعماهم الله عنه ثم أذن الله له في الهجرة كما قال أخرجوه منها (قوله أخرجوه منها) بدل من جفوه أي كانوا السبب في خروجه منها أي من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه وأحب أرض الله الى الله والى رسوله وبه ولما كانوا السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن من الله فهو السبب فقط ووجه الاندفاع أن تسببهم في خروجه عما لغتهم في ايذائه وايذاء أصحابه هو الحامل على انتظار الاذن له من الله في الخروج فتسببهم سبب لاستئذانه ووقوع الاذن له فاسناد الاخراج اليهم بهذا الاعتبار أبلغ من اسناده لاذن الله نعم بل على أسبق السببين مع كونه سببا في الثاني وكان هذا الخروج بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر يوم الخميس وجاء بيت أبي بكر وقت الظهيرة فقال له قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي وكان قد اشترى راحلتين أي ناقتين قبل ذلك بستة أشهر فعلفهما منتظرا للخروج عليهما فقال له النبي آخذها بالثمن فأخذها منه بأربعمائة درهم كما اشتراها أبو بكر وقيل انه أبرأه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبي مدة حياته حتى ماتت في خلافة أبي بكر وتزودا أي أخذا الزاد من بيت أبي بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا الى غار ثور ليلا فأقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت وليلة الاحد وخرجا منه ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام وقوله وآواه غار وهو ثقب في جبل ثور ولما فقدته قريش طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الاثر عند ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال وحته حمامة ورقاء وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما والمراد بها الجنس لانهما كانتا ثنتين ومعنى حمايتهما له أن فتيان قريش من كل بطن لما أقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له ما رأيت قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين أمية بن خلف وما حاجتكم في الغار ان فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار أن الله أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال وكفته بنسجها الخ (قوله وكفته بنسجها عنكبوت) يطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى

واختفى منهم على قرب مرآ
ه ومن شدة الظهور الخفاء
ونحا المصطفى المدينة واشتا
قت اليه من مكة الانحاء

(قوله فسقطت دموعه الخ) وروى أن أبا بكر رضي الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يعتد الحفاء فبكى وأنه دخل قبله ليقيه بنفسه وأنه رأى جحرا فيه حيات فألقمه عقبه فجعل الحيات والافاعي تلسعه فانحدرت دموعه وفي رواية فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك فقال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده اهـ ابن حجر

قال في حياة الحيوان نسج العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فيها يورث الفقر وتركه في الاصطبل يضعف الدواب وأصله امرأة ساحرة مسخها الله تعالى ويستحب قتله قال صلى الله عليه وسلم اقتلوا العنكبوت فانه شيطان ومع ذلك نسجه طاهر وكما نسج على المصطفى نسج على عبد الله بن أنيس لما أرسله النبي لقتل كافر فقتله ودخل غارا فنسج عليه فجاؤا في طلبه فلم يروه ونسج أيضا على زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه لما صلبوه مجردا من ثيابه ونسج أيضا على داود عليه السلام لما طلبه جالوت قاله القرطبي اهـ من شارح المنهاج لابن الملقن وقولهما كفته أي الاعداء الذين كفته اياهم الحمامة الحصداء أي الكثيرة الريش مأخوذ من قولهم شجرة حصداء أي كثيرة الورق فوصفها أولا بورقاء وثانيا بحصداء لاجتماع المعنيين فيها وروى أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت في أعلاه وقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتقطع وزال نسج العنكبوت وروى أنه قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حوله ولا يرون ما فيه (قوله واختفى) معطوف على وآواه غار أي استتر وقوله على قرب أي مع قرب وقوله مرآه أي محل رؤيته وقوله ومن شدة الظهور بيان لحكمة اختفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم وقربه منهم بحيث لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه لرآه فهو بمنزلة التعليل لما قبله والمراد بالظهور غلبته عليهم والمعونة الالهية التي أمده الله بها وقوله الخفاء أي عنهم أي الخفاء الذي حصل له خرقا للعادة وهو عدم رؤيتهم له واستتاره عنهم أي وكان خفاؤه عنهم وحجبهم عن رؤيته من أجل شدة الظهور الذي أمده الله به وهو المعونة الالهية كما تقدم وروى أن أبا بكر دخل قبله ليقيه بنفسه وأنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفاء فبكى وأنه رأى في الغار أحجارا متعددة فصار يقطع ثوبه ويسد به الاحجار فبقي جحر لم يفضل له شيء من الثوب فجلس فربا منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبي قد نام وجعل رأسه في حجره فصار يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبي فتنبه فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما أصبح سأله النبي عن ثوبه فأخبره الخبر فتوجه ودعا له وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فنودي انه قد استجيب لك وقد جوزي أبو بكر بأن جعلت البركة في عقبه أي نسله الى يوم القيامة وأن ذريته يموتون بتحرك السم في أعقابهم لينالوا مرتبة الشهادة كما مات جدهم أبو بكر بتحرك السم عليه شهيدا وروى ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا أي باللطف والمعونة والنصر وأنزل الله سكينته عليه أي على أبي بكر لانه هو الذي انزعج وهي أمنة تسكن لها القلوب وأيده أي رسول الله بجنود لم تروها أي ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم مكث في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبي بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وسار معهم عامر بن فهيرة فأخذ بهم طريق البحر (قوله ونحا) أي قصد المصطفى على الخلق كلهم المدينة المسماة

بطيبة لأن الله طيبها بهجرته اليها ووقعت له فى طريق الهجرة عجائب منها أنه مر بقديد
على أم معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقى من مر بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبنا أو
لحما يشترونه فلم يجدوا فنظر الى شاة خلفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحباتها
فسألها هل بها لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم فدعا بها
وباناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب
آخرهم ثم حلب ثانيا وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قريش
ولو رأيته لاتبعته وفى سيرة الحلبى أن أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها وأسلم أخوها
أيضا وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة عندهم يحلبونها
ليلا ونهارا الى أن ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا
يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى الظهيرة فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودى
ارتقى مكانا عاليا فرآه مقبلا فصاح فقال هذا جدكم أى حظكم يابنى قيلة أى الاوس والخزرج
وقيلة جدتهم القديمة فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قبل أول
ربيع وقيل ثانى عشره وأدركه على كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة أيام ثم أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وكانوا قبل ذلك يؤرخون
بعام الفيل وأقام بقباء أربع عشرة ليلة وأسس المسجد المشهور بقباء وهو أول مسجد
أسس فى الاسلام ولذا كان الاصح أنه الذى أسس على التقوى من أول يوم ثم ركب من قباء
يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور فى طريق قباء ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور
الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أى ناقته فانها مأمورة وأرخى زمامها
فاستمرت الى أن بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت بباب أبى أيوب رئيس
بنى النجار أخوال عبد المطلب ثم ثارت وبركت فى مبركها الاول ثم صوتت فنزل عنها وقال هذا
المنزل ان شاء الله تعالى وقوله واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل
القرية بل حقيقة اذ لا بدع فى ميل وحب الجمادات له بان يخلق الله تعالى فيها ادراكا حقيقيا
والاصح فى مثل هذا من كل ما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته وقوله من مكة أى
التى هى مولده وأم القرى وقوله الانحاء أى الجهات والنواحى لانها كانت معمورة بانفاسه
واستوحشت بفقده (قوله وتغنت بمدحه) أى أظهرت أوصافه الجميلة فى صورة الغناء الذى
تتولع به النفس ولا يصير فيها ممتنع لغيره وقوله الجن أى المؤمنون منهم وقوله حتى أطرب
الانس أى المؤمنين وغيرهم لان حسن الصوت لا تختلف فيه الطباع وقوله منه أى من
الجن أى من ذلك النوع وقوله ذاك الغناء أى الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند
شدة حزن أو سرور والغناء فى البيت بكسر الغين والمد وهو ما علمت وأما بفتحها والمد فمعناه
النفع وبكسرها والقصر ضد الفقر وذكر أهل السير أن أسماء بنت أبى بكر قالت لما خفى
علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقال أين أبوك
فقلت والله لا أدرى فلطم خدى لطمة حتى خرج منها قرطى ولما لم ندر أين توجه سمعنا صوت
جنى ولم نر شخصه ينشد أبياتا فقال

جزى الله رب الناس خير جزائه • رفيقين حلا خيمتى أم معبد

الى آخر الابيات فلما سمعنا قوله علمنا أين توجه النبى صلى الله عليه وسلم فلما وصل فى سفره الى

وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء

قرب رابغ اقتفى أثره سراقة الخ (قوله واقتفى) أى اتبع أثره أى فى أثره وقوله سراقة بن مالك
المدلجى أسلم عام الفتح وهو الذى ألبسه عمر سوارى كسرى والحامل له على اتباع النبى أن
قريشا جعلت له مائتى بعير لمن يقتلهما أو يأسرهما فركب سراقة مستخفيا خوفا أن يسبقه
غيره على هذه الفائدة فى زعمه فلما دنا منهما عثرت به فرسه فنزل عنها فقام فركبها حتى
سمع قراءة رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فبكى خوفا على النبى وقال يارسول الله
أتينا فقال كلا ودعا بدعوات فاستهوته أى هوت وسقطت به فى الارض صافن أى غاصت
قوائمها فى الارض حتى بلغت الركبتين فنزل عنها فزجرها فقامت فالسين والتاء هنا للتأكيد
لا للطلب والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاث قوائم ويرفع الرابعة عن الارض فيقف
على طرف حافرها وقوله جرداء أى قليلة الشعر قصيرته وهذه الصفة وما قبلها ممدوحتان فى
الخيل وأصل الجرداء الشجرة التى قل ورقها فاستعيرت للفرس القليل الشعر (قوله ثم ناداه)
أى نادى سراقة النبى بعد ما وصل اليه وقال الامان يامحمد وقوله بعد ما سمت ما مصدرية أى
بعد ما قاربت الفرس الخسف أى أن يخسف بها أى بكلها بعد ما قاربت أن تغوص كلها
فى الارض والا فقد خسف بقوائمها الى الركب كما تقدم والخسف بضم أوله وفتحه يقال سمته
خسفا أوليته ذلا أى أوقعته به وقوله وقد ينجد الغريق النداء هذا من الحكم المناسبة هنا
فهو كالعلة لما قبله وقوله النداء أى الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس عليه السلام ولما
طلب الامان قال أعلم أنكما قد دعوتما على فادعوا لى ولكما على أن أرد الناس عنكما ولا
أضركما فوقفا له فركب حتى أتاهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما أخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد
والمتاع فلم يأخذا منى شيئا وقال أخف عنا الخبر أى لا تخبر بنا فسألت النبى كتابا آمن به
منه اذا ظفر بى مرة أخرى فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من أدم فكانت معى فلما
أسرت يوم حنين أخرجتها له فأنفذ الامان ولم ينقضه وأمننى ومن يلوذ بى • (تنبيه) • ذكر
الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع أنه سيذكر وقائع وقعت له قبل الهجرة
بمكة كالاسراء وكان مقتضى الواقع أن يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب فى
الواقع ولعله اهتم بشأن الهجرة فقدمها لتنبيه النفس الى حكمة ذلك وهى أنه انقطع بها
عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى
استأصلهم وقطع دابرهم (قوله فطوى الارض) أى طويت له الارض وقوله سائرا حال أى
سائرا عليها فى هجرته وقوله والسموات معطوف على الارض فهو منصوب بالكسرة وقوله
فوقها له اسراء جملة حالية وغرضه تنظير طى الارض له فى سفر الهجرة بطى السموات له ليلة
المعراج لكن تعبيره بالطى فى الارض يقتضى أنه قطع المسافة على خلاف العادة والمنقول
فى كتب السير أنه قطعها فى ثمانية أيام وهذا هو المعتاد فيها بخلاف التعبير بالطى فى جانب
السموات فهو مسلم لانه ليلة المعراج جاوزها جميعها فى أسرع وقت فى نحو ثلاث ساعات قطع
فيها نحو ثمانية آلاف سنة اذ بين الارض والسماء خمسمائة عام وكذا سمك كل سماء وما بين كل
سماءين وأما ما بعد السماء السابعة فلا يعلمه الا الله عز وجل فيا لهما من مسيرين مسير فى
الارض ومسير فى السماء أظهر الله بهما عظيم قدره وتقدمه على جميع خلقه فى أرضه وسمائه
والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى

واقتفى اثره سراقة فاستهو
ته فى الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سمت الخسـ
ف وقد ينجد الغريق النداء
فطوى الارض سائرا والسموا
ت العلا فوقها له اسراء

(قوله ثمانية آلاف سنة) قال ابن حجر تقطع مسيرة ثمانية آلاف سنة فى أسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا بالنسبة الى السماء السابعة وأما ما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين أو أدنى ولا يعلمه الا الله تعالى فيا لهما من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء أظهر الله عليه فيهما عظم قدره فى سيره واسرائه وأفضليته تقدمه على جميع خلقه فى أرضه وسمائه اه

المستوى أي المكان العالي الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار ولعا شرا الى
العرش والرفرف وسماع الخطاب والكشف الحقيقي لكن لم يجاوز العرش كما هو التحقيق
عند أهل المعاريج (قوله فصف) أيها الناظر في شمائله وخصوصياته وما أكرمه الله به وقوله
الليلة وكانت ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت أقوال وكانت من رمضان أو شوال أو رجب أو
ذي الحجة أو ربيع الأول أو الثاني أقوال وكانت بعد المبعث بخمس سنين أو بعشر أو احدى
عشرة أو ثنتي عشرة أقوال وقد وقع الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس ثم العروج منه الى
السماء ثم الى حيث شاء الله والمعنى اذكر صفاته الجليلة بما يمكنك والأفعال أن تستوعبها وهذه
الليلة أفضل من ليلة القدر في حقه لأنه أعطى فيها من الكرامات ما لا يحيط به الحد وكان
الاسراء والمعراج بجسمه وروحه في اليقظة وهو على هذا الوجه من خصائصه وزعم تعدده
مردود اذ الأصح أنه اسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وقوله كان للمختار صلى الله
عليه وسلم استواء أي استقرار وتمكن مع أنه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه
الآدميون اذ هو دابة أي يشبه الدابة والا فهو ليس بذكر ولا أنثى دون البغل وفوق الحمار
يضع رجله عند منتهى بصره وذكره الناظم باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك من البرق لشدة
سيره وتلخيص قصته أنه أتاه جبريل وميكائيل وملك ثالث بالحطيم أو شعب أبي طالب أو بيته
أو بيت أم هانئ روايات جمع بينها بأنهم أتوه في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب وأضيف
اليه لأنه كان يسكنه فأخرجه الملك منه الى المسجد فأضجعه في الحطيم لأثر نعاس كان به ثم
أخذه وأخرجه من المسجد بعد تمام تيقظه وبعد شق صدره وقلبه وغسلهما فأركبه البراق
وسار به حتى انتهى الى بيت المقدس ووقع له في الطريق عجائب كثيرة وجاء في رواية أن جبريل
ركب معه على البراق وصح أنه مر بيثرب فأمره أن ينزل ويصلي هناك وبمدين فأمره بذلك
وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى فأمره بذلك فلما وصل الى بيت المقدس دخل المسجد فرأى فيه
جميع الأنبياء قيل حضروا بأرواحهم وأجسادهم وقيل بأرواحهم فقط تشكلت في صور
أجسادهم وقيل رفع الله الحجب بينه وبينهم في قبورهم فصلى بهم في المسجد وهم في قبورهم
وتلك الصلاة قبل الصبح وهذا مبني على أنه صلى فيه بعد العود والرجوع وقيل العشاء وهذا
مبني على أنه صلى بهم فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من
ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء
الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السابعة ورأى في الأولى آدم ورأى النيل والفرات
ورأى في الثانية يحيى وعيسى وحكمة كونهما في سماء مع أن كل واحدة غير الثانية فيها نبي
واحد أن عيسى ينزل آخر الزمان فيبقى فيها يحيى فلا تخلو سماء عن نبي وفي الثالثة يوسف وفي
الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم وروى أن
ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة والرواية الأولى
أصح أو يجمع بينهما بأنه رآهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات أخر وحكمة
تخصيص هؤلاء باللقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مما يناسب ما وقع لكل
منهم كالاخراج من مكة فريدا والعود اليها بجنود كثيرة كما وقع لآدم حيث أخرج من الجنة
وحيدا وسيعود لها بجنود لا تحصى وكمعاداة اليهود أوائل الهجرة كما عادت عيسى وأرادت
قتله وكما عادت يحيى وقتلوه وكمعاداة أهله له ورجوعهم الى محبته كما رجع قوم هرون الى محبته

قصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء

(قوله ورأى في الأولى آدم) وعن يمينه أرواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى أي أنه يكشف له عنهم وهم في النار التي هي مستقر أرواحهم اهـ ابن حجر

وكمعالجة قومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة كما وقع لابراهيم واختلف في
رؤيته لهؤلاء الأنبياء في السموات فقيل لأرواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس
على قول وقيل لأرواحهم وأجسادهم فرفعوا تلك الليلة الى تلك المواضع اكراما له وبعد أن
جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى أي كشف له عنها فرآها ورأى النيل والفرات
وسيحان وجيحان تخرج من أصلها ثم جاوزها الى مستوى بفتح الواو وهو المكان العالي
المتسع ثم زج به في النور فخرق سبعين ألف حجاب من نور مسيرة كل حجاب خمسمائة عام ثم دلي
له رفرف أخضر فارتقى به حتى وصل الى العرش ولم يجاوزه فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى
(قوله ورقي) أي صعد البراق به أي بالمصطفى أو رقي المصطفى به أي بالبراق فأفهم كلامه أن
البراق صعد معه الى قاب قوسين وهذا ما دلت عليه رواية البخاري لكن المشهور عند أهل
السير والمعاريج أنه لم يصعد بالبراق ولم يطأ به السموات بل استمر مربوطا بحلقة الباب حتى عاد
ونزل من السموات فركبه الى مكة ثم رده جبريل الى الجنة وقوله الى قاب قوسين قاب القوس
ما بين مقبضه أي محل مسكه باليد عند الرمي وهو وسطه وبين آخره أي المحل الذي يربط فيه
الوتر فلكل قوس قابان ففي الكلام قلب كما في الآية أي تبديل المثنى بالمفرد وعكسه وأصل
التركيب الى قابي قوس والكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية فشبه حاله في قربه من ربه قربا
معنويا بحال أحد الحبيبين في قربه من الآخر اذا انضما ولم يبق بينهما من المسافة الا قدر
قاب القوس واستعير اللفظ الدال على المشبه به واستعمل في المشبه وقوله وتلك أي المرتبة التي
وصل اليها ليلة المعراج وقوله السيادة أي هي السيادة وقوله القعساء أي الثابتة الدائمة التي
لا يطرقها تغير ولا زوال وقد اختلف العلماء في أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه في هذا
المقام بعيني رأسه أو بعيني قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية الأول وفي أخرى
الثاني وقال بعضهم انه رآه مرتين واحدة بالعين وأخرى بالقلب وهذا مبني على تعدد المعراج
ومعنى رؤية القلب على القول بها أن الله خلق في قلبه عينين كعيني الرأس فرأى بهما ولم
يحجبهما قفص البدن ولا الثياب وليس المراد برؤية القلب على هذا القول الحضور والشهود
مع ربه واشتغال البال به دون غيره لأن هذا الحال والمقام لا ينفك عنه صلى الله عليه وسلم بل
قد يصل اليه بعض الأولياء واذا تأملت ما وقع له ليلة الاسراء من الكرامات التي تميز بها على
سائر الخلق علمت أنها رتب الخ (قوله رتب) تنوينه للتعظيم أي عظيمة جليلة أي ما ناله تلك
الليلة من أنواع القرب المعنوي والكرامات رتب تسقط الأماني جمع أمنية وهي ما يطلب
ويطمع في حصوله وقوله حسرى جمع حسير من حسر بمعنى أعيا أي حالة كونها حسرى أي
ضعيفة عن تلك المراتب وقوله دونها ظرف لتسقط أي لجلالة هذه المراتب وعزتها على الخلق
سقطت أمانيهم ومطالبهم وآمالهم عن نيل هذه المراتب فلم يستطيعوا التوجه اليها وطلبها
حالة كونهم عاجزين عن التأهل لها وكيف لا وهي ما وراءهن وراء أي ما قدامهن قدام فوراء
بمعنى قدام والمعنى أنه ليس قدامهن مرتبة أخرى يطمع مخلوق في نيلها (قوله ثم وافى) أي وصل
الى مكة قبل الصبح وكان مقدار غيبته عنها ثلاث ساعات وقوله يحدث الناس جملة حالية أي
يحدثهم بما رأى من تلك العجائب والكرامات لكن لم يحدث ولم يخبر صبيحة الاسراء بالعروج
الى السماء بل اقتصر على الاخبار بالذهاب الى بيت المقدس وقوله شكرا مفعول لأجله
أو حال وقوله اذ أتته اذ تعليلية أو ظرفية أي أتته في تلك الليلة وقوله النعماء جمع أنعم جمع نعم

ورقي بها الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأماني حسرى دونها ما وراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا اذ أتته من ربه النعماء

قوله ثم وافى الخ) وحينئذ ارتد ناس كانوا أسلموا فذهب المشركون لأبي بكر رضي الله عنه وذكروا له أنه يخبر أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة فقال صدق فلذلك سمي الصديق رواه الحاكم في مستدركه وابن اسحق وزاد ان أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جئته فوصفه له كأنه ينظر اليه رفع اليه فجعل ينظر اليه ويصفه وأبو بكر يصدقه اهـ ابن حجر

وتحدى فارتاب كل مريب
أو يبقى مع السيول الغثاء
وهو يدعو الى الاله وان شـ
ـق عليه كفر به وازدراء

ولما تحدث بالاسراء وأخبر به ارتد ناس كانوا أسلموا فذهب المشركون الى أبي بكر وذكروا له
أنه يخبر أنه ذهب الى بيت المقدس قال نعم فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو أبعد من
ذلك فى خبر السماء وروى أن أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم
قال صفه لى فانى جئته ولم يكن صلى الله عليه وسلم قد تثبت أوصافه فى الليل فرفعه الله اليه
ونقله الى مكة عند دار عقيل فجعل صلى الله عليه وسلم ينظر اليه وغيره لا يراه ويخبر بجميع
صفاته تفصيلا وهذا كما حمل عرش بلقيس وجىء به الى سليمان فى طرفة عين وقول أبى بكر له
صفه لى ليس امتحانا وانما هو ليظهر صدقه لهم ويرد عليهم فى تكذيبه وقيل ان المسجد لم ينقل
وانما أزيلت الحجب بينه وبينه وخلق الله فيه قوة رؤيته وهو فى محله وبهذا ظهرت الحكمة
فى الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما تقرر ان فيهم من رآه وعرفه فوصفه
لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط ومما أخبرهم به أنه قال لهم ان من آية ما أقول لكم أنى
مررت بعير لكم بالروحاء موضع على أربعين ميلا من المدينة وقد أضلوا بعيرا فجمعه فلان وهى
تأتيكم يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كادت الشمس أن
تغرب ولم تأت العير فكرب صلى الله عليه وسلم كربا شديدا فحبس الله له الشمس حتى أتت
العير قبل الغروب (قوله وتحدى) معطوف على وافى أى تحدى كفار مكة وغيرهم بما وقع له
ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات أى طلب منهم أن يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته
وصدقه بابداء نظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين وقوله فارتاب أى شك أى انقطع وحرس
وعجز عن المعارضة فالارتياب مستعمل فى لازمه وهو الانقطاع وقوله كل مريب أى مرتاب
فمريب اسم فاعل من أراب زيد بمعنى ارتاب فهو اسم فاعل من اللازم وليس من أراب
المتعدى كما هو ظاهر ويلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح أمره وأنه لم يبق فيه شك
ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده شىء من ذلك أو يبقى والهمزة داخلة على مقدر
والواو عاطفة على ذلك المقدر والتقدير أيتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما
بقى معه شك أصلا وكيف يبقى مع السيول الخ وما تقرر من التقدير بعد همزة الاستفهام هو
رأى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف مذهب الجمهور وهو أن لا تقدير فى
الكلام بل فيه تقديم وتأخير فالهمزة مقدمة على الواو وأصل الكلام وأيبقى الخ وقوله مع
السيول حال من الغثاء الذى هو فاعل وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من
النبات فكما أن الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويزيله فكذلك ما جاء به النبى صلى الله
عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه شك بل يذهب ويضمحل
فالسيول استعارة تصريحية لما أتى به ووجه الشبه أن بكل الحياة وان كانت فى السيول
حسية وفى الآيات والبراهين معنوية والغثاء استعارة تصريحية أيضا لما يتخيلونه لانه أمر
حقير لا بقاء له كما أن الغثاء كذلك (قوله وهو يدعو) حال من فاعل تحدى أى تحدى الناس
والحال أنه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء وقوله الى الاله أى
المعبود بحق الذى لا يعبد غيره وقوله كفر به أى به نفسه أو بالاله وقوله وازدراء أى احتقار
وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبح كفرهم وازدرائهم به فكان
يدور عليهم فى منازلهم ويخاطبهم بما يكرهون ولا يبالى بقوتهم وشوكتهم ويقول اعبدوا الله
وحده واتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام وروى أحمد فى مسنده أول من أظهر الاسلام

وبدل الورى على الله بالتو
حيد وهو المحجة البيضاء
فبما رحمة من الله لانت
صخرة من ابائهم صماء
واستجابت له بنصر وفتح
بعد ذاك الخضراء والغبراء

سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد
فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من القتل بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه الله
بقومه لانهم كانوا أصحاب قوة وشوكة وأما بقية السبعة فأخذهم المشركون فألبسوهم
أدراع الحديد وألقوهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله وهان على قومه
فأخذوه وأعطوه للولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد أى يمزج
مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب
فطعنها بحربة فى فرجها فماتت وهى أول شهيد فى الاسلام وجاء أن أبا بكر أعتق ممن كان
يعذب فى الله سبعة (قوله وبدل الورى) أى الخلق ففيه اشارة الى أنه أرسل الى الخلق كافة
أما الانس والجن فبالاجماع المعلوم بالضرورة يكفر منكره وأما الملائكة فعلى الاصح
وأما الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققى المتأخرين ومعنى ارساله للملائكة أنهم مكلفون
بتعظيمه والايمان به واشاعة ذكره ومعنى ارساله للجمادات أنه ركب فيها ادراكا لتؤمن
به وتخضع له وقوله على الله أى على العلم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وما يجب له وما يستحيل
عليه وما يجوز فى حقه وقوله بالتوحيد أى بطلبه منهم أن يوحدوه بان يقروا بانه واحد فى ذاته
وفى صفاته وأفعاله وظاهر المتن ان الباء فى بالتوحيد باء الآلة ككتبت بالقلم ويوجه بان العلم
بالتوحيد كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله وصفاته وأفعاله وقوله وهو أى العلم
المذكور والدلالة عليه وقوله المحجة أى كالمحجة ففيه تشبيه بحذف الأداة أى الطريق الى
رضا الله التى أمر بها وحث عليها وقوله البيضاء أى النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل
سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة (قوله فبما رحمة) ما زائدة أى فلما صبر على تبليغهم
مع ما حصل له منهم مما أشار اليه بقوله وان شق عليه الخ أطاع الله أكثرهم حتى صاروا
من أكابر أتباعه فالمراد رحمة من الله واصلة اليه ويحتمل أن المراد أنها واصلة اليهم من الله أى
فبسبب رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسول الله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه ما ذكره أيقظ قلوبهم وأزال ما فيها من كبر
وغى فحينئذ لانت صخرة هى الحجر العظيم وقوله من ابائهم بيان للصخرة أى امتناعهم وقوله صماء
أى صلبة لا تؤثر فيها المعاول على خلاف العادة ففى الكلام تشبيه بليغ حيث شبه اباءهم
أى امتناعهم بالصخرة التى هى فى غاية الصلابة كما أنهم كانوا أولا فى غاية النفرة والبغض
وفى لانت استعارة تصريحية تبعية حيث شبه اتباعهم له وانقيادهم لاوامره ونواهيه بزوال
صلابة الصخرة واستعار اسمه وهو اللين واشتق منه لانت (قوله واستجابت له) أى وبعد أن
لانوا له ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له أى أجابت دعوته وقوله بنصر وفتح
الباء سببية أو بمعنى مع أى مع أو بسبب ما أعطاه الله من النصر على الاعداء والقاء الرعب
فى قلوبهم والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم وقوله بعد ذاك أى الضعف الذى كان به وبأتباعه
لقلتهم ولتحريم قتال الاعداء وقوله الخضراء أى السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك وبين
النووى سبب ذلك فقال بلغنا خبر أن صخرة تحت الارض خضراء منها ترى خضرة السماء
وليست فى الحقيقة كذلك ولا يمنع جرم الارض من ظهور خضرة الصخرة التى تحتها فى السماء
خرقا للعادة وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف أى ممنوع من السيلان بقدرة
الله تعالى والثانية من مرمرة بيضاء والمرمر الرخام والثالثة من حديد والرابعة من نحاس

(قوله وقوله الخضراء) قال
القاسم بن أبى بزة ليست السماء
مربعة لكنها مقبوة يراها
الناس خضراء وبين النووى
سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة
تحت الارض خضراء كما فى
حديث البزار وغيره منها
خضرة السماء وليست فى
الحقيقة كذلك للحديث انهم
قالوا يا رسول الله ما هذه السماء
قال هذا موج مكفوف عنكم
ومن ثم سئل ابن عباس رضى
الله عنهما السماء من أى شىء
فقال انها من موج مكفوف
اه ابن حجر

وأطاعت لامره العرب العر
باء والجاهلية الجهلاء
وتوالت للمصطفى الآية الكب
رى عليهم والغارة الشعواء
واذا ما تلا كتابا من الله
تلته كتيبة خضراء
وكفاه المستهزئين وكم سا
ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ
بيت فيها للظالمين فناء

(قوله كتيبة الخ) وهى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل مكة وهو فيها على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير ولما رآها أبو سفيان رأى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى البخارى عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع اه ابن حجر

والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وقوله والغبراء أى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من الطين ومعنى استجابة السماء والارض له استجابة أهلهما ويحتمل أنه استعمل السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع أى أجابه الرفيع والوضيع اذ لم يبق الا مسلم أو مسالم وعلى الاحتمال الاول فتقييد الناظم استجابة أهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر وأما تقييده استجابة أهل السماء بها فهو بمعنى أنه لم تنزل الملائكة تنصره الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء الرعب فى قلوبهم والاذن فى الجهاد والفتح عليه (قوله وأطاعت) أى ومن جملة استجابة أهل الارض له أنه أطاعت لامره أى ونهيه وفيه اكتفاء وقوله العرب بفتحتين وان كان يجوز فيه أيضا الضم فالسكون وقوله العرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وقوله والجاهلية الجهلاء بضم الجيم وفتح الهاء البالغون فى الجهل الكثير جهلهم كرجل ضحكة أى كثير الضحك وخص هذين بالذكر لان تصميمها على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما (قوله وتوالت) أى تتابعت وقوله للمصطفى حال من الآية الذى هو الفاعل أى حال كونها مضافة اليه لا لمن قبله من الانبياء وقوله الآية أل فيه جنسية فهو فى معنى الآيات وأيضا فالتوالى انما يكون فى متعدد أى العلامات الدالة على نبوته وقوله الكبرى كالقرآن وانشقاق القمر وقوله عليهم متعلق بتوالت وقوله والغارة أى وتوالت عليهم أيضا الغارة على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وهى اسم مصدر لأغار وهى الاخذ على غفلة وقوله الشعواء أى الفاشية المتفرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب (قوله واذا ما تلا) ما زائدة أى وبعد أن استجابت له أهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكثرت أتباعه جدا حتى صار اذا تلا كتابا من الله أى أنزل عليه من الله تعالى وهو القرآن وقوله تلته أى تبعته لاجل القراءة معه أو استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه وقوله كتيبة فاعل بتلته لكن الشارح أخرجه عن هذا وقال لاسيما كتيبة بالفوقية أى جيش وقوله خضراء أى يعلوها سواد السلاح والحديد وعكس هذا سواد العراق لانه لكثرة أشجاره يرى من البعد سوادا وهى كتيبته التى دخل مكة وهو فيها على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الفتح (قوله وكفاه) ربه فضلا منه وكرما وقوله المستهزئين أى الجماعة الاشقياء الذين زادوا فى ايذائه والعتو عليه كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به أى تولى الله اهلاكهم قال الحافظ ابن حجر لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص وكان اسلامه مع ذلك مدخولا ومع تولى الله تعالى اهلاك المستهزئين به سلاه فأعلمه أن هذا ليس خاصا به بل وقع للانبياء قبله مثله بقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فاقتبس المصنف هذه العبارة من هذه الآية كآية ولقد استهزئ برسل من قبلك وقوله وكم أى مرات كثيرة فكم خبرية وقوله ساء أى أحزن وقوله من قومه متعلق بقوله استهزاء أى سخرية وايذاء (قوله ورماهم) أى أصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه وقوله من فناء البيت بكسر الفاء والمد وهو المكان المتسع أمام الدار ومن بمعنى فى صفة لدعوة أى فى حوالى الكعبة وجهاتها وقوله فيها أى تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين أن سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه وقوله فناء بفتح الفاء أى استئصال لهم حتى لم يبق منهم أحد (قوله

خمسة

خمسة كلهم أصيبوا بداء
والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أيـ
ى عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث
أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم
قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا
ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا
ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار
ض فكف الاذى بهم شلاء

خمسة) بدل من المستهزئين أو من الظالمين ويصح رفعه على أنه خبر مبتدا محذوف وخص الخمسة بالذكر مع أن المستهزئين أكثر من هؤلاء الخمسة اذ منهم أبو لهب وزوجته وعقبة بن أبى معيط والحكم بن العاص لان هؤلاء الخمسة كانوا أشد من غيرهم فى ايذائه ولذا عجلت عقوبتهم وقوله بداء أى عظيم وقوله والردى أى الهلاك وقوله من جنوده أى من جملة جنوده المعينة عليه وقوله الادواء جمع داء وهو المرض وهذا كالتعليل لما قبله أى انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل أسباب الردى حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا (قوله فدهى الاسود الخ) شروع فى تفصيل ذلك الداء الذى أهلكهم الله به وفى بيان أسماء الخمسة المصابين به وقوله فدهى من الداهية وهى الامر العظيم المهلك وقوله أى عمى فاعل أى عمى عظيم لانه كما أطمس بصره أطمس بصيرته ولبس العمى الاعمى البصيرة وقوله ميت به أى بسبب ذلك العمى وقوله الاحياء أى صار بسببه الاحياء فى حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل أن المراد أن عماه كان سببا لموته بالفعل على خلاف العادة مبالغة فى هلاك ذلك اللعين وميت مبتدأ والاحياء فاعل أغنى عن الخبر أى من شأن هذا العمى أنه لو وقع للاحياء صاروا به فى حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة والجملة مؤكدة لما أفاده تنوين عمى أى هو عمى بصيرة وبصر وكون ميت مبتدأ مع عدم اعتماده انما هو على رأى الكوفيين وقد قال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب (قوله ودهى الاسود) أى أصابه بداهية وقوله الردى أى الموت وقوله استسقاء أى أصابه هذا المرض المشهور واستمر به حتى أهلكه وهو داء خبيث على أنواع المراد منها ههنا الزقى وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك على قرب وتشبيه الردى بالمشروب استعارة بالكناية واثبات الكاس والسقى اللذين هما من لوازم المشبه به استعارة تخييلية (قوله وأصاب الوليد) أى ابن المغيرة وقوله خدشة سهم أى أثر جرحه بأسفل رجله من شخص فى يده نبل وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر أن يهوى لقلعها فضرب بها بالسوط فأصابت رجله فتاكلت ومات منها وكان ذلك قبل وقعة بدر وكان سم ذلك أسرع الى هلاكه وأشنع من سم الافاعى فلذلك قال قصرت عنها أى عن تلك الخدشة الحية الرقطاء أى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى أعظم الحيات أذى وأسرعها اهلاكا ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل أن الحية قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لاسيما وهى من آثار تلك الدعوة المقبولة التى رماهم بها من فناء البيت (قوله وقضت شوكة) أى دخلت فى أخمص رجله وقوله العاص بن وائل أى قتلته قتلا عجيبا وقوله فلله صيغة تعجب من تأثير هذه الشوكة وقوله النقعة من قولهم الناس نقائع الموت أى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة أى البهيمة التى تذبح فى الموت وقوله الشوكاء من قولهم بردة شوكاء أى خشنة الملمس أى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فلله درها من شوكة نحرته فى أسرع وقت (قوله وعلى الحرث) معطوف على مهجة العاص أى وقضت على مهجة الحرث القيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التى لا يخالطها دم وقوله وقد سال جملة حالية وقوله وساء الوعاء أى قبح ذلك الرأس الذى هو الوعاء لتلك القيوح القاتلة لصاحبه (قوله خمسة) أى هؤلاء الملاعين خمسة طهرت بقطعهم أى هلاكهم الارض أى مكة ونواحيها أو مطلقا لان ضررهم سرى الى جميع الجهات وقوله فكف الاذى أى الذى حصل للناس منهم لاسيما

نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله بهم على حذف مضاف والباء سببية أو بمعنى مع أى بسبب فقدهم وقطعهم أو معهم وقوله شلاء أى فاقدة الحركة فعلم أنه شبه الاذى بانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم أثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان أن الاذى صار بفقدهم معطلا لا حركة فيه ولا تأثير ففى الكلام استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح (قوله فديت) بالبناء للمفعول يقال فدى لك بفتح أوله فيقصر و بكسره فيمد وهذه الجملة دعاء متضمن للتعظيم فهى خبر لفظا انشاء معنى فالمعنى اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله خمسة الصحيفة الآتى بيانهم وكانوا وقت نقضها كفارا وأسلم منهم بعد ذلك اثنان هشام وزهير وبقيتهم ماتوا كفارا وقوله بالخمسة أى الملاعين السابق ذكرهم أى جعلت جملة الخمسة فداء لكل واحد من أولئك من كل مكروه فليست المقابلة هنا من قبيل ركب القوم دوابهم وقوله ان كان ان شرطية جزاؤها محذوف يدل عليه ما قبلها تقديره فاسأل الله فداءهم والمراد الفداء من عذاب النار بالنسبة لمن مات منهم كافرا لكنه لا فداء للكفار منهم فلا أسأله وأما بالنسبة لمن أسلم منهم فلا يظهر فيه كلام الناظم لانه لا يحتاج الى فداء لمونه سعيدا ولا يصح أن المراد الفداء من الموت لانهم ماتوا قبل الناظم بزمان طويل فلا يصح أن يسأل فداءهم من الموت وقوله للكرام فداء أى وأولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم فى أمر عظيم جدا كما يعلم من القصة وحاصلها ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليه وسلم بفشو الاسلام فى القبائل و بأمره بضعة عشر من أصحابه بالهجرة الى الحبشة واستمرارهم فيها منهم عثمان و زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة خمس من النبوة أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة ابن الوليد وكان أعز فتى فيهم وطلبوا منه أن يأخذه بدل ابن أخيه فأبى حمية وغيرة على عادة الاقارب وجمع بنى هاشم وبنى المطلب فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم وهو المكان الضيق بين الجبلين ونسب اليهم لانه كان مسكنهم ومنعوه ممن أراد قتله فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه ويتعاهدون على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط بعضهم وهو منصور بن عكرمة فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تأكيدا فى حفظها وبقائها وكان ذلك فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم و بنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا حتى ان حكيم بن حزام ابن أخت خديجة عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام حمل غلامه حبارية به عمته خديجة فلقيه أبو جهل فمنعه فلما مضت تلك المدة قام أولئك الخمسة فى نقضها وكان رئيسهم هشام بن الحرث أول من مشى فى نقضها لعزته بعمه لامه الذى هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان يواصل بنى هاشم فيأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام فمشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال أرضيت أن نأكل الطعام

فديت خمسة الصحيفة بالخمـ
ـسة ان كان للكرام فداء

(قوله فديت الخ) وأولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم فى أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهى أن قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بضعة عشر من أصحابه منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبى بالهجرة الى الحبشة واسلام حمزة ثم عمر أجمعوا على أن يقتلوه فبلغ ذلك أباطالب فأتوا اليه بعمارة ابن الوليد ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع قومه وأدخله صلى الله عليه وسلم شعبهم خوفا عليه اه ابن حجر

ونلبس الثياب وننكح النساء وأخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت معى رجلا لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغ أى اطلب لنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنخاه أى عظمه بالمدح يقال استنخاه اذا عظمه بالمدح حتى قال لو وجدت رجلا قال أنا معك وزهير بن أبى أمية قال ابغ لنا رابعا فذهب الى أبى البخترى فاستنخاه أيضا فقال وهل من معين فذكر له أولئك فقال ابغ لنا خامسا فذهب الى زمعة واستنخاه فقال هل من أحد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وأنا أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير فى حلة جميلة فطاف سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة انا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم كالزون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة أنت والله أكذب أى من كل كاذب لا من زهير ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال أبو البخترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال أبو جهل هذا أمر قد قضى بليل اشتور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا ما كان من اسم الله ولا يعارض ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابى طالب ياعم ان ربى سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم فأخبرهم أبو طالب بذلك وقال أنزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه وسلم وذلك لانه لا مانع أنهم لما نظروا ذلك صمموا وازدادوا شرا فقام أولئك الخمسة فى اذهابها من أصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه (قوله فتية) أى اذا تقرر ذلك علم أنهم فتية أى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم وقوله بيتوا أى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا وقوله على فعل خير هو نقضها والمخاطرة بالنفوس دونه لشدة قريش فى بقائها مع كثرتهم وعتوهم وقوله حمد الصبح بكسر الميم أى الفجر الى الزوال ويدل على الثانى المقابلة بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب وقوله أمره أى شأنه وغايته واسناد الحمد الى هذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء أولى وأحق (قوله يا لأمر) بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا كان مفيد التعجب وقوله بعد هشام أى ابن الحرث وقدمه لما مر من أنه أول الخمسة والسبب فى اجتماعهم وقوله زمعة بفتح الزاى وسكون الميم ابن الاسود وقوله انه بالكسر استئناف فيه معنى التعليل وقوله الفتى أى الكريم فى قومه وقوله الاناء صيغة مبالغة من أنى يأتى ووصفه بذلك لكونه بادر بتكذيب أبى جهل (قوله وزهير) أى ابن أبى أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأبو البخترى بضم الباء الموحدة وسكون الخاء المهملة وضم التاء الفوقية وقوله من حيث شاؤا ظرف مكان حقيقة أو مجازا أى من المكان الذى قصدوه لتدبير أمرهم ولتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه وأنتج الانتاج الذى دبروه فالمعنى وأتى هؤلاء الخمسة النقض لا عن غير ميعاد واتفاق ومواطأة بل انما أتوه اتيانا كائنا من حيث شاؤا (قوله نقضوا) بدل من فعل خير من نقض العهد أى أبطله وقوله مبرم أى محكم وأصله كابرام الحبل الذى جمع من مفتولين

فتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح أمرهم والمساء

يالأمر أتاه بعد هشام
زمعة انه الفتى الاتاء

وزهير والمطعم بن عدى
وأبو البخترى من حيث شاؤا

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد
دت عليهم من العدا الانداء

(قول المحشى أى الفجر الى الزوال الخ) فى عبارته سقط وعبارة ابن حجر حمد الصبح أى الفجر أو الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب اه وقول المحشى أمره بضمير المفرد ومثله فى ابن حجر و يكون الضمير راجعا للخير وفى نسخ المتن أمرهم فالضمير للفتية

وقبلا حبلا واحدا وقوله الصحيفة أى التى توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا أن يسلم
بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وقوله اذ شدت أى وقت أو لاجل اذ
شدت أى صممت عليه أى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها وقوله من العدا بيان لقوله
الانداء جمع ناد وهو العشيرة فالمراد بالانداء هنا القبائل والعشائر وان كان أصل النادى
المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر فسمى من فيه باسمه اطلاقا لاسم المحل على الحال
فيه أى نقضوا هذا الامر المبرم الذى نواه عشائرهم وصمموا عليه (قوله أذ كرتنا) أى بعد
نسيانا هذا هو الذى يقتضيه التعبير بالاذكار لكن لا يظهر فى مثل المصنف ممن يخالط
القرآن اذ هذه القصة منصوصة فيه لا تغيب عنه فيحمل الاذكار بالنسبة لمثله على التنبيه
والايقاظ فى بعض الاوقات وهذه الجملة استئنافية قصد بها بيان أن لا أكل الارضة الصحيفة
نظير اهو أكلها العصا سليمان وقوله بأكلها أى لتلك الصحيفة والضمير للارضة الآتية
التى هى الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وقوله أكل مفعول ثان لاذكرت وقوله منساة
سليمان أى عصاه وهو ابن داود عليهما الصلاة والسلام وقوله الارضة بفتح الراء وقد تسكن
كما هنا وهى دويبة تأكل حتى الخشب أكلا ذريعا فاذا تم لها سنة خلق لها جناحان فتطير
بهما وقوله الخرساء فيه تعجب من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير واثبات
الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شأنه النطق • وحاصل قصتها أن داود عليه
السلام شرع فى بناء بيت المقدس أى فى اعادته بعد انهدامه والا فأول من بناه آدم عليه
السلام بعد بناء الكعبة بأربعين سنة فمات داود قبل اكماله وأوصى ابنه سليمان بأن يتمه
فسخر سليمان الجن للبناء فيه والاعمال الشاقة فصاروا يكملون فيه الى أن علم سليمان أن
أجله قد قرب فأمرهم ببناء قصر من زجاج ففعلوا فدخل فيه وأغلق بابه واستند على العصا
فمات واستمر سنة وهو واقف مستند ميت وهم يدأبون فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة
لاعتقادهم حياته ثم خر ساقطا فرأوه من خارج القصر ففتحوا عليه فرأوه ميتا فاختبروا مدة
موته فوضعوا أرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة فعرفوا مقدار ما أكلته وعرفوا به أنه
ميت من سنة وتبين لهم كذبهم فى ادعائهم علم الغيب كما قال تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية
(قوله وبها) أى وبأكلها للصحيفة فالضمير عائد على الاكل وانثه لاكتسابه التأنيث من
المضاف اليه وهو المنساة وقوله أخبر النبى أى عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا كما مر وقوله وكم
أى مرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم خبأ بفتح الخاء أى شيأ مخبأ أى مغيبا ومعنى
اخراجه له اظهاره ونصه عليه وقوله له الغيوب خباء الجملة نعت لخبأ أى سائرة أى كانت
مستورة ومغيبة قبل اخباره عنها واعلم أن الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وأن ما يحصل
لانبيائه وأوليائه منه فهو اما بوحى من الله أو الهام واعلم أيضا أن المغيبات التى أخبر عنها
لا تنحصر ومن جملتها ما فى القرآن مع كثرته وخبر الطبرانى أن الله قد رفع لى الدنيا وأنا أنظر
اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر الى كفى هذا وخبر أبى داود قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به واخباره
بأمارات الساعة الكثيرة جدا فوقع منها كثير وينتظر وقوع الباقى ومما وقع منها النار
التى قال عنها كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها
أعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة وتقدمها زلزلة عظيمة

اذ كرتنا بأكلها أكل منسا
ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبى وكم أخـ
ـرج خبأ له الغيوب خباء

(قوله واعلم أيضا أن المغيبات
التى أخبر عنها الخ) ومن ذلك
موت النجاشى يوم مات بالحبشة
وصلى عليه بأصحابه وأنه وأبا
بكر وعمر وعثمان صعدوا
أحدا فتحرك فضربه برجله
وقال له أثبت فانما عليك نبى
وصديق وشهيدان فاستشهدا
وأن ملك كسرى وقيصر
ينقطع بعده من العراق
والشام فكان كذلك فى زمن
عمر وأنه قال لسراقة كيف
بك اذا لبست سوارى كسرى
فألبسهما عمر له لما زال ملك
كسرى فى زمنه تحقيقا لذلك
وأخبر عمه العباس ببدر بما
تركه بمكة من المال عند زوجته
ولم يطلع عليه أحد غيرهما
اه من ابن حجر

وكان ذلك بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة
ولم تزل تشتد وتغلى كغليان البحر الى أن ارتجت منها الارض ومن عليها حتى أيقن أهل المدينة
بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم ثمان عشرة زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه
وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورؤيت منها مكة وجبال بصرى وانطفأت ليلة سبع
وعشرين من رجب فتكون مدتها أربعة وخمسين يوما وقد أوسع المؤرخون فى أخبارها بما
يطول استقصاؤه (قوله لا تخل) بفتح التاء الفوقية من خلت الشئ ظننته وهذا فى المعنى
متفرع على ما قبله فكأنه قال واذا تأملت ما أطلعه الله عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق
بأمر الصحيفة علمت أن ذلك من تمام عناية ربه به وأنه لا يضيعه ولا يهمله ولا يضيمه قط فحينئذ
لا تخل جانب النبى هو فى الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل
فالاضافة بيانية وقوله مضاما أى مضيعا وقوله حين مسته ظرف لمضاما وقوله منهم متعلق
بقوله الاسواء أى الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه وشج وجهه وغير
ذلك (قوله كل أمر) أى من الامور العظيمة الخ نبه بهذا على أن ما أصابه من الاذيات له فيه
أسوة بالانبياء قبله اذ أصابهم من أممهم مثل ذلك بل أكثر لكن كل أمر نابَ أى أصاب
النبيين فالشدة فيه أى التى تحصل لهم منه وقوله محمودة أى لانها ترفع درجاتهم العلية لانهم
أكثر الناس شهودا لفعل الله تعالى سواء وقع على يد مسلم أو كافر فلا ينظرون الى الاسباب
الظاهرة وانما يشهدون الحق تعالى فى كل شئ وقوله والرخاء أى السعة محمود أيضا لانهم
لا يشهدون الا الحق دائما وأبدا (قوله لو يمس الخ) بمنزلة التعليل لما قبله والنضار الذهب
وهو بضم النون وقوله هون بضم الهاء أى هوان وعيب وقوله من النار أى من ادخاله فيها
لاختبار خلوصه من الغش والنقص وقوله الصلاء بكسر الصاد المهملة المشددة أى العرض
على النار وذلك لعزته على النفوس فالانبياء كالذهب والشدائد التى تصيبهم كاصابة النار
للذهب فكما أن النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة (قوله
كم يد) أى جارحة وكم خبرية تكثيرية وهذا كالدليل لقوله لا تخل جانب النبى وقوله كفها الله
أى منعها وخذلها وقوله وفى الخلق جملة حالية وقوله واجتراء أى شجاعة واقدام على كل
فعل خطر لهم من غير نظر فى عاقبته وصح أنه مر ذات يوم على كفار قريش وهم عند الكعبة
فآذوه ثم مر عليهم ثانيا فأساؤه ثم ثالثا كذلك فوقف على رؤسهم ولم يكن معه أحد من
أصحابه وقال يا كفار قريش أتدرون ما جئتكم به والله لقد جئتكم بالذبح فوقعت هذه
الكلمة فى قلوبهم موقعا عظيما وخافوه منه وألانوا له القول وقالوا اذهب يا أبا القاسم فوالله
ما عهدت جهولا وان جهلنا عليك (قوله اذ دعا) ظرف لقوله كفها أى طلب من كونه
وحده العباد أى كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات
وقوله وأمست معطوف على دعا أى حصلت فان أمسى يستعمل كثيرا بمعنى الحصول وقوله
فى كل مقلة أى منهم وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض وقوله أقذاء جمع قذى
وهو ما يسقط فى العين مما يؤلمها ويكدرها وهذا معنى المقلة والقذى فى الاصل لكن المراد
بالمقلة هنا عين بصيرتهم والقذى ما حصل لهم فيها من الرين والصدا الحاجب عن الايمان
ويصح بقاء المقلة والقذى على معناهما الاصلى الذى عرفته ويكون الكلام على سبيل
المبالغة أى فكأن أعينهم مرضت بالفعل وأصابها الرمد من حيث انها لا تطيق مقابلته

لا تخل جانب النبى مضاما
حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشد
دة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا
ر لما اختير للنضار الصلاء
كم يد عن نبيه كفها اللـه
وفى الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وأمست
منه فى كل مقلة أقذاء

(قوله اذ دعا وحده الخ) قال
العلامة ابن حجر وذلك لانه
صلى الله عليه وسلم فى ابتداء
أمره مع وحدته وقلة عضده
وناصره كان يدعوهم الى
الايمان بالله وحده وينادى
عليهم فى أنديتهم بتسفيه
أحلامهم وسب آلهتهم ورميها
بكل عيب وسوء فيبالغون حتى
أقرب قرابته كعمه أبى لهب
فى ايذائه والتجرى عليه
لكثرتهم ووحدته وهو مع
ذلك محروس بحراسة الله
مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه
معتمد على ما هو فيه غير ملتفت
لايذائهم بل صابر عليه الصبر
الجميل وأمره لا يزداد الا
ظهورا وعلوا وأصحابه وأعوانه
يكثرون ويتقوون على
أعدائهم شيأ فشيأ الى أن مكنه
الله تعالى من نواصى أعدائه

هم قوم بقتله فأبى السيـ
ف وفاء وفاءت الصفواء
وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـ
ـل اليه كأنه العنقاء
واقتضاه النبى دين الاراشيـ
ى وقد ساء بيعه والشراء

فأذاق من بقى منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان ومما ينبئك بعظيم ابذائهم له ونصره عليهم ما ذكره أهل السير أن عمرو بن العاص قال للزبير ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أن أشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فأساءوه ثم مر بهم فأساءوه فوقف فقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذتهم كلمة وارتعدت منها فرائصهم

ولا النظر اليه فكأنها تضعف ويصيبها القذى اذا توجه اليهم وشافههم بالامر بالتوحيد والنهى عن غيره (قوله هم قوم) أراد بهم هنا ما يشمل النساء وهذا دليل آخر على قوله كم يد كفها الله عن نبيه وقوله بقتله أى بالسيف وقوله فأبى السيف أى امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه وقوله وفاء أى لاجل وفائه بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع له غير مرة فقد جاء أنه كان ذات يوم نائما تحت شجرة وقد علق سيفه بها فجاء أعرابى فأخذ السيف واستله من غمده وهم بقتله صلى الله عليه وسلم فتيقظ فقال الاعرابى من يمنعك منى قال الله فارتعد الاعرابى وسقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال الاعرابى كن خير آخذ بالمعروف فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس فأسلموا وقوله وفاءت أى رجعت على رأسها وقوله الصفواء أى الحجارة وهى جمع صفاة أى رجعت عن اصابته بل جدت فى يد راميها الذى هم أيضا بقتله (قوله وأبو جهل) معطوف على قوم أى وهم أبو جهل عمرو بن هشام بقتله وذلك أنه اجتمع مع قريش يوما فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ فى انذارهم وسب آلهتهم ثم انصرف عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون منه وانى أعاهد الله أن أجلس له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فلما أصبح فعل كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره فقالوا له ما شأنك يا أبا الحكم قال قمت اليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وأنيابه فهم بى أن يأكلنى وقد قال صلى الله عليه وسلم فى تفسير ذلك الفحل انه جبريل ولو دنا أبو جهل منى لاخذه وقوله اذ رأى ظرف لهم المقدر كما علمت أى وهم أيضا بقتله بالحجر أبو جهل وقت أن رأى عنق الفحل بسكون النون وضمها لغة والضم هنا متعين لاجل النظم وقوله اليه متعلق بمحذوف أى بارزا أو ممتدا اليه وقوله كأنه العنقاء أى الداهية العظيمة أو الطائر العظيم المعروف فقد قيل ان العنقاء كانت طيرا عظيما فى قطر الحجاز وجدت بعد عيسى عليه السلام وفرخت وكانت تختطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان قبل نبوته وانه كان بين عيسى ونبينا والاصح خلافه فدعا الله تعالى فهلكت هى وفروخها ولم توجد بعد أصلا فصارت العنقاء بعد ذلك اسما دون مسمى وما تقرر من أن أبا جهل معطوف على قوم وأن اذ ظرف لهم المقدر فيه بعد من حيث انه يلزم عليه أن يكون المعنى أنه وقت رؤيته الفحل هم بقتله وذلك خلاف الواقع لانه حصل له حينئذ من الهيبة والخوف ما أذهله فالحق أنه معطوف على الصفواء أى رجعت الصفواء عن الوصول اليه وأبو جهل عن الرمى بها وقت رؤيته الفحل فاذ ظرف لفاءت مع فاعلها وما عطف عليه (قوله واقتضاه) معطوف على هم قوم أى طلب منه النبى أى من أبى جهل دين الاراشى أى طلب منه أن يؤدى ويدفع دين الاراشى بكسر الهمزة واسمه كهلة بن عصام بن اراش وقوله وقد ساء بيعه جملة حالية أى قبح وذكره مع أن الكلام فى الشراء لانه تطلبه من مراعاة النظير وقوله والشراء أى وشراؤه من هذا الرجل وغيره فأراد الناظم ذم بيعه وشرائه مطلقا لا فى خصوص الواقعة وحاصلها أن كهلة المذكور قدم مكة بابل بيعها واشتراها أبو جهل ثم ماطله بأثمانها فجاء الاراشى ووقف على نادى قريش

ورأى المصطفى أتاه بما لم
ينج منه دون الوفا النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن
ما على مثله يعد الخطاء
وأعدت حمالة الحطب الفهـ
ـر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ
ـلى من أحمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن ايـ
ـن ترى الشمس مقلة عمياء

فلا نوا له القول وقالوا انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يؤنبونه بسب آلهتهم فأخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام ابو بكر وحال بينهم وبينه اه ابن حجر

فقال هل من رجل يخلصنى من أبى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل وأشاروا الى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ذلك استهزاء فجاء الاراشى وقال يا عبد الله ان أبا الحكم قد غلبنى على حقى وقد سألت أولئك القوم فأشاروا اليك تخلصنى منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه فأمروا واحدا منهم أن يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه فقال من ذا قال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى أعطيه فدخل فأخرجه اليه فجاء الى أولئك وأخبرهم بما وقع فجاء أبو جهل فقالوا له ويحك والله ما رأينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا أنه ضرب على بابى فسمعت صوته فملئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا صورته ولا أنيابه والله لو أبيت لاكلنى (قوله ورأى المصطفى) أى ومن ثم رأى المصطفى أبو جهل أتاه بما أى بفعل ابل لم ينج منه بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم من نجا ينجو وأنجى ينجى فهو ناج ومنج وقوله دون الوفا أى عند عدم الوفاء لذلك الدين الذى للاراشى وقوله النجاء بوزن الضراب مبالغة فى ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم بوزن سحاب فالوفاء ممدود أى ذلك الفعل الذى أتى له به لا ينجى أو لا ينجو منه النجاء بالمبالغة أى من تكررت نجاته من الامور الصعبة الآن وفى ذلك الدين أو لا ينجو منه النجاء بالتخفيف أى النجاة الا بعد ذلك الوفاء (قوله هو) اى ذلك الفعل المرئى فى هذه الواقعة ما قد رآه أى الفحل الذى قد رآه من قبل أى فى الواقعة السابقة فى قوله وفاءت الصفواء وقوله لكن أى لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين ما على مثله فى العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وقوله يعد الخطاء أى لان خطاءه لا ينحصر فلا يعد ومد الخطاء لغة شهيرة (قوله وأعدت) عطف على هم قوم أى هيأت حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل حطب الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله واسمها أم جميل بنت حرب بن أمية وقوله الفهر أى الحجر الذى يملأ الكف وذلك لما أنزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا أبى لهب السورة وقوله وجاءت جملة حالية أى وقد جاءت اليه وهو فى المسجد وأبو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وقوله كأنها الورقاء أى جاءت فى غاية السرعة والعجلة كأنها الحمامة الورقاء أى الشديدة الاسراع أى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة (قوله يوم جاءت) يوم ظرف لاعدت وقوله غضبى حال وفى نسخة غيظا فهو تمييز وذلك من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وقوله أفى مثلى أى وأنا بنت سيدى مخزوم والجار والمجرور متعلق بيقال بعده وقوله من أحمد بالتنوين للضرورة حال من الهجاء بعده وهو أى الهجاء السب والذم ونسبت القول اليه لانهم يعتقدون أن القرآن من عنده بانه (قوله وتولت) عطف على أعدت وقوله وما رأته جملة حالية أى والحال أنه ظاهر غاية الظهور للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وتلك المرأة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن أين ترى الشمس مقلة أى عين عمياء ولما رآها أبو بكر قال يا رسول الله انها امرأة بذية أى والبذى لا يخاطب فلو قمت من هذا المجلس لكن صيانة لك عن أذاها فقال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك أنا لم أر كيف يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى منها

بجناحه وفى روايه فد أخـذ الله ببصرها عنى (قوله ثم سمت له) أى ثم بعـد ماوقع له من هـذه
الكرامات وقع له كرامة أخرى فى غزوة خيبر فى المحرم سـنة سبـع وقوله اليهودية وهى
زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم وقوله الشاة أى جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها
تشاورت معهـم فى سموم كثيرة فاجمعوا لها على هـذا السم بعينه فسمت به الشاة كلها لكنها
أكثرت منـه فى الذراع والكتف لما قيـل لها انه يحب الذراع وقوله وكم أى مرات كثيرة
سام من السوم الذى هو مقـدمة الشراء أو الذى هو رعى الدواب وقوله الشـقوة بكسر
الشين وفتحها لغـة أى واظب عليها واتصف بها وقوله الاشقياء أى الذين صاروا كالانعام
بل هم أضل سبيلا ومنهـم تلك المرأة فلما أهدتها اليـه أكل منها وأكل بعض أصحابه فأخبرته
الذراع بأنها مسمومة فقال لاصحابه ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهود فجمعهم فقال لهـم هل
جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم على هذا قالوا قلنا ان كنت كذابا استرحنا منك
أو نبيا لم يضرك السم (قوله فاذاع) أى أظهر له صلى الله عليه وسـلم الذراع مؤنث وقد يذكر
كما هنا باعتبار كونه عضوا وقوله من شر أى سم وقوله بنطق أى معجزة له كما يصرح بذلك
أعنى أنه أخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم أخبرتنى هذه الذراع وقوله اخفاؤه أى عند
الحاضرين وقوله ابداء أى له صلى الله عليه وسلم أى هو وان خفى عليهم فقد ظهر له كل الظهور
ولما قال لها ذلك أى أخبرتنى هذه الذراع صدقته فقال لها ما حملك على هذا قالت قلت ان كان
نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منـه ولم يعاقبها وتوفى من أصحابه الذين أكلوا بشر بن
البراء واحتجم هو صلى الله عليه وسـلم على كاهله من أجـل الذى أكل منها وكان هذا السم
يحرك عليه كل عام حتى انه قال فى مرض موته مازالت أكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى
فكان لها دخل فى موته لينال رتبة الشهادة حتى لا تفوته رتبة من رتب الكمال وجاء فى رواية
أنها جعلت تسأل أى الشاة أحب اليـه فقيل لها الذراع فعمـدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها
أى شوتها ثم عمدت الى سم موح بالحاء المهملة أى مسرع لوقتـه فسمتها به وأكثرت منـه فى
الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من أصحابه وفيهـم بشر بن البراء فتناول صلى
الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فازدرد القمتيهما وأكل القوم فقـال
صلى الله عليه وسـلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى بأنها مسمومة ومات بشر فدفعها
لاولياءه فقتلوها قصاصا (قوله ويخلق من النبى كريم) بل لا أكرم منـه أى بسبب ما تحلى به
من كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرحها أى لبواطنهـم بذلك السم اذ هو يجرح
الباطن كما يجرح الحديد الظاهر وقوله العجماء أى المرأة الشبيهة بالعجماء أى البهيمـة سميت
بذلك لعدم نطقها فاطلاق العجماء على تلك المرأة استعارة تصريحية وما جرى عليه الناظم من
أنها لم تقاصص بجنايتها أى لم تقتـل قصاصا هو احـدى طريقين لاهل السير والاخرى أنه
دفعها لاولياء بشر فقتلوها وان كانت أسلمت على القول باسلامها (قوله من فضلا) معطوف
بعاطف محذوف على لم تقاصص أى ويخلق من النبى كريم من فضلا أى أنعم نعمة عظيمة وقوله
فضلا مفعول مطلق أو لاجله أى من عليهـم لاجل تفضلـه وكرمه الذى جبل عليـه وفسر
الشارح المن برفع الرق عنهـم لانهـم كانوا نساء وصغارا فرقوا بمجرد السبى فرفع الرق عنهـم
لاجل فضله أى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض هكذا قال الشرح وهذا مشكل
لان رفع الرق بعـد حصوله لا يكون الا بالعتق ولم ينقـل فى القصـة عتق من الصحابة لسبى

ثم سمت له اليهودية الشا
ة وكم سام الشقوة الاشقياء
وأذاع الذراع ما فيه من شر
بنطق اخفاؤه ابداء
ويخلق من النبى كريم
لم تقاصص بجرحها العجماء
من فضلا على هوازن اذ كا
ن له قبل ذاك فيهم رباء

(قوله لم تقاصص بجرحها الخ) قال العلامة ابن حجر وقال الزهرى أسلمت فتركها وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت استبان لى الآن انك صادق وأنى أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقى بأنه يحتمل أن يكون تركها أولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك أجاب السهيلى وزاد أنه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسـه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل أنه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق وجوب القصاص عليها فقتلت اهـ

هوازن فلعل هـذا من قبيل الخصوصية حيث صح رفع الرق من غير صيغة اعتاق أو كان
الحكم اذ ذاك أن الاسـير من النساء والصبيان لا يرق بمجرد السبى وقوله على هوازن أى
على نسائهم وصبيانهـم أو على رجالهـم برد نسائهم وصبيانهم عليهـم وهوازن قبيلة حليمة
السعدية وهـم أهـل حنين المذكور فى القرآن غزاهـم عقب فتح مكة لما بلغـه أنه اتفقت
أشراف هوازن وثقيف على حربه فخرج اليهـم سادس شوال سـنة ثمان فى اثنى عشر ألفا
عشرة جاء بهم من المدينة وألفان من طلقاء مكة فلما غلبهم أسر نساءهم وصبيانهم وكانوا ستة
آلاف وأخذ ابلهم أربعة وعشرين ألفا وغنمهم فوق أربعين ألفا وحليهم أربعة آلاف أوقية
وهرب رجالهـم فجعل الغنيمة فى الجعرانة وجعـل عليها حرسا وتوجه لحرب الطائف فلما فتحه
ورجـع الى الجعرانة قسم هـذه الغنيمة على المسلمين فبعد ذلك جاءت رجالهـم طائعين مسلمين
فقـالوا يا رسول الله انا أهل وعشـيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليـك فامنن علينا من
الله عليك وقام رجـل من أقارب حليمة فقال يا رسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك أى
من الرضاع لانهن قريبات حليمة وحاضناتك اللاتى كن يكفلنك والحظائر جمـع حظيرة وهى
فى الاصل ما يجعل للابل ويحوط عليها من عيدان الشجر ليقيها البرد والشمس فقال صلى الله
عليه وسـلم ان أحسن الحديث أصـدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا
أبناؤنا ونساؤنا فرد عليهـم ما كان له وسأل فضـل المسلمين فيما لهـم وما خصهم فردوه أيضا
وقوله اذ كان اذ تعليلية لقوله فضـلا فهو علة للعلة أو لقوله من فهو علة ثانيـة فيكون حرف
العطف مقـدرا أى ولاجل أنه كان له قبـل ذلك أى قبل المن والمراد بالقبـل حالة رضاعه
وقوله رباء بفتح الراء والمد أى تربيـة من ربوت فى بنى فلان وربيت فيهم اذا نشأت بينهم (قوله
وأتى السبى) أصله الاسر أى أخذ الكافر والاستيلاء عليه والمراد هنا المسبى وقد تقدم أنه
كان ستة آلاف رأس والمراد أنه أتى من حنين الى الجعرانة أى أمر صلى الله عليه وسلم بنقله
ووضعه فيها ليقسمه هناك وقوله فيه أخت رضاع جملة حالية أى أخت النبى صـلى الله عليه
وسـلم من الرضاع واسمها الشيماء أو الشماء ولما أسروها قالت والله انى أخت صاحبكم فأتوا
بها اليه فقـالت يا رسول الله انى أختك قال وما علامة ذلك قالت عضـة منك فى ظهرى فعرفها
وقوله وضع الكفر صـفة لاخت أى خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها
السـباء بكسر السين أى الاسر القائم بها فاضمحـل فى جنب هذين النقصين ما فيها من اخوته
كما اضمحل فى جنب الكفر ما فى نحو أبى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعـداء ثم من
الله عليها بالاسـلام فارتفع قدرها غاية الرفعـة (قوله فحباها) أى أعطاها ما لم يكن فى حسابها
ولا ظنها وجاد على قومها لاجلها وقوله برا مفعول لاجـله أى لاجـل بره لها اذ رحم الرضاع
كرحم النسب ويجوز أن يكون برا هو المفعول الثانى ويؤيده أنه أبدل منـه قوله بسط
الخ كما يأتى ولما بسط لها رداءه وأجلسها عليه خيرها فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة
وان أحببت أن أمتعك وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها
وأعطاها نعما وشاء وثلاثة أعبـد وجارية ومن جملة الثلاثة غلام يقال له مكحول فزوجتـه
بالجارية ولم يزل فيهم بقية من نسلهـما وقوله توهمت الناس أى الذين رأوا ذلك البر أى وقع فى
أذهانهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شأنه وقوله به أى بسـبب ذلك البر الذى وصل اليها
منـه وقوله أنما بفتح الهـمزة أداة حصر كمكـسورتها عنـد الزمخشرى وجماعة وقوله

وأتى السبى فيه أخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا
س به أنما السباء هداء

(قوله اذ تعليلية) قال العلامة ابن حجر تنبيه جعل الناظم اذ تعليليـة خلاف ما عليـه الجمهور ولا دليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الآية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هـل هى حينئذ حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول اهـ

السباء بالسين المكسورة المشددة ثم الباء الموحدة أى المسباب أو النساء وان لم يكن مسبيات لانهن يسمين سباء لانهن يسبين القلوب والسباء جمع واحده سبى وقوله هداء بكسر الهاء مصدر هديت المرأة الى زوجها لكنه هنا بمعنى اسم الفاعل أى مهديات لعروس وجملة انما السباء فى محل مفعول توهمت الثانى أى توهم الناس أن النسوة اللوانى معها فى السبى غير مسبيات لعظيم مالهن من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله عادة لنساء يهدين عروسا لا لنساء مسبيات (قوله بسط المصطفى) بدل من برا أى ومن جملة ذلك البر أنه بسط الخ ويصح كونه بدلا من حبا وقوله من رداء من زائد أى نشره وجعله فراشا لها تجلس عليه فهنيئا لها ذلك الاكرام وقوله أى فضل الخ نعت لرداء أى شرف عظيم لاغاية له وقوله حواه أى جمعه ذلك الرداء لمماسته لجسده الشريف لانه كان ملبوساله (قوله فغدت فيه) أى صارت وقوله فيه خبر غدت أى صارت مندرجة فيه أى فى ذلك الفضل وقوله وهى سيدة النسوة جملة حالية من اسم غدت المستكن فيها والمراد النسوة اللوانى كن معها من سبى هوازن وهذه السيادة ثبتت لها عليهن لما حصل لها من التميز الظاهر عليهن لثبوت اخوتها له ومزيد اكرامه لها وقوله والسيدات الخ جملة حالية مؤكدة للتى قبلها أى والحال أن أولئك النسوة السيدات قبل أسرهن وقوله فيه أى فى ذلك الفضل أى بسببه صارت كأنها سيدتهن وكانت اما لها مع كونهن سيدات قبل ذلك (قوله فتنزه) لما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من جميل صفاته طلب من كل عاقل فاته مشاهدة هذه الصفات التى لم توجد فى غيره أن ينزه سمعه بالاصغاء الى سماعها عوضا عما فاته من رؤيتها فقال فتنزه أى نزه نفسك وفرحها وأزل عنها الكدورات والغمومات فهو مأخوذ من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض وقوله فى ذاته أى فى أوصافها القائمة بها كالبياض والدعج وقوله ومعانيه أى صفاته الغير القائمة بذاته كصفة نومه وجلوسه ومشيه وقوله استماعا تمييز أى من جهة اصغائك الى أوصاف ذاته وجميل صفاته الآتية فى هذا النظم الجامع البديع فشبه الذات الشريفة وصفاتها بروضة نزيهة على سبيل الاستعارة بالكناية والتنزه تخييل وقوله ان عز أى ان فقد وفاتك منها متعلق باجتلاء أى اجتلاء منها أى اجتلاؤها فمن زائدة أى مشاهدتها ورؤيتها بالعين مأخوذ من جلوت العروس واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية أى مكشوفة مزينة والمعنى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة هذه الصفات العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يلقى عليك من أوصاف ذاته وعلى صفاته (قوله واملأ السمع) أى لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل املأ السمع بأن تكثر من ذلك حتى لو فرض أن ما تسمعه شئ محسوس وأن سمعك اناء واسع لملأته من ذلك المسموع وقوله من محاسن أى محاسنه التى لا توجد فى غيره وهذا جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن وقوله يمليها من أمليت الكتاب ويجوز أمللته وقوله الانشاد أى لهذه القصيدة وغيرها والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر أى رفع الصوت به وقوله نشدتك الله أى سألتك برفع نشيدى أى صوتى أى الانشاد من تخصص تجلى الصوت معرب لكلامه فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على حبه صلى الله عليه وسلم الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وخفة وراحة وطربا وذلك يحدث عندها بسببين أحدهما أنها فى نفسها

بسط المصطفى لها من رداء
أى فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهى سيدة النسـ
ـوة والسيدات فيه اماء
فتنزه فى ذاته ومعانيـ
ـه استماعا ان عز منها اجتلاء
واملأ السمع من محاسن يمليـ
ـها عليك الانشاد والانشاء

(قوله فتنزه) قال العلامة ابن حجر قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض اه وكأنه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وأرض نزهة بعيدة عن الريف أى الخصب والزرع وعمق المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهواء ثم قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح اه وقوله الشارح أى الجوجرى

توجب لذة قوية الثانى أنها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل الميل للمحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى من لذة عناق الشواب وقوله والانشاء أى نظم الشعر وتأليفه واسناد الاملاء الى الانشاد والانشاء مجاز لان المملى حقيقة انما هو المنشئ والناشد (قوله كل وصف له) أى ومما يحملك على استفراغ وسعك فى ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن أنه يجب عليك أن تعتقد أن محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك أن تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت أنت او ابتدأت أنا فالتاء مضمومة أو مفتوحة والمراد ابتدأت به فى الذكر أى ذكرته أولا وقوله استوعب أخبار الفضل أى الاخبار الدالة على فضله وشرفه أى جمع أخبار الفضائل والكمال وقوله منه متعلق بابتداء الذى هو فاعل استوعب واخبار مفعول مقدم أى كل ما ابتدأت بوصف له وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف والحجز بضم الحاء وفتح الجيم وآخره زاى معجمة هى الازار والمراد لا يتحقق كمال وصف من أوصاف الانسان كالحلم الا اذا كمل فى بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وحينئذ فكل من صفاته يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء والتزاما وبهذا التحقيق الذى تنبه له الناظم يعلم انه ثابت النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف ويجب على كل مكلف ان يعتقد ان من تمام الايمان به الايمان بأن الله خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده فى آدمى ومن ثم قال الناظم فى بردة المديح • فهو الذى تم معناه وصورته البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه هو الذى تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه واعلم ان الناظم شرح تمام معناه بتمام و يأتى ولم يشرح تمام حسن ذاته وانما أشار الى ذلك بقوله ليته خصنى برؤية وجه الخ وبقوله سيد ضحكه التبسم الخ وبقوله أو بتقبيل راحة الخ وقد تكفل بذلك الترمذى فى شمائله وغيره فليراجع (قوله سيد) أى للعالمين الاولين والآخرين وقوله ضحكه أى الذى يظهر سروره به وقوله التبسم هو مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان مع صوت خفى فان كان معه صوت يسمع من بعد فهو القهقهة وما ذكره الناظم من ان ضحكه كان تبسما أى من غير صوت أصلا فهو فى غالب أحواله فلا ينافى ان الضحك الذى تقدم تعريفه وقع منه فى بعض الاحيان كحديث فضحك حتى بدت نواجذه وهى الاضراس وهى لا تظهر الا عند المبالغة فى الضحك وأما بكاؤه فكان من جنس ضحكه فلم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه وجاء ان الله حفظه من التثاؤب وكذا بقية الانبياء والتثاؤب بالهمز بعد الالف وأما بالواو بعد الالف فغلط اه قسطلانى على البخارى ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس وقوله والمشى أى الكائن منه الهوينى تصغير الهون وهو السكينة والوقار والتعظيم قال ابن الانبارى العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم بالهين اللين مشددا وقال غيره انهما بمعنى والاصل التثقيل تخفف وفى البيضاوى عند قوله تعالى يمشون على الارض هونا هينين أو مشيا هو بنى مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع وكون مشيه الهوينى لا ينافيه ما ورد انه واسع ذريع المشى لان معناه انه الخطا

كل وصف له ابتدأت به استو
عب أخبار الفضل منه ابتداء
سيد ضحكه التبسم والمشـ
ـى الهوينى ونومه الاغفاء

(قوله الهوينى) تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو قول الشاعر
وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الانامل
وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اه ابن حجر

ماسوى خلقه النسيم ولا غيـ
ـر محياه الروضة الغناء
رحمة كله وحزم وعزم
ووقار وعصمة وحياء

(قوله ووقار) عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اهـ ابن حجر

وقوله ونومه الاغفاء أي الخفيف بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ومن ثم كان من خصائصه انه لا ينتقض وضوءه بالنوم لكمال حياة قلبه وتيقظه ودوام شهوده لربه ومن ثم كان اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ومن ثم أيضا كان من خصائصه انه لا يحتلم ولا ينزل منه مني في النوم أصلا ولو بغير احتلام وغير رؤيا كما هو رأي الجمهور (قوله ماسوى خلقه النسيم الخ) لما أنهى الكلام على شيء من محاسن ذاته الشريفة شرع يذكر شيأ مما يتعلق بمحاسن أخلاقه فقال ماسوى خلقه أي ليس غير خلقه النسيم وظاهر العبارة ان النسيم عين خلقه وليس مرادا بل المعنى على التشبيه أي لا يشبه خلق أحد الا خلقه الكريم والنسيم الريح التي في غاية اللطافة واللين والطيب وتشبيه خلقه بالنسيم انما هو باعتبار ما فيه مما يقيت الروح ويحيي القلب ويجلي صدأ النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وما اشتهر من ان المشبه به يكون أقوى من المشبه أمر اغلبي والا وقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صيغة التشهد والخلق بضمتين أو بضم فسكون والمراد هنا الثاني لاجل النظم وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة تسهل على من قامت به فعل الجميل وتجنب القبيح وقوله ولا غير محياه أي وجهه الروضة الغناء بالغين المعجمة أي الكثيرة النبات والازهار والثمار أي ليست الروضة الغناء الا وجهه والمعنى على التشبيه كما تقدم أي لا يشبهها وجه أحد غير وجهه صلى الله عليه وسلم (قوله رحمة) خبر مقدم وقوله كله مبتدأ مؤخر وقوله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء الخمسة معطوفة على الخبر المقدم فيكون قد أخبر عن المبتدأ بستة أخبار وقدم واحدا منها عليه والرحمة عطف وميل نفساني غايته التفضل والانعام أي هو عين الرحمة وما عطف عليها مبالغة واشارة الى ان هذه المصادر الستة التي أخبر بها قد امتزجت بذاته واستحال انفكاكه عنها حتى كأنها هو وكأنه هي فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب عنهم ولسائر الحيوانات لانه ببركته ينزل المطر فينبت النبات ويكون لها قوتا وقال بعضهم الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن أدبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد وقوله وحزم أي كله حزم أي جميع أحواله التي تصدر عنه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة وقوله وعزم أي كله عزم من عزم على الشيء قطع به أي جميع ما يفعله بوحي أو اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه وقوله ووقار أي كله وقار لان الله ألقى عليه من المهابة ما لا غاية له وروي عن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة كذلك فما بالك بغيره فعلم انه لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ويتواضع لهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقوله وعصمة أي كله عصمة أي حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه رضاه وغضبه ومثله في ذلك الانبياء كلهم فهم معصومون وقوله وحياء أي كله حياء والحياء باللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث

لا تحل البأساء منه عرا الصبـ
ـر ولا تستخفه السراء

(قوله البأساء) أي الشدة وان أفرطت لا سيما في الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلمت عقول شجعانها اهـ ابن حجر

على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وأما الحيا بالقصر فهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو أقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام فاستحيا ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص حتى كأن له نفسين يستحيي باحداهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخاري قال ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الايمان فجاز أن يسمى ايمانا لان العرب تسمي الشيء باسم ما قام مقامه وهو من التشبيه البليغ (قوله لا تحل) بضم الحاء البأساء أي الشدة وان أفرطت وهذا كالمتفرع على ما قبله وقوله منه متعلق بالصبر الذي بعده وقوله عرا الصبر الصبر حبس النفس على ما تكره وعراه أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة وأقسام الصبر ثلاثة أعلاها صبر الصديقين وهو التلذذ بما يصيبهم من المكاره ويليه صبر الزاهدين وهو الرضا بما قدر الله وأراده ويليه صبر المتوكلين وربما اقترن بالشكوى وفي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرا المحكمة وذكر العرا تخييل ولا تحل ترشيح وحسبك صبره على من حاربوه يوم أحد ووقع منهم ما وقع فقال أصحابه لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون أي لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب قال القاضي انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر على السكوت عنهم بل عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اهد واغفر ثم أظهر الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم فقال فانهم لا يعلمون وقد صح عن زيد بن سعنة بسين مهملة وعين كذلك فنون مفتوحات وهو من أجل أحبار اليهود الذين أسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه غضبه ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فابتعت منه تمرا الى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل أجل التمر بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تعطيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكرهما ثم وقد عرفتهما وأشهدك اني قد أسلمت وقد قال الصحابة كنا اذا حمي البأس أي الحرب اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعلناه بيننا وبين العدو فهمنا خلفه محتمين به وقد قاتل في ثمان غزوات ولم يقتل أحدا بيده الشريفة الا أشقى الاشقياء اللعين أبي بن خلف حين قال يوم أحد أين محمد لا نجوت ان نجا فتناوله صلى الله عليه

وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وقال لاصحابه خلوا سبيله فطعنه فى عنقه طعنة كان فيها
اتلاف نفسه الخبيثة ولم يخرج منها دم ورجع بها الى قومه وقال لهم قد كان قال لى بمكة أنا
أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى وقال لاصحابه لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا
جميعا والمجاز موضع كان به سوق فى الجاهلية وورد ان أشقى الاشقياء من قتل نبيا أو قتله
نبى وقوله ولا تستخفه أى لا تخرجه عن ثباته ووقاره وتواضعه وقوله السراء أى الرخاء والسعة
فى الجيوش والفتوح التى فتحها فى آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وسلما
وعفوا وصبرا ومن ثم لما دخل مكة يوم الفتح فى تلك الجيوش الهائلة وهو على ناقته القصواء
فى كتيبته الخضراء دخل وهو خافض رأسه تواضعا لما رأى من اكرام الله له بهذا الفتح فازداد
شكره وخضوعه لعظمة الله تعالى حيث أحل له بلده ولم يحلها لاحد قبله (قوله كرمت نفسه
الخ) هذا فى المعنى كالتعليل لما قبله أى وانما اتصف بهذه الكمالات التى لم توجد فى غيره لانه
كرمت نفسه أى طهرت من كل نقص واتصفت بكل كمال لانه تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز
الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية فى حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علويها
وسفليها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق فى ارادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره
بعموم دعوته ورسالته وبانه نبى الانبياء وواسطة عقد الاصفياء وأبوه آدم بين الروح
والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح وظهر بمدد الهنا فى عالمها
المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر
لجميع الموجودات والناس فهو وان تأخر وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته
وتقدمه وقوله فما يخطر أى فبسبب كرامة نفسه وتشريفها عن كل رذيلة ونقص لا يخطر
السوء على قلبه وقوله ولا الفحشاء هى السوء الذى جاوز حده وذكرها مع السوء لان المقام
مقام اطناب وكيف يخطر السوء على قلبه وقد طهر بشقه وغسله المرات المتعددة وأخرج
ما فيه مما جبل عليه النوع الانسانى ثم ملئ من الحلم والعلوم ما لا يحيط به الا الله تعالى (قوله
عظمت نعمة الاله عليه) أى واذا تأملت ما آتاه الله من تلك الكمالات التى لا تحد ولا تعد
علمت انه قد عظمت نعمة الاله عليه عظمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل أحد منهم الى
مبادى غاياتها ومقاصد نهاياتها وقوله فاستقلت أى فبسبب هذه العظمة المذكورة
استقلت لذكره أى عند أو وقت ذكره والضمير راجع لنعمة الاله وذكره لاكتساب النعمة
التذكير من المضاف اليه أو باعتبار كونها شيأ منعما به وقوله العظماء فاعل استقلت وهم
الانبياء والصلحاء ومفعول استقلت محذوف أى جميع ما أنعم الله به عليهم ومعنى استقلالهم له
انهم رأوه وعدوه قليلا فى جانب ما أنعم الله به عليه فجميع ما أعطى لغيره انفرادا واجتماعا
قليل فى جنب ما أعطيه فليس المراد بالاستقلال الاحتقار كما قد يتوهم لان احتقار النعمة
ربما أدى الى الكفر (قوله جهلت قومه) أى قريش وغيرهم والمراد بالجهل لازمه من
ايذائهم له أى آذوه أذى لا يطاق تحمله عادة فضربوه وخنقوه وأغروا به سفهاءهم وصغارهم
فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه وشجوا وجهه
وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا
لاجله بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا كما مر جميع ذلك ان قلت
ما حملهم على وصفه بالجنون وما شبهتهم فى ذلك مع انه كان مشهورا بينهم بالامين ولم يجربوا

كرمت نفسه فما يخطر السو
ء على قلبه ولا الفحشاء
عظمت نعمة الاله عليه
فاستقلت لذكره العظماء
جهلت قومه عليه فاغضى
وأخو الحلم دأبه الاغضاء

(قوله لذكره) اللام للتأقيت
أى وقت ذكره ونظيره أقم
الصلاة لذكرى وأقم الصلاة
لدلوك الشمس وقولهم لثلاث
خلون اه حفنى على ابن حجر

عليه خللا ولا نقصا فالجواب ان شبهتهم فى ذلك ما رأوه منه عند نزول الملائكة من
الاستغراق لتلقى الوحى ومن حمرة الوجه وكثرة غطيطه وعميت قلوبهم عن الفرق بين هذه
الحالة وحالة الجنون التى لا تخفى على أدنى عاقل وقوله فاغضى الاغضاء فى الاصل اطباق العين
عن رؤية المكروه فاستعير للتغافل وعدم الالتفات الى انه أوذى فضلا عن ان ينتقم ممن
آذاه أى فاعرض عنهم حلما وكرما وقوله وأخو الحلم أى التأنى فى الامور وعدم الانتقام ممن
أتى بمكروه وان عظم والمراد بأخيه الملازم له والمصاحب أى الذى طبعه الله عليه حتى صار
غريزة له وقوله دأبه أى شأنه وعادته المستمر هو عليها وقوله الاغضاء أى التغافل عن ان يلتفت
الى الخلق واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل
اليها مخلوق لان الله تعالى تولى تأديبه بنفسه وأفاض عليه من حقائق حلمه وكل من عرف له حلم
عرفت له زلة تنافى الحلم وهفوة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا
ولا على جهل الجاهلين الا حلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا فى المسجد
الحرام وأصحابه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال لهم ما تظنون انى فاعل بكم قالوا خيرا
أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول لكم كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم
الطلقاء (قوله وسع) بكسر السين العالمين جمع عالم وللمحققين فيه فى الآية كلام منتشر
لا بأس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم
به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق فصار اسما لكل ما سواه تعالى من
الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم أدل على الشمول
والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن
والانس والملك والافلاك والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو
قيل العالم بالافراد لاوهم استغراق بعض افراد الاجناس فقط وغلب فى جمعه بالواو والياء
والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على
ان العوالم وان كثرت فهى قليلة فى جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوى العلم
فقط وهم الانس والجن والملائكة وتناوله لغيرهم انما هو على سبيل الاستتباع وعلى هذا فهو
مشتق من العلم وينقسم العالم ثلاثة أقسام عالم الملك وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو
المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف كل منهما وقد اجتمعت الثلاثة فى
الانسان فهو من الاول باعتبار أجزاء بدنه ومن الثانى باعتبار روحه وعقله وارادته ومن
الثالث باعتبار الادراكات بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن وقوله علما تمييز محول
عن الفاعل أى وسع علمه علوم العالمين الانس والجن والملائكة لان الله أطلعه على العالم
كله فعلم علم الاولين والآخرين ما كان وما يكون وحسبك علمه بعلوم القرآن وقد قال تعالى
ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقوله وحلما تمييز كما مر أى وسع حلمه حلم العالمين بأسرهم كما عرف
مما سبق وقوله فهو بحر أى فهو بسبب جمعه لتلك المعالى التى لم تجتمع لغيره بحر أى واسع العلم
والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاته العلية فهو تشبيه بليغ وقوله لم تعيه من
أعيا فلان فى مشيه أى تعب أو وقف أى لم تتعبه الاعباء قال الجوهرى وأعيا الرجل فى مشيه
فهو معى ولا يقال عيان وأعياه الله فيستعمل لازما ومتعديا وكلاهما بالالف وقوله الاعياء

وسع العالمين علما وحلما
فهو بحر لم تعيه الاعباء

(قوله علما وحلما) بينهما الجناس
المضارع لتقارب مخرجى
العين والحاء وقوله فهو بحر
هو تشبيه بليغ أو استعارة
على قول اه ابن حجر

جمع عيب ككمل ونفل وزنا ومعنى فهو بكسر أوله والموحدة الساكنة والهمز أى لم تعبه الانفال من أى شئ كان أى لم يتكدر بحر علمه شك ولا شبهة ولا بحر حلمه ابدا ولا جهالة فاستعار الاعباء للكدورة والاعباء للشبه والجهالات أى لم تكدر بحر علمه الشبه ولا بحر حلمه الجهالات (قوله مستقل) أى واذا تأملت ما تقدم من أوصاف كمالاته الباهرة وعصمته ونزاهته علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى الله مستقل أى محتقر هذا هو المراد بالاستقلال هنا بخلافه فيما مر فى قوله فاستقلت لذكره أى عدته ورأته قليلا كما تقدم وقوله دنياك المراد بها ما فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وهى مأخوذة من الدنو أى القرب لقربها من الزوال وقوله ان ينسب الخ بدل من دنياك أى محتقر امساكها واعطاءها وعبارة ابن عبد الحق ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء منها للمستحق أى يعد ذلك قليلا بالنسبة لما يمسكه عن غير المستحق ويعطيه للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة وانما احتقرها لانها لفنائها وكثرة الاشتغال بها عن الله حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقارا لشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها وقد أشار الناظم لهذا المعنى بقوله فى بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهى انما خلقت لاجله وقوله هنا مستقل دنياك الخ أحسن من قوله وأكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء أنكر وصفه بالزهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وذكر الزركشى عن بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال بل كان أغنى الناس بالله فقد كفى أمر دنياه فى نفسه وعياله وكان يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة المرادفة للفقر واما خبر الفقر فخرى وبه أفتخر فموضوع وقد صح انه استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى وعن السبكى ان فقهاء الاندلس أفتوا باراقة دم من وصفه بالفقر وقد تعارضت الاحاديث فى ذم المال وفى مدحه ويجمع بينها بان المال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف فى يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا أخرى أو كحية فى يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها أكثر وأغلب وفى هذا ايماء الى ترجيح القول بتفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر سيما ما ورد من اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها كل الاعراض مع انه سيد الشاكرين ولا يخشى عليه منها ضرر أصلا (قوله شمس فضل) أى واذا تأملت ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه شمس فضل أى شمس مشرقة على كل فضل أى شرف وكمال وجد فى غيره فكل كمال تحلى به غيره فهو مستضىء ومستمد من تلك الشمس التى هى ذاته والمراد بالنور تلك الشمس فكأنه قال كل فضل وكمال تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله وكماله وقوله تحقق الظن الخ جملة حالية أو نعت لفضل وتحقق من حق بمعنى ثبت والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقوله فيه أى فى ذاته وصفاته وقوله انه أى بالنسبة لبقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم كالشمس المشرقة على هذا العالم وقوله رفعة أى فلا يصل اليها أحد وقوله والضياء أى وانه الضياء المفيض عليهم أضواء الكمالات وخوارق الامدادات وتقدم ان كون المشبه به أعلى من المشبه ليس أمرا مضطردا بل قد ينعكس الحال كما فى صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على أحد

مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء شمس فضل تحقق الظن فيه أنه الشمس رفعة والضياء

(قوله دنياك) لم يقل دنياه لانه صلى الله عليه وسلم لم ينسبها الى نفسه فقال حبب الى من دنياكم ثلاث ولم يقل من دنياى اه حفنى على ابن حجر

الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما تنبه الناظم له حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى شأنا فى الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة التى ذكرنا انه تنبه لها فاذا ما ضحا (قوله فاذا ما ضحا) أى فبسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه انه اذا ما ضحا ما زائدة واذا هذه قيل انها حرف وقيل ظرف كما قيل مم ما فى اذما والاصح انها ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية وتحتاج لجواب وجوابها اما فعل كما هنا أو جملة اسمية وقوله ضحا أى مشى عقب طلوع الشمس اذ هذا الوقت هو الضحى بضم الضاد وهذا ليس لتقييد الجزاء اذ محو نوره الظل كان فى هذا الوقت وغيره لكنه فى هذا الوقت أظهر لقوة ضياء الشمس وقوله محا نوره الظل أى ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره أصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل أو المراد بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به من الكتاب والسنة والعلوم والآداب وعلى هذا فالمراد بضحا مطلق ظهوره فى هذا الكون باوصافه الكاملة لا خصوص وقت الضحى هكذا قال الشارح وفى الاحتمال الثانى وهو قوله أو مطلق الظل نظر لما ثبت انه اذا كان هو وأصحابه فى سفر ينظرون للشجرة الظليلة فيتركونها له فيستظل بها ويتفرقون فى الاشجار فلو كان ظله يزيل ظلها لم يكن لاستظلاله بها فائدة فالاولى الاحتمال الاول وهو ان نوره يمحو ظل ذاته فقط أو يقال ان نوره يمحو ظل الشجر من حيث ما فيه من الظلمة واما من حيث كونه مانعا لحر الشمس فلا يزيله فيكون نظير من أوقد مصباحا فى بيت مظلم فى وقت الحر فظلمة البيت قد زالت بالمصباح ووقايته لحر الشمس باقية وقوله وقد أثبت أى والحال انه قد أثبت الظلال جمع ظل الضحاء بالضم أى ارتفاع الشمس وهو بالضم مقصور ومده هنا لضرورة النظم فبينا أكمل من الشمس رفعة وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ومن خصائصه أنه اذا مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لان الله استجاب دعاءه ان يجعله نورا فكان بدنه فى غاية الاضاءة وفى القاموس ان الضحاء بالفتح والمد ما قرب من انتصاف النهار ويصح ارادة هذا هنا أيضا فتصح قراءة المتن بالضم والفتح فالضحى بالضم والقصر اسم لما بعد ارتفاع الشمس الى نحو ربع النهار والضحاء بالفتح والمد ما بعده الى الزوال (قوله فكأن الغمامة) هى سحابة كان طولها عشرة أذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عن رأسه كذلك وتقدم انها ظللته وهو فى بنى سعد وظللته أيضا فى سفره الى الشام وعوده منه عند اقباله على مكة وتقدم ان تظليلها له انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لها ولم يثبت انها أظلته بعدها وقوله استودعته فاعل استودعت ضمير مستكن فى الفعل وهذا الضمير البارز مفعول أول عائد على النبى صلى الله عليه وسلم وقوله من أظلت هو المفعول الثانى ومن عبارة عن الامة باسرها غير الصحابة وقوله من ظله من فيه تبعيضية وقوله الدفقاء فاعل بأظلت ومفعوله ضمير محذوف يعود على من التى هى عبارة عن التابعين فمن بعدهم والدفقاء جمع دافق كعلماء جمع عالم وهم جيوشه وأصحابه الذين قاتلوا معه سموا بذلك لانهم يدفقون نحو العدو أى يسرعون اليه لدفعه أو استئصاله وهذا البيت اشارة الى جواب ايراد على البيت الذى قبله لكن على الاحتمال الثانى هناك وهو ان نوره يمحو كل ظل تقرير الايراد ان يقال كيف يمحو نوره الظل وقد ثبت ان الغمامة أظلته فلم يمح نوره ظلها وتقرير الجواب أن يقال ان محو نوره صلى الله عليه وسلم للظلال هو الاصل المستمر واما بقاء ظل الغمامة مع نوره فهو على خلاف الاصل شرفا للعادة التى كان عليها وذلك لحكمة تبين

فاذا ما ضحا محا نوره الظل وقد أثبت الظلال الضحاء فكأن الغمامة استودعته من أظلت من ظله الدفقاء

(قوله الغمامة) ذكر الشارح المالكى لتظليل الغمام معنى لطيفا هو ان الشمس لما بهرت وقت سلطان ضوئها خجلت ان تقابل النور الاصلى الذى هو أعلى من نورها واصل له فاسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وهو الغمامة فنزلت منزلة عاقل أعطى التصرف فى السحاب لارسال قطعة منه حاملة لما ذكر اه حفنى على ابن حجر

احداهما الارهاص والتأسيس لنبوته كما تقرر الثانية الاشارة الى ان نوره المعنوي لم يزل بعونه بل يبقى مشرقا على أمته الى يوم القيامة يتلقاه كل قرن من القرن الذي قبله فكأن حال الغمامة يقول للنبي بقاء ظلي مع نورك المنافي له فيه اشارة الى ان ظلك يبقى مع ما ينافي بقاءه وهو مونك خرقا للعادة في كل فاشار الناظم لذلك بعبارة تقصر عنه في بادئ الرأي فقال فكأن الغمامة الخ أي فبسبب محو نوره الظل الحسي صار هو الظل المعنوي على جميع أتباعه الى يوم القيامة حتى كأن الغمامة لما أظلته أعلمته بأنها استودعته أي استودعت النبي من أظلتهم الدفقاء أي أصحابه ومن أظلتهم أصحابه بظله هم جميع الامة الى يوم القيامة لكن التابعون أظلتهم الصحابة بظل النبي من غير واسطة وأتباع التابعين أظلتهم الصحابة بواسطة التابعين وهكذا ومعنى هذا الابداع والاستحفاظ ان بقاء ظلها يشير الى ان أمته في ظله أي في رعايته وحفظه من حيث ان ظله المعنوي سار فيهم وعام لهم لكن الصحابة بلا واسطة ومن بعدهم بواسطة الصحابة لكن الذي أفادته عبارة النظم ان الغمامة استودعته التابعين فمن بعدهم ولم تفد انها استودعته الصحابة لما عرفت ان المفعول الثاني لقوله استودعته هو من أظلتهم الدفقاء أي الصحابة ومن أظلتهم الصحابة بواسطة وبدونها هم التابعون فمن بعدهم وكأن قصورها عن الصحابة لان أمرهم ظاهر لانهم باشروا الاخذ عنه في حياته بخلاف من بعدهم لانه هو الذي يحتاج الى استيداع واستحفاظ لانه انما جاء بعد موته فربما يقال لم يدرك نور النبي صلى الله عليه وسلم وعبارة شارحها ابن قطيع المالكي نصها ولما كان نوره صلى الله عليه وسلم أصل الانوار ولا يبقى مع النور ظلمة فلا ثبوت للظل مع نوره ونور الشمس من جملة فروع نوره فلما اشتدت عند الظهيرة خجلت ان تظهر مع الاصل الذي هو نوره فاسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وذلك الحجاب هو الغمامة التي كانت تظله اذا سار فان قلت قول الناظم في بردة المديح

مثل الغمامة أنى سار سائرة • تقيه حر وطيس للهجير حمي

يفهم منه ان حر الشمس كان يؤثر فيه وان الغمامة تقيه منه بظلها فينافي ما مر أن تظليلها انما كان للحكمتين السابقتين قلت ما أفهمه كلامه في البردة يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لوقاية حر الشمس كما أفهمه كلامه لكان بعد النبوة أيضا فان قلت يساعد ما أفهمه كلامه في البردة ما ثبت انه قد ظلل عليه عند رميه للجمرة بثوب وهذا يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الخلقة والجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتأمل (قوله خفيت الخ) أي واذا تقرر أن كل فضل مستمد من فضله وأن نوره يمحو الظل على ما سبق في معناه علم انه قد خفيت عنده أي في جنب ما أعطيه من الكمالات والفضائل وقوله الفضائل أي التي أوتيها غيره من الانس والجن والملائكة وقوله وانجابت أي انكشفت وقوله به أي بسببه أي النبي أي بسبب ما بثه الينا من علومه وآدابه وأخلاقه وقوله من عقولنا أي معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وقيل في تعريفه شرعا هو نور روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ وقوله الاهواء أي الضلالات والنقائص فلم تقع عقولنا في ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبل الردى (قوله أم مع الصبح) أي أيوجد مع الصبح

خفيت عنده الفضائل وانجا
بت به عن عقولنا الاهواء
أمع الصبح للنجوم تجل
أم مع الشمس للظلام بقاء

(قوله أمع الصبح الخ) قال ابن حجر وفي البيت الكلام الجامع اه قال الحفني وهو ان يأتي الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو وعظة أو تنبيها أو غير ذلك كقول الصفي الحلي
من كان يعلم ان الشهد مطلبه
فلا يخاف للدغ النحل من ألم
اه

للنجوم تجل أي اشراق وظهور نور وقوله أم مع الشمس أي أيوجد مع الشمس للظلام بقاء وهذا كالدليل لما قبله فالمصراع الاول دليل للمصراع الاول من البيت قبله والثاني للثاني فهو لف ونشر مرتب أي انما خفيت عنده الفضائل لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما أن النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وكذلك انما انكشفت به الاهواء عن عقولنا لانه الشمس كما مر والاهوية أي الضلالات كالظلام فكما أن الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه (قوله معجز القول) عطف على قوله شمس فضل بحذف حرف العطف أو مستأنف وانما كان معجز القول لان الله امتن عليه بجوامع الكلم التي أوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن وكأن الناظم جرى على هذا القول وان احتمل ان ينزل كلامه على مذهب الجمهور من ان الحديث غير معجز بأن يؤول ويقال مراده بكونه معجز القول ان كلامه فيه الاخبار بالمغيبات وهو من هذه الحيثية معجز باتفاق وقوله والفعال أي ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق على أن يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث الحضرة الالهية التي لا يدخل فيها أحد الا باذنه وقوله كريم الخلق بفتح الخاء وقد تقدم الكلام عليه عند قوله فتنزه في ذاته الخ وقوله والخلق بضم الخاء وسكون اللام كما مر بسطه عند قوله ما سوى خلقه النسيم الخ وقوله مقسط أي عادل في أحكامه وأقواله وأفعاله فلا يصدر منه شئ الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه أو علم أحواله حتى أعداؤه وكان صلى الله عليه وسلم يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر وقوله معطاء أي كثير العطاء الذي يعجز عن أدناه الملوك وعن أنس ما سئل صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه وجاءه رجل فأعطاه غنما كثيرة كأنها تملأ ما بين الجبلين فرجع الى قومه فقال أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة ثم مائة ثم مائة وعن جابر ما سئل صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لا أي لا ينطق بالرد بل ان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء بان لم يرصد ما عنده لما هو أهم أعطاه والا سكت وقال صلى الله عليه وسلم لسائل ما عندي شئ ولكن ابتع علي أي اشتر في الذمة وأنا أدفع عنك الثمن اذا جاءنا شئ فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره منه ذلك فقال سعد بن معاذ أنفق يا رسول الله ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم وقال بهذا أمرت وقوم ما أعطاه يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف قيل وهذا نهاية الجود وصح انه أتي بمال من البحرين فأمر بصبه في المسجد فكان أكثر مال أتي به فكان مائة ألف فخرج للصلاة ولم يلتفت اليه ثم بعدها جلس ففرقه ومع هذا الجود الواسع كان يعيش عيش الفقراء وكان يأتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع وجاءه سبي فسألته فاطمة في خادم يكفيها مؤنة بيتها فأمرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا أعطيك وادع أهل الصفة يطوون بطونهم من الجوع (قوله لا تقس) أي اذا علمت اتصافه بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا يقاربها في مخلوق غيره علمت أن الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته لا تقس من قست الشئ بغيره قدرته على مثاله أي لا تشبه بالنبي

معجز القول والفعال كريم الـ
خلق والخلق مقسط معطاء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقا
فهو البحر والانام اضاء

(قوله مقسط) أي عادل وصح ان رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا في أحد اه من ابن حجر

كل فضل فى العالمين فمن فضـ
ل النبى استعاره الفضلاء
شق عن صدره وشق له البد
ر ومن شرط كل شرط جزاء

الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فى الفضل الجامع لتلك الصفات بل ولا فى كل وصف منها على حدته لان كل وصف من أوصافه وصل فيه الى غاية لم يلحقه فيها مخلوق وقوله خلقا أى نبيا أو ملكا أو غيرهما أى لا نعتقد ان مخلوقا يساويه أو يقاربه فى وصف من أوصاف كماله كما مر عند قوله لم يساووك فى علاك الخ وقوله فهو البحر أى هو لا غيره البحر الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال البالغ الغاية وقوله والانام هو كما فى القاموس كسحاب الخلق أو الجن أو الانس أو جميع ما على وجه الارض ومثله أنيم كأمير وآنام بالمد كآنام اهـ والمراد هنا الاول أى الخلق مطلقا لكن المراد من هذا الاول بعض ماصدقاته وهو الانس والجن والملك بدليل قوله الآتى كل فضل فى العالمين وقوله اضاء بالكسر والمد جمع أضاة كقنات وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير وفى المختار والغدير القطعة من الماء يغادرها السيل وفى نسخة والانام ركاء جمع ركوة وهو الدلو الصغير (قوله كل فضل فى العالمين) أى وجد فى العالمين وقوله فمن فضل خبر مبتدا محذوف أى فهو كائن من فضل ذلك النبى الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وقوله استعاره جملة حالية من الضمير المستكن فى الجار والمجرور وانما استعاروه منه لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبى انما هى مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فهى غير مضيئة بذاتها وانما هى مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده انما كانوا يظهرون فضله وأنوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع وقد أشار لهذا فى بردة المديح بقوله وكل آى أتى الرسل الكرام بها الابيات الثلاثة ألا ترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى مثلها أو أعظم منها كما سبره الائمة ووضحوه وقد قال الفخر الرازى لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهة آدم ووقع فى تفسير الرازى انه أعطى مكان سفينة نوح أنه دعا حجرا وهو على شط الماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وذلك لما قال له عكرمة بن أبى جهل ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه الى آخر ما تقدم فقال له النبى أيكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه وقد أعطى نبينا مكان انفلاق البحر لموسى انشقاق القمر الذى هو أبهر لانه تصرف فى العالم العلوى على انه نقل أن بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف بحور الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلق لنبينا ليلة الاسراء وعن سلمان الفارسى قال تحت هذه السماء بحر ماء تطفح فيه الدواب مثل ما فى بحركم هذا ومن ذلك البحر أغرق الله قوم نوح وينزله الله الارض قبل يوم القيامة فيغرق به من يشاء ويعذب به من يشاء ذكره السيوطى (قوله شق عن صدره) وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره أولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى أن تكرر ذلك أربع مرات أو خمسا مبالغة فى التطهير ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك وقوله وشق له أى لاجله البدر أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبته قريش وبالغوا فى عناده وطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه وهى ان

(قوله وقد أعطى نبينا مكان انفلاق البحر لموسى الخ) قال ابن حجر ولما أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا حية أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى هو أبهر وأغرب وذكر الرازى وغيره أن أبا جهل أراد أن يرميه بحجر فرأى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا اهـ

ورمى بالحصى فأصمى جيشا
ما العصا عنده وما الالقاء

يشق لهم القمر نصفين فانشق له كذلك ولم يقع هذا لغيره وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدله شئ من آيات الانبياء لظهوره لملكوت السماء خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه وجاء ان فرقة منه كانت فوق جبل حراء وأخرى كانت أسفله وفى رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وانه قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا المسافرين فجاؤا من كل ناحية وأخبروا بأنهم رأوه منشقا فقال بعض الكفار لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وما قيل ان القمر قد دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا أصل له واعلم ان البدر اسم للقمر ليلة أربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة أربعة عشر ولم أر له فى ذلك سلفا ولعله أراد بالبدر مطلق القمر وقوله ومن شرط أى وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزى على ذلك بجزاء من جنسه اذ من شرط كل شرط وقع فى البدن لغرض مقصود أن يكون له جزاء وفائدة وغيره كبره من مرض فهكذا هنا لما روع وألم صلى الله عليه وسلم فى شق قلبه المرة بعد المرة جوزى على ذلك بجزاء عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وأبهرها بعد القرآن فتبين من هذا أن الشرط الاول ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وان الثانى شق الجلد واللحم وفى ذكر الجزاء تورية اذ يطلق على الجزاء النحوى والجزاء العرفى وهو المجازاة على صنيع وقع (قوله ورمى بالحصى) أى ومن معجزاته أيضا أنه فى غزوة بدر وغزوة حنين رمى أعداءه بالحصى فأصمى أى أصاب فاهلك ففى القاموس اصمى الصيد أصاب فقتل مكانه وقوله جيشا أى عظيما كانوا تحزبوا عليه حتى ظن أنهم لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان ذلك أنه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه أى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم ونزل فى هذه الرمية التى فى بدر قوله تعالى وما رميت اذ رميت وقال الجبرية فى هذه الآية سلب فعل النبى عنه واضافته الى ربه وهو يعين الجبر ويبطل نسبة أفعال العباد اليهم ورد بأن هذا غلط وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب والمراد من الآية عند أهل السنة ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ عادة كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف والالقاء ومن الرب نهايتها وهو الايصال فاضاف تعالى الى نبيه رمى الحذف وهو مبدؤه بقوله اذ رميت ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته بقوله وما رميت ونظير هذه الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى بأنه المنفرد بالتأثير وان غيره ليس منه الا أسباب تظهر للناس ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله فى السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا أناس قليلون من أهل بيته العباس وعلى وأبو سفيان بن الحرث ومن أصحابه أبو بكر وعمر والفضل وآخرون فحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين فما بقى منهم أحد الا ملئت عيناه من تلك القبضة وقوله ما العصا عنده أى واذ قد علمت ما ترتب على رميه بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم آن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى لعصاه والقاء السحرة حبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل ذلك ما العصا

(قوله انه فى غزوة بدر الخ) قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذى نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم فارتحلوا آيسين خائبين اهـ من ابن حجر

ما استفهام انكاري والمراد عصا موسى التي ألقاها على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك وقوله عنده أي الحصى المرمي أي بالنسبة اليه وفي جنبه وقوله وما الالقاء أي لتلك العصا على تلك الحبال أي لا تقاس معجزة نبينا في القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى في القاء عصاه على ما ذكر فان القاء الحصى القليل على هذا الجيش الكثير حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال فانها لم تقهر العدو بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه • (تنبيه) • أكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري ما من الانبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي وأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا وفي معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيامة لا يمر عصر الا وفيه يظهر شيء أخبر بأنه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول (قوله ودعا للانام) أي ومن معجزاته أيضا انه دعا للانام والمراد به هنا أهل المدينة ومن داناهم وقوله اذ دهمتهم أي وقت أو لاجل ان دهمتهم أي غشيتهم سنة من محولها أي من أجل محولها بضم الميم والحاء أي شدة جدبها وقحطها وهو متعلق بقوله شهباء الواقع نعتا لسنة والشهباء التي لا خضرة فيها ولا مطر وأما السنة فزمن الجدب والمحل وان لم تكن سنة بالمعنى المشهور أو المراد بها الزمن المخصوص الذي هو اثنا عشر شهرا فعلى الاول يكون قوله شهباء تأكيدا وعلى الثاني يكون تأسيسا وسبب هذا الدعاء ان الناس أصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابي وهو يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال وادع الله لنا فرفع يديه وليس في السماء شيء من السحاب فما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل من على المنبر حتى أصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقطع المطر وخرجوا يمشون في الشمس وسال الوادي شهرا ولم يجيء أحد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير (قوله فاستهلت) أي فبسبب دعائه استهلت بالغيث أي صبت المطر بشدة وقوله سبعة أيام أي كوامل لما علمت أنه استمر من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى وقوله سحابة فاعل استهلت وقوله وطفاء أي مسترخية الجوانب لكثرة ما حملت من الماء (قوله تتحرى) نعت لسحابة أو حال منها أي تقصد تلك السحابة بمائها واسناد القصد اليها مجاز وقوله مواضع الرعي أي الكلأ الذي يرعى وقوله السقي أي ومواضع السقي التي يجتمع فيها الماء ليشرب منها البهائم وقوله وحيث العطاش أي وتتحرى أيضا مواضع العطاش فحيث بمعنى الاماكن والمواضع وقوله توهى السقاء صلة لموصول محذوف نعت لحيث أي التي يوهى بالبناء للمفعول أي تخرق السقاء منهم فيها أي في حيث فالعائد مقدر أي ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تحرى الامكنة

ودعا للانام اذ دهمتهم
سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا
م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسق
ي وحيث العطاش توهى السقاء

(قوله وحيث العطاش الخ) قال الشارح أي الجوجري فيه اقتباس المثل وهو قولهم حل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه اهـ من ابن حجر

المعطشة التي تتخرق أسقية العطاش فيها ليبسها وجفافها من عدم الماء والسقاء الظرف للماء واللبن وأما المختص باللبن فيقال له وطب وأما النحي والعكة فهما وعاآن من جلد يوضع فيهما السمن فقط وأما القربة فهي وعاء الماء خاصة (قوله وأتى الناس) أي ولما استمر عليهم الايام السبعة وكاد الناس يهلكون أتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة وسألوه أن يدعو لهم وقوله يشتكون أذاها أي تلك السحابة وهذه الجملة حالية من الناس وانما اشتكوا منها لقطع المطر السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكي واحد لان ما به من الضرر لحق بقية الناس فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا أسنده الى كلهم وقوله ورخاء أي سعة من المطر وقوله غلاء أي شدة عظيمة وأصله ارتفاع السعر المؤدي الى الشدة فاستعمل اسم السبب في المسبب (قوله فدعا) أي فبسبب ان هذا الرخاء الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الى شدة وهو الهلاك كما دعا ربه أن يكشف عنهم وقوله فانجلى الغمام أي السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون في الشمس كما مر وقوله فقل أي فاذا تقرر هذا فقل أيها العالم بهذه الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب أو معنى فقل فتعجب وقوله اقلاعه أي انكشافه استسقاء أي ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء يكون عادة لطلب حصول الماء وهذا الطلب لرفعه أو يقال في معنى قوله اقلاعه استسقاء أي اقلاعه على حذف مضاف أي طلب اقلاعه وقوله استسقاء على حذف كاف التشبيه أي طلب اقلاعه كالاستسقاء بجامع ترتب دفع الضرر على كل (قوله ثم أثرى الثرى) أي ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه أثرى الثرى الثرى فاعل أثرى مأخوذ من قولهم أثرى الرجل اذا كثر ماله والثرى اسم للتراب فالمعنى هنا ثم أثرى التراب أي كثر خيره أي كثر الخير بسببه أي كثر المطر الواقع عليه فكثرة فوائده لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال وقوله فقرت أي فبسبب هذه الكثرة قرت أي فرحت واطمأنت من قولهم أقر الله عينه أي أعطاه حتى لا تطمع عينه الى من فوقه وقوله عيون أي عيون أهل المدينة وقوله بقراها أي بسبب عمارة قراها أي العيون أو المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة من الخصب بعد ما زال عنهم الكرب وقوله وأحييت أي بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما يصيرها كالموتى من أحياه الله تحيى بالفك وتحي بالادغام وهو الاكثر وقوله أحياء جمع حي أي قبائل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى بجامع النفع في كل واستعير الاحياء للانقاذ واشتق منه أحييت أي أنقذت من الهلاك (قوله فترى) أيها المخاطب لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبه أي ذلك المطر أي عقبه من حيث انه تولد عنه ما يدهش الابصار من الزروع والنباتات والازهار وقوله كسماء حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت علمية وقوله أشرقت أي زالت عنها وقوله من نجومها أي من أجل نجومها وقوله الظلماء فيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية في السماء والمجازية في الارض (قوله تخجل) أي تحير وتدهش وقوله الدر أي اللؤلؤ واسناد الخجل اليهما مجاز وهو على حذف مضاف أي أهلهما يعني ان من بأيديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عند رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة وقوله من نور بفتح

وأتى الناس يشتكون أذاها
ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في
وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون
بقراها وأحييت أحياء
فترى الارض غبه كسماء
أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو
ر رباها البيضاء والحمراء

(قوله وذكر الناس مع أن الشاكي واحد الخ) نظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا اهـ ابن حجر

النور أي زهر وهو بيان لقائل يجعل الآتي وهو البيضاء والحمراء قدم عليه لأجل النظم وقوله رباها بضم الراء أي المحال المرتفعة منها وخصت بالذكر لأن الذي بها من النبات يكون أنضر وأبهى من بقية الأرض وقوله البيضاء راجع للدر وقوله الحمراء راجع لليواقيت أي يجعل نورها الأبيض الدر ونورها الأحمر اليواقيت ففيه لف ونشر مرتب وما تقرر من أن الناظم أراد القصة المذكورة التي كانت بالمدينة وصحت بها الأحاديث هو الظاهر ويجوز أن يريد أيضا القصة التي وقعت بمكة فقد ورد أن قريشا لما أبطؤا عن الإسلام دعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد قد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك هلكوا فادع الله لهم فدعا فسقوا الغيث واستمر عليهم سبعة أيام فشكا الناس كثرته فسأل الله رفعه فارتفع (قوله ليته خصني) لما ذكر من صفاته الباهرة ما يشوق كل سامع لشيء منها إلى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته وهي لتمني ما لا طمع في حصوله أو ما فيه عسر خصني برؤية وجه أي ليتني أدركت زمنه فرأيته لأكون من أصحابه إذ هم أفضل من جميع من جاء بعدهم عند الأكثرين وذهب ابن عبد البر إلى أنه يمكن أن يكون في زمن من بعدهم من هو أفضل من بعضهم وأشار بعضهم إلى أن محل الخلاف في صحابي لم يحصل له إلا مجرد الرؤية وأما من زاد على ذلك برواية عنه أو غزو معه فلا نزاع فيه أو ليتني أراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا لي أو ليتني أراه في النوم رؤية تدل على اعتنائه بي لإخباره صلى الله عليه وسلم بأن من رآه في النوم فقد رآه حقا لأن الشيطان لا يتمثل بصورته وبأن من رآه فيه فقد رآه في اليقظة أي كأنه رآه فيها لما تقرر أن الشيطان لا يتمثل به مطلقا أي في أي صورة كانت وقال بعضهم محله أن رؤي بصورته التي كان عليها في الدنيا وصح عن ابن سيرين وعن ابن عباس ما يفيد هذا التقييد ومقتضاه أن الشيطان يتمثل به إذا رؤي على صورة غير صورته التي كان عليها في الدنيا أو على صفة غير صفته وجاء في حديث ضعيف أني أرى في كل صورة وصحح النووي وغيره أنه يرى حقيقة ولو على غير صفته وقال عياض في رواية مسلم من رآني في النوم فسيراني في اليقظة يحتمل أن المراد أن رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في الآخرة على أنواع مخصوصة من قربه أو شفاعته له وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما في رؤية الله تعالى إذ لا صورة له ترى بل تمثال بحسب خيال الرائي معرف لها أي لذاته تعالى من نور أو غيره أو ليتني أراه في يقظتي بناء على إمكان ذلك وهو ما حكاه ابن أبي جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم أنهم رأوه في اليقظة وسألوه عن أشياء قال ابن أبي جمرة وهذه من جملة كرامات الأولياء وعن الغزالي أن أرباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويستفيدون منهم فوائد ومما يؤيد هذا أنه لا يبعد أن من أكرم رؤيته يزيل الله الحجب بينه وبينه وهو بحاله في قبره ويخلق الله في الرائي قوة في بصره فيراه ولو مع بعد المسافة ويحادثه ويسمع كل كلام الآخر فتلخص أن الاحتمالات أربعة ليتني رأيته في حياته ليتني أراه في القيامة ليتني أراه في النوم ليتني أراه في اليقظة والظاهر أن مراد الناظم هذا الرابع وقرينته ذلك أنه تلميذ القطب أبي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل إلى هذا المقام والقطب المذكور وارث القطب الأكبر أبي

ليته خصني برؤية وجه
زال عن كل من رآه الشقاء

(قوله برؤية) هي والرؤيا بألف التأنيث قيل بمعنى والأظهر أن الأولى أعم لشمولها اليقظة والمنام واختصاص الثانية بالثاني ولتأسيسه تتعلق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم مبناها بتبليغ المرام بيان حقيقة رؤيته في اليقظة والمنام فارجع إليهما إن أردت اهـ حفني على ابن حجر

الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه رؤية النبي يقظة بل قال الشاذلي لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي مسلما وممن حفظت عنه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا العارف بالله تعالى سيدي علي وفا ابن القطب الكامل سيدي محمد وفا وهما من جملة المنتسبين إلى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا الطريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية وكان سيدي علي يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا عند قبر والدة بالقرافة فيكون الناظم منسوبا لهؤلاء يقرب أنه سألها يقظة كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن أبي الحمائل يرى النبي يقظة كثيرا حتى يقع له أنه يسئل في الشيء فيقول حتى أعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يدخل رأسه في جيب قميصه ثم يقول قال رسول الله فيه كذا فيكون كما أخبر لا يتخلف ذلك أبدا وقوله زال أي تحول فزال هنا تامة وقوله من رآه أي مؤمنا به في حياته أو بعد موته في يقظة الرائي أو في النوم على صفته التي كان عليها في الدنيا وفي الآخرة على وجه مخصوص وقوله الشقاء أي جميع أنواعه (قوله مسفر) بالجر نعت وبالرفع خبر لمبتدأ محذوف وكذا يقال فيما بعده فلما ذكر الوجه الكريم ذكر بعض صفاته فقال مسفر أي مشرق مضيء يكاد نوره أن يخطف الأبصار وقوله يلتقي أي ذلك الوجه وقوله الكتيبة أي الجيش العظيم وقوله بساما حال أي مبتسما وقوله إذا أسهم أي تغير من سهم بفتح الهاء وضمها إذا احمر وتغير وقوله اللقاء أي لقاء العدو أي فهو في الحالات التي ينزعج غيره فيها ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة والثبات والتبسم لعظم ما آتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره إلى أدناها وذهب بعض المالكية إلى أن من قال إن النبي هزم إنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقيصه واعترضه بعض آخر منهم بما حاصله أنه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة وقياس مذهبنا خلافا لمن أخطأ فيه أنه إن نوى بذلك تنقيصه كفر وإلا فلا وإذا قلنا بكفره فذهب بعض أئمتنا إلى أنه لا تقبل توبته والمعتمد قبولها منه (قوله جعلت مسجدا له) أي لذلك الوجه المكرم ولأمته بطريق التبع له وقوله الأرض أي كلها وتصح الصلاة في سائر بقاعها كما في الحديث أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة رواه الشيخان والنسائي عن جابر والمراد بقوله مسجدا أي موضع سجود أي أن السجود لا يختص بموضع منها دون غيره ومعناه أن الصلاة لم تبح لمن قبلنا إلا في محل يعينونه للصلاة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك ولفظه وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم وهذا ظاهر في حال إقامتهم أما في حال سفرهم فيحتمل أن صلاتهم كانت تسقط عنهم فيه ويحتمل أنهم كانوا يؤخرونها إلى أن يجدوا كنيسة أو نحوها ويحتمل أنه كانت تجوز صلاتهم في أي بقعة كانت فتكون الخصوصية لنا عليهم بالنسبة لحالة الإقامة وقوله فاهتز أي فبسبب هذا الجعل اهتز أي تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه وسلم للصلاة أي لأجلها فيها أي الأرض أي وذلك الجبل من جملة بقاعها فلا بد من هذه الضميمة ليظهر التعليل ومحصله أن فرحه المذكور وتحركه لأجل جواز الصلاة وحلها فيه من حيث إنه من جملة أجزاء الأرض وفي الحديث ما يقتضي أن تحركه وسروره من حيث مشي النبي عليه وصعوده

مسفر يلتقي الكتيبة بساما إذا أسهم الوجوه اللقاء
جعلت مسجدا له الأرض فاهتز به للصلاة فيها حراء

(قوله إذا أسهم الخ) وصح أنه صلى الله عليه وسلم ثبت على بغلته في غزوة حنين لما تفرق عنه أصحابه وركضها إلى وجه العدو ونوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا ❊ أنا النبي لا كذب ❊ أنا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك اهـ من ابن حجر

عليه ولا منافاة اذ يمكن ان يكون فرحه بكل من الامرين وقوله حراء بالكسر والمد ويجوز
قصره وصرفه باعتبار المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو الجبل الذي كان يتعبد
فيه قبل النبوة ودليل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان على حراء ذات يوم هو وأبو بكر وعمر
وعثمان وطلحة والزبير فتحرك الجبل فقال أسكن حراء ما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وجاء
في رواية أنه كان معه العشرة الا أبا عبيدة وجاء ان هذا وقع له في أحد أيضا وكان معه فيه أبو
بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال أثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيد
وجاء هذا في ثبير أيضا وهو جبل مقابل لحراء قال الطبري وغيره واختلاف الروايات يحمل على
أنها قصص قد تكررت وهو واضح (قوله مظهر) أي ذلك الوجه الكريم وقوله شجة الجبين
أي جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتي ان
الذي شج أي جرح جبهته وفي رواية وجنته والوجنة ما ارتفع من الخدين والجبين غيرهما
فالتعبير به من مجاز المجاورة وقوله على البرء أي معه فعلى بمعنى مع من برئ من المرض بكسر
الراء برأ بضم الباء وبرأ بفتحها مع سكون الراء فيهما وهذه الشجة كانت يوم أحد فعن أبي سعيد
الخدري ان عتبة بن أبي وقاص الذي مات شقيا وهو أخو سعد بن أبي وقاص أول من رمى
بسهم في سبيل الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفتخر به ويقول هذا سعد خالي أي لانه
زهري فليرني امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى ذلك الشقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته اليمنى السفلى وعن أبي سعيد أيضا ان عبد الله بن
شهاب الزهري شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبهته وان عمرو بن قمئة جرح وجنته
فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع في حفرة وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى
وقع على شقه في حفرة وجاء في خبر مرسل ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف
سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها وقوله كما مصدرية وقوله البراء بفتح الموحدة وهو يطلق
على أول ليلة من الشهر وعلى آخر ليلة منه وعلى آخر ليلة من النصف الاول والمراد هنا
الاول لاجل ذكر الهلال اذ هو اسم للقمر أول ليلة وقيل والثانية والثالثة أي ان وجهه
المكرم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل كان في غاية الجمال
كظهور الهلال ليلة استهلاله وذلك لحكمتين ليتذكر الراؤن بذلك والراوون عنهم ما وقع له
من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به في ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه بل زادته
جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء في وجهه كالهلال في السماء (قوله ستر) أي ذلك الوجه
الحسن أي الاصلي وقوله منه أي من ذلك الوجه وقوله بالحسن أي العارض من الشجة وقوله
لجمال أي أصلي وقوله له الجمال أي العارض وقوله وقاء أي وقاية وسبب ذلك أن الله تعالى
أعطاه غاية الجمال في باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله جعله كله نورا حتى
لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فلما أزالته الشجة ظهر من أنواره الباطنة
ما صيرها كالهلال في وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما
جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه
تشبيهات توضح ذلك وتكشفه فقال فهو كالزهر الخ (قوله فهو) أي ما ظهر بالشجة من باطن
بدنه كالزهر أي نور النبات وقوله لاح أي ظهر وقوله من سجف الاكمام السجف بفتح أوله
وكسره واسكانه والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد

والاساءه

مظهر شجة الجبين على البر
ء كما أظهر الهلال البراء
ستر الحسن منه بالحسن فاعجب
لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الاك
مام والعود شق عنه اللحاء

(قوله وان عمرو بن قمئة الخ) ولما رماه قال خذها وانا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة اه ابن حجر

فالاضافة في سجف الاكمام بيانية وقوله والعود أي وهو أيضا كالعود الذي يتطيب به اذا
شق عنه أي أزيل عنه اللحاء وهو قشر الشجر من لحوته ألحوه قشرته باللام فظاهر الجلد
كاللحاء وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك أن جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره
ومن ثم قال كاد أن يغشي الخ (قوله كاد) أي قارب ما ظهر من جماله بالشجة أن يغشي بالغين
المعجمة أي يغطي أظهر من المهملة وقوله سنى بالقصر أي ضوء عظيم وقوله منه متعلق بمحذوف
أي خارج منه وقوله لسر فيه أي في ذلك الباطن الذي ظهر وهو مصيره صلى الله عليه وسلم
كله ضياء ونورا أعظم من ضياء الشمس وقوله حكته أي شابهته وقوله ذكاء بضم المعجمة
وعدم الصرف أي الشمس (قوله صانه) أي صان ذلك الجمال الذي ظهر الحسن أي لو انفرد
فكيف وقد انضم اليه السكينة وهي الوقار مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يمتحن به من
المؤذيات التي لا يسكن عندها غيره وقوله أن تظهر أي من أن تظهر فيه آثارها الضمير يعود
على البأساء الواقع فاعلا أي الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة
ونهاية الجمال فعلم أنه في حالة اليسر كهو في حالة البأساء لما أودعه الله من كمال الجمال وتمام
البهاء فلا تؤثر فيه البأساء شيأ (قوله وتخال) أي تظن أنت وقوله ان قابلته أي عاينته وجواب
ان محذوف أي تخجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة ويدل على هذا المحذوف قوله
ألبستها الخ الذي سد مسد مفعول تخال الثاني وجملة الشرط وجوابه معترضة بين المفعولين
وقوله ألوانها ضميره عائد على الحرباء الواقع فاعلا وهي طائر مشهور من شأنها أنها تستقبل
الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة وهي على قدر القطا أو
قريب منها قال بعضهم وهذا الطائر الذي هو الحرباء موجود في بلاد الشام كثيرا وذكر من
رآها أنها اذا وقع عليها ثوب أبيض أو أصفر صار لونها أبيض أو أصفر مثله وأنها اذا رأت
ذبابة على الارض وهي على الشجرة التقطتها بلسانها لطول لسانها اه ثم رأيت في حياة
الحيوان الكبرى للعلامة كمال الدين الدميري ما نصه الحرباء كنيته أبو جعفر وأبو
الزنديق وأبو شقيق وأبو قادم قال الامام القزويني في عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا
بطيء النهضة وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة تخالف عينيه تدور الى كل جهة
من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة في بدنه ولا قصد اليه ويبقى كأنه جامد كأنه ليس
من الحيوان ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهي أنه يتشكل في لون الشجرة التي يكون
عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه
ويخطف ذلك بسرعة كخطوف البرق ثم يعود الى حاله كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه
بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار وشيء وما يصطاده على هذه المسافة واذا رأى
ما يربعه ويخيفه تشكل وتكون على هيئة شكل ينفر منه كل من يريده من الجوارح
ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهى والحرباء أكبر من القطاة وهي تستقبل الشمس وتدور
معها كيف دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الامام الغزالي ألوانا مختلفة تتلون الى حمرة
وخضرة وصفرة وما شاءت وهو ذكر والجمع الحرابي والانثى حرباءة وهي أبدا تطلب الشمس
فحين تبدو تنحرف بوجهها اليها حتى اذا استوت الشمس على رأس شجرة وما يجري مجراها
واذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون فلا تزال طالبة لها ولا
تفتر الى أن تنصوب الى جهة الغرب فترجع بوجهها اليها مستقبلة لها ولا تنحرف عنها الى أن

كاد أن يغشي العيون سنى منه لسر فيه حكته ذكاء
صانه الحسن والسكينة أن تظهر فيه آثارها البأساء
وتخال الوجوه ان قابلته ألبستها ألوانها الحرباء

(قوله والسكينة) أي وقار الظاهر مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يمتحن به من المؤذيات التي لا يسكن عندها غيره اه ابن حجر

(قول المحشي وهي طائر مشهور) الصواب اسقاطه لانها كسام ابرص ليس لها جناح كما شاهدناها

تغيب فاذا غابت الشمس طاب هذا الحيوان معاشه ليله كله الى أن يصبح وهذا الحيوان يشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة ولها أربعة أرجل كسام أبرص وسنام كسنام البعير (قوله فاذا شمت) أى فبسبب هذا الجمال الباهر والاحسان الكثير اذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه وقوله بشره أى طلاقة وجهه وقوله ونداه أى جوده أى اذا تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه أذهلتك أى أنستك ما أنت بصدده الانوار الباهرة التى تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه وقوله والانواء جمع نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم أو وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهى هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه لمن قصد نداه وأمله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى (قوله أو بتقبيل راحة) لما أنهى رؤية الوجه الكريم وأتبعه بأوصافه العلية أخذ فى ذكر تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها العلية فقال أو بتقبيل أى أوليته خصنى بتقبيل راحة وأو بمعنى الواو والراحة بطن الكف لكن المراد بها هنا الكف بتمامها أى بتقبيلها فى اليقظة أو فى النوم على ما مر من الوجوه الاربعة فى رؤية الوجه ووقع تقبيلها فى اليقظة لكثير كالقطب الرفاعى لما حج ووقف على القبر الشريف وأنشد

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها بحضرة الناس ووقع ذلك أيضا للشيخ الناظم القطب المرسى فانه قال صافحت بكفى هذه كف النبى مرارا اهـ ومن لازم هذا تقبيلها وقوله كان لله أى لاجل ابتغاء وجهه دون غرض آخر وقوله وبالله أى بسبب شهود اعانته واقداره وقوله والعطاء اسم مصدر بمعنى الاعطاء وذلك لبراءتها عن كل غرض ينافى الكمال الاعظم (قوله تتقى) بفتح التاءين أى تخاف وتحذر وقوله بأسها أى شدتها فى الحرب وقوله الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس وقوله وتحظى بفتح التاء أى تفوز وتظفر بالغنى الحسى والمعنوى وقوله من نوالها أى اعطائها وذلك لانه كان أجود الناس ومع ذلك يعيش عيش الفقراء بايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله وفى ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقراء وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه نظراؤه (قوله لا تسل) أصله تسأل بالهمزة ثم خفف بحذفها كما قرئ به فى سأل سائل وقوله سيل هو الماء الكثير الجارى وقوله جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير أى لا تسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لا يقدر أحد من البشر قدره وقوله انما أى ان الذى يليق بك أن تسأل ما يكفيك وهو أن يصل اليك من وكف أى قطر سحبها جمع سحاب والانداء جمع ندى وهو البلل على أن بلل هذا القطر فيه الغنى الكلى (قوله درت الشاة) أى أرسلت لبنها الغزير وقوله فلها أى فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها الفحل قط وقوله ثروة أى كثرة لبن وقوله بها أى بسبب تلك الراحة الكريمة وقوله ونماء أى زيادة فى تلك الثروة وهذه القصة وقعت له لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة أى كثيرة البروز للرجال مع عفتها وصيانتها وانما تبرز لهم لتسقى العطاش وتطعم الجائعين وكان الوقت وقت قحط فطلبوا منها لبنا

فاذا شمت بشره ونداه
أذهلتك الانوار والانواء
أو بتقبيل راحة كان لله
وبالله أخذها والعطاء
تتقى بأسها الملوك وتحظى
بالغنى من نوالها الفقراء
لا تسل سيل جودها انما يكـ
فيك من وكف سحبها الانداء
درت الشاة حين مرت عليها
فلها ثروة بها ونماء

(قوله أو بتقبيل راحة) أى بلثمى فى اليقظة أو النوم نظير ما مر لكفه التى كان لله الخ اهـ ابن حجر

ولحما

ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى جنب الخيمة تخلفت عن صواحبها أن تسرح معها لضعفها من شدة الجوع فسألها هل بها لبن فقالت هى أجهد من ذلك وما ضربها الفحل قط فقال أتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أى جعل رجلها بين ساقه وفخذه على عادة حلب الشياه ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت أى فرقت بين رجليها ليسهل حلبها ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة بعد أخرى فتركه عندها وذهبوا (قوله نبع الماء) أى ومن أوصاف تلك الراحة أيضا أنه نبع الماء أى بها اذ قول الناظم فيما يأتى بها راجع لكل من الامرين نبع الماء واثمار النخل ولم يقل منها مع أنه المتبادر ليفيد أن نبع الماء وقع تارة منها نفسها وتارة من غيرها ببركتها أما الاول فقد وقع مرات كثيرة فمنها ما فى الصحيحين عن أنس أن الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا ماء فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤا وكانوا ثمانين وفيه أى البخارى أن الماء نبع من بين أصابعه ومن أطراف أصابعه ووقع نظير ذلك فى غزوة تبوك وكانوا ألفا وخمسمائة وظاهر الروايات أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وصححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير مادة وأما الثانى فمنه ما وقع فى الحديبية انهم أتوا على بئرها وكان ماؤها قليلا فنزحوه ثم عطشوا فأخذ صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فغرزه فى قعر البئر ففارت البئر ومكثوا عليها أياما عديدة يستقون لانفسهم ومواشيهم وكانوا ألفا وأربعمائة وماؤها كثير الى الآن وقوله أثمر النخل أى فى عامه أى فى سنة غرسه وقوله بها أى بسبب تلك الراحة الكريمة وذلك فى قصة سلمان الفارسى * وحاصلها أنه لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وعلى أربعين أوقية ذهبا فأخبر سلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم غرسه صلى الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها واحدة بل أثمرت كلها فى عامها وبقى عليه الذهب فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب فأعطاها له فقال وأين تقع هذه مما على فقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية قال سلمان والذى نفسى بيده انه قد فضل منها قدر ما وزنت لهم وقوله سبحت بها أى فيها الحصباء لغة فى الحصى * وحاصل قصته أنه كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن أبا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم أخذها الحاضرون فلم تسبح مع أحد منهم ومعنى تسبيح الحصى وغيره من الجمادات أن الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة (قوله أحيت المرملين) أى ومن أوصافها أيضا أنها أحيت المرملين الذين نفدت أزوادهم من القحط حتى أشرفوا على الموت فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من موت جهد أى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء أن ذلك الجهد لما كان قريبا من الموت أطلق عليه اسمه وقوله أعوز القوم يقال أعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه أى عز وتعذر عليهم وقوله فيه أى فى ذلك الجهد وقوله زاد عبر به مع أنه يقال لطعام المسافر خاصة وذلك للاشارة الى أنهم لما حصلت لهم تلك الشدة صاروا كالمسافرين

نبع الماء أثمر النخل فى عا
م بها سبحت بها الحصباء
أحيت المرملين من موت جهد
أعوز القوم فيه زاد وماء

(قوله نبع الماء) قال العلامة ابن حجر وصح عن مقاتل فى بعض رواية أن العطش اشتد بهم فى غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فسأله أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم أتحبون ذلك قال نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء وانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها جاوزت العسكر اهـ

المشرفين على الهلاك (قوله فتغدى) الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة يقال لما يؤكل من أول النهار الى الزوال والعشاء بفتح العين ما يؤكل بعد الزوال الى الفجر كما فى القاموس وأما الغذاء بكسر الغين المعجمة والذال المعجمة فهو اسم لما يؤكل على سبيل التقوت فى أى وقت كان فقول الناظم فتغدى بالغين المعجمة والدال المهملة وذلك لان قصة جابر كانت فى أول النهار وقوله ظماء جمع ظامئ أى عاطش أما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين أصابعه تارة وببركته أخرى فتقدم الكلام عليه والتعبير فيه بالصاع للاشارة الى تقليله لا لخصوص هذا المقدار وانما ذكره للمشاكلة لما قبله وكذلك التعبير بالالف المراد به العدد الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة خصوصا وقد مكثوا أياما عديدة على ماء وفى بعضها كغزوة تبوك كانوا ألوفا مؤلفة وأما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى الصحيحين عن جابر أنه رأى بالنبى فى حفر الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة فذبحها وطحنت الشعير ثم ذهب للنبى فأخبره وطلب أن يأتى بنفر قليل معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم بأهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا فحيهلا بكم والسور بالفارسية هو الطعام وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتكلم تارة بغير العربية ثم أمره أن لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجىء فلما جاء بصق فى العجين وفى البرمة وبارك فيهما ثم أمرها أن تدعو خابزة تخبز معها وأن تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم ألف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما (قوله ووفى) بالتخفيف قدر بيضة أى بيضة دجاجة من نضار بضم النون أى ذهب وقوله دين سلمان أى الفارسى أى الدين الذى كان عليه من جملة ما كاتبه عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين وقوله حين حان أى قرب الوفاء أى حلول الاجل (قوله كان يدعى قنا) أى أرق بالباطل • وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه أنه كان من أصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة للنصارى فأعجبوه لانهم كانوا حوارى عيسى وكانوا يتعبدون على ذلك الدين حين كان حقا فذكر ذلك لابيه فقيده وقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم وكان سلمان قد سألهم عن أصل دينهم أى عن العلماء الكبار فيهم فقالوا له بالشام فلما حبسه أبوه أرسل اليهم اذا جاءكم أحد من الشام فأخبرونى ففعلوا فحل القيد وسافر الى الشام فاجتمع بالنصارى هناك فسألهم عن أعلمهم فدلوه عليه فخدمه الى أن مات ثم خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بالموصل فسافر اليه وأخبره بقصته ثم خدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان بنصيبين بلدة من بلاد اليمن فسافر اليه وأخبره خبره ثم خدمه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بعمورية من أرض الروم وكانت محل قيصر وهى مدينة كبيرة فسافر اليه وأخبره خبره ثم خدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال يا بنى ما أعلم أحدا على ما كنا عليه حتى آمرك أن تأتيه وانه قد أظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من أرض العرب مهاجرا الى أرض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بأرضه فافعل ثم مات فمر بى نفر من كلب فقلت لهم تحملونى الى أرض العرب وأعطيكم ما عندى فحملونى فلما بلغوا وادى القرى مكان قريب من المدينة ظلموه فادعوا رقه فباعوه من يهودى فباعه لابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فرفقها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر الى

فتغدى بالصاع ألف جياع
وتروى بالصاع ألف ظماء
ووفى قدر بيضة من نضار
دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما
أينعت من نخيله الاقناء

(قوله الوفاء) أى حلول الاجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق اه ابن حجر

المدينة فبينا أنا ذات يوم على رأس نخلة أجنى لسيدى رطبا اذ جاءه ابن عم له فقال له قاتل الله بنى قيلة وهى أم الاوس والخزرج انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة يزعمون أنه نبى فأخذتنى رعدة وشدة حتى ظننت أنى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا أقبل على عملك فلما أمسى أخذ طبقا من رطب وذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ووضعه بين يديه فقال ما هذا يا سلمان فقال له هذا صدقة فأمر أصحابه بأكله ولم يأكل منه فلما قدم المدينة أتاه بطبق آخر من رطب فقال له ما هذا فقال هدية لك فأكل منه ثم ذهب النبى صلى الله عليه وسلم الى البقيع وقد تبع جنازة فجاء سلمان فجعل ينظر الى ظهره فعرف النبى أنه يتأمله لشئ وسبت له فألقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه وأسلم وأمره أن يكاتب سيده نظرا الظاهر حاله والا فهو من جملة الاحرار اذ هو من أتباع حوارى عيسى فكاتبه سيده على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وعلى أربعين أوقية ذهبا فغرس له النخل فأثمرت من عامها وأعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين فاعتق بأداء النجوم وعاش سلمان من العمر مائتين وخمسين سنة وقيل أكثر وقوله لما أى حين أينعت أى نضجت من نخيله حال من قوله الاقناء جمع قنو وهو العذق بكسر العين أى العرجون وأما بفتحها فهو النخلة (قوله أفلا تعذرون) الهمزة داخلة على محذوف أى أتظلمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد فلا تعذرون سلمان بضم الذال المعجمة أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته وقوله لما أن عرته أى حين عرته أى اعترته وغشيته وقوله من ذكره أى من أجل ذكره أى ذكر اليهودى لقربه النبى واجتماع الناس به فى قباء وقوله العرواء بضم العين وفتح الراء والمد أى قوة الحمى فى أول أخذها الانسان بالشدة والرعدة (قوله وأزالت) أى ومن أوصاف تلك الراحة أيضا أنها أزالت بلمسها لمن به أمراض كل داء وقوله أكبرته أى استعظمته وعجزت عن مداواته وقوله أطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى حفظ صحة الانسان وقوله واساء بكسر الهمزة أى مرضى جمع آس كرعاء وراع روى الدارمى أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صدره فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى والجرو ولد الكلب والسباع (قوله وعيون) أى ومن أوصافها أيضا أنه رئى بها عيون باصرة مرت أى تلك الراحة وهى رمد جمع رمداء تأنيث أرمد أى معطلة الابصار وقوله فأرتها أى أرت تلك الراحة العيون ما لم تر أى الشئ البعيد الذى لم تره الزرقاء المشهورة بزرقاء اليمامة التى كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام روى البخارى فى غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال أين على أى ليعطيه الراية ليكون الفتح على يديه فقالوا يشتكى عينيه قال أرسلوا اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع وفى رواية عن على قال فوضع رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى فما اشتكيتهما قط (قوله وأعادت على قتادة) بن النعمان عينا أنه قد ذهبت وقوله حتى أى الى ممانه النجلاء أى الواسعة والمراد واسعة النظر • وقصته أن عينه أصيبت يوم أحد فوقعت على وجنته وفى رواية على كفه فأتى بها النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى أن ترانى أعور فتكرهنى قال صلى الله عليه وسلم ان شئت أردها لك أو أضمن لك على الله الجنة فقال أختار الامرين يا رسول الله فأخذها بيده وردها

أفلا تعذرون سلمان لما
أن عرته من ذكره العرواء
وأزالت بلمسها كل داء
أكبرته أطبة وإساء
وعيون مرت بها وهى رمد
فأرتها ما لم تر الزرقاء
وأعادت على قتادة عينا
فهى حتى مماته النجلاء

(قوله وعيون الخ) قال العلامة ابن حجر فائدة روى ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان قد وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط الابيض فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان اه

أو بلثم التراب من قدم لا
نت حياء من مشيها الصفواء
موطئ الأخمص الذي منه للقلـ
ـب اذا مضجعي أقض وطاء

الى موضعها وقال اللهم اكسهما جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وفد وفد على عمر
ابن عبد العزيز رجل من ذرية قتادة فقال له عمر من أنت قال

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية عن قتادة فأصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا
على وجنتي فأتيت بهما النبي فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان وأخرج الطبراني
عنه قال كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله فلما رآها في كفي دمعت
عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا
ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين بان أحد الرواة ظن أن الساقط واحدة وبعضهم
علم أنه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة وبها ترجح رواية
الثنتين (قوله أو بلثم التراب) أو بمعنى الواو أي ولينه خصني في اليقظة أو النوم نظير مامر بلثم
أي تقبيل التراب وقوله من قدم متعلق بمحذوف أي المنفصل من قدم أي قدمه عليه الصلاة
والسلام وقوله حياء أي لاجل الحياء فهو مفعول لاجله أو تمييز أي من جهة الحياء وقوله من
مشيها أي من أجل مشيها أي تلك القدم وقوله الصفواء جمع صفاة وهي الحجر الصلد أي شديد
الصلابة وفي هذا تنبيه للعاقل على أنه ينبغي له أن يكون على غاية من الحياء من مخالفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا علم أن الحجر استحيا منه أن يبقى على صلابته فيشق عليه مشيه
عليه فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه فالعاقل أولى بالاستحياء من أن يبقى على مخالفته
مع علمه بجليل أوصافه وماذكره الناظم ذكره غير واحد ممن تكلم على الخصائص وقال
بعضهم وأعجب من هذا أنه كان اذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة في كل منهما وقال
بعضهم لم يثبت كل من الامرين فقد قال السيوطي لا أعلم ذلك ولم أحفظه واذا سئل الحافظ
عن شئ وقال لا أعلمه يكون في الغالب موضوعا (قوله موطئ) بدل من التراب وقوله الاخمص
بضم الميم والمراد به الجنس أي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من
القدم الموضع المرتفع من باطنها الذي لا يلصق بالارض ولا يصلها عند المشي وكان خمصه أي
ارتفاع وسط باطن قدمه معتدلا وهو الممدوح بخلاف البالغ في الارتفاع فهو مذموم
وبخلاف القدم التي لا أخمص لها أي لا ارتفاع فيها بل هي مستوية فهي مذمومة أيضا
وتسمى رحاء وأما التي فيها الخمص فتسمى خمصاء والارتفاع فيها يسمى خمصا والموضع المرتفع
يسمى أخمصا بوزن أفلس وقوله الذي نعت لموطئ وقوله منه حال من المبتدا المؤخر وهو وطاء
وقوله للقلب خبر مقدم والجملة صلة الموصول والقلب الفؤاد وقوله اذا مضجعي بفتح الجيم أي
جنبي الذي أضطجع عليه وقوله أقض بالقاف والمعجمة أي أصابه القضض وهو التراب الذي
يعلو الفراش كما في القاموس والمراد تراب مسه القدمان الشريفان وقوله وطاء أي فراش
فقد وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض أن مضجعه أصابه منه
شئ يكون ذلك الشئ الذي أصاب المضجع الذي هو الجنب فراشا لقلبه فالمعنى أنه اذا رقد
على تراب مسه القدمان الشريفان صار القلب أيضا راقدا عليه وصار فراشا له كما هو فراش
للجنب ومعنى كونه فراشا للقلب أن سره يسري من جنبه الى قلبه فيه فاذا سرى اليه أثاره

وأزاحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاهوال كما أن
الفراش للبدن يقيه ويصونه ويريحه من المؤذيات فالجامع ترتب الراحة على كل (قوله حظي)
أي ومن أوصافها أيضا أنه حظي كرضي المسجد الحرام والمراد به جميع الحرم كما في غالب آياته
في القرآن وقوله بممشاها أي بمشي تلك القدم فيه أي فضل حرم مكة سائر البقاع حتى المدينة
ماعدا القبر المكرم بواسطة ولادة النبي وتربيته ونشأته فيه وهذا ما عليه أكثر العلماء
والحديث الدال على أفضلية المدينة موضوع كما اعترف به امام المالكية أبو عمر بن عبد البر
وصرح بان أفضلية مكة هي الحق عند من ألهم رشده وبرئ من التعصب وقوله ولم ينس حظه
أي شرفه ايلياء أي بيت المقدس أي بل شرفه بمشيه فيه أيضا وصلاته بالانبياء ليلة الاسراء
ولم يذكر الناظم المدينة لان شرفها عارض بحلوله صلى الله عليه وسلم فيها بخلاف شرف المسجد
الاقصى والمسجد الحرام فهو قديم (قوله ورمت) أي ومن أوصافها أيضا أنها ورمت بكسر
الراء والمضارع كذلك فيقال ورمت القدم ترم أي أصابها الورم وهذا من الشواذ أي كون
الماضي على فعل والمضارع على يفعل بكسر العين فيهما شاذ والقياس أن يكون المضارع
على يفعل بفتح العين وهذا كما في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت
قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون
عبدا شكورا والفاء للسببية أي أأترك تهجدي فلا أكون عبدا شكورا قال ابن بطال
في هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله
عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم وما تأخر فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا
عمن لم يأمن أنه استحق النار قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم ليله على قدميه
الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فأنزل الله طه أي طأ الارض بكل
قدمك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقوله اذ رمى بها أي
وقت أو لاجل أن رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية حيث شبه القدم الشريفة بسهم
صائب من حيث ان قيام القدم في طاعة الله أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما أن رمي
السهم في طاعة الله يزيل صولة العدو ووطأته واثبات الرمي لها استعارة تخييلية وقوله الى الله
الخ لما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف من العذاب أو سعة رجاء للثواب بين
الناظم أن قيامه لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر مع التلذذ بمناجاة الله والقيام
بين يديه وأن خوفه ورجاءه اللذين وصل فيهما الغاية انما كانا لمحض التقرب بهما الى الله فقال
الى الله خبر مقدم وقوله خوفه مبتدأ مؤخر وقوله والرجاء معطوف على المبتدا أي سعة أمله
فيما عنده تعالى لا الى غرض بل لوجه الله تعالى وقال القرطبي ظن من سأله صلى الله عليه وسلم
عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه انما يعبد العبد ربه خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة فمن
تحقق أنه غفر له لا يحتاج الى ذلك فأفاده صلى الله عليه وسلم أن لتكلف العبادة طريقا آخر
وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه يسمى شكورا لكنه
قليل وكان قيام الليل في أول الاسلام واجبا عليه وعلى أمته ثم نسخ عن الامة بالصلوات
الخمس وكذا عنه على الاصح (قوله دميت) أي ومن أوصافها أيضا أنها دميت أي خرج منها
الدم في الوغى هو الصوت ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط الاصوات والثاني هو المراد
هنا وقوله لتكسب أي تلك القدم وقوله طيبا مفعول ثان مقدم وقوله ما أراقت مفعول أول

حظي المسجد الحرام بممشا
ها ولم ينس حظه ايلياء
ورمت اذ رمى بها ظلم اللبـ
ـل الى الله خوفه والرجاء
دميت في الوغى لتكسب طيبا
ما أراقت من الدم الشهداء

(قوله حظي المسجد الحرام)
قال العلامة ابن حجر يعني
جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام
يراد به ذلك كثيرا كما في القرآن
في مواضع كثيرة بل كل ما ورد
فيه من ذلك المراد به مكة الا
في نحو قوله فول وجهك شطر
المسجد الحرام اهـ

مؤخر أي الذي أراقه وقوله من الدم بيان لما وقوله الشهداء فاعل بأراقت وهو جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول أي من حكمة خروج الدم من قدمه المشرفة أن يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء في سائر الأوقات فطيب ريح دم الشهداء الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عنه بأنه كريح المسك إنما هو مكتسب من دم قدمه أي من ريح دمها قيل وكان على الناظم أن يذكر هذا في البدلان الذي في البخاري أنه دميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت

وقد يصحح كلام الناظم بحمله على ما وقع له صلى الله عليه وسلم مع ثقيف حين خرج لهم فدعاهم الى الله فأغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن دموا رجليه فجلس من شدة الأذى وزيد بن حارثة مولاه يقيه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت أن أصل الوغى الصوت والجلبة وهذا موجود هنا بل نلتزم أن فيه حربا لأنه أقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج رأسه شجاجا وهذا حرب أي حرب لأن من أقام بين ظهراني العدو يواجههم بما يكرهون محارب لهم فقد وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولآلهتهم (قوله فهي قطب المحراب الخ) أي وإذا تقرر أنه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمت وأنها دميت في الحرب اكتسب طيب دمها دم الشهداء طيبا فهي قطب المحراب وهذا راجع للأول وقوله والحرب راجع للثاني فهو لف ونشر مرتب أي فهي حينئذ قطب المحراب أي محل الصلاة وقطب الحرب أي انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة لم توجد في غيرها فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم والمجاهدة معه كما قال كم أي مرات كثيرة دارت عليها في طاعة الله وقوله أرحاء جمع رحى بالقصر والمراد بها هنا قبائل العرب وقطب الرحى ما تدور عليه ويسمى أمير الجيش قطب رحى الحرب لأنها تدور عليه واستفيد من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم مركز دائرة الوجود ونقطته المخلوق هو لاجلها في الأرحاء استعارة تصريحية حيث شبه القبائل التابعين له في العبادة والحرب بالأرحاء بجامع اعتماد كل على غيره وعدم استقلاله بدونه فكما أن الرحى لا تستغني عن قطبها ولا تتخلف عنه كذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه (قوله وأراه) أي أعلم أنه لولم لو شرطية وهي مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثاني لأراه وقوله يسكن بها أي بقدمه الشريفة وقوله قبل بالبناء على الضم أي عند ابتداء تحركه به وقوله حراء مفعول يسكن وهو هنا بالصرف لا غير لأجل الوزن وان كان في حد ذاته يجوز فيه الصرف وعدمه كما مر وقوله ماجت أي تحركت واضطربت وقوله به أي بالنبي وفي نسخة بها أي القدم وقوله الدأماء بالدال المهملة هو في الأصل اسم للبحر والمراد به هنا الجبل ففي الكلام استعارة تصريحية حيث شبه الجبل بالبحر لأنه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم أشبه تحركه حينئذ تحرك البحر براكبه وقوله ماجت ترشيح لأنه يناسب المشبه به وهو البحر إذ لا يستعمل ماج إلا في الماء كما صرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى أنه لولم يسكن بقدمه حراء قبل أي عند ابتداء تحركه به بقوله اثبت حراء الماج أي استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر وفي الكلام اظهار في مقام الاضمار

فهي قطب المحراب والحرب كم دا
رت عليها في طاعة أرحاء
وأراه لولم يسكن بها قبـ
ـل حراء ماجت به الدأماء

(قوله فهي قطب المحراب الخ) قال العلامة ابن حجر أي انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة لم توجد في غيرها لأنه صلى الله عليه وسلم لا أتقى ولا أخشع لله تعالى منه ولا أشجع كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله تعالى بطاعته بالاقتداء بها والمجاهدة معها اهـ

لما عرفت أن المراد بالدأماء الجبل وقد ذكر لكنه أتى بالاسم الظاهر ليتوصل الى تشبيه الجبل بالبحر الذي بني عليه الاستعارة لما فيها من البلاغة ويصح حل النظم على أن المراد لولم يسكن حراء قبل أي قبل طلوعه عليه باقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تحركه واضطرابه حين طلع عليه ثانيا هو وأصحابه ويصح أن يراد بالدأماء الأرض فالمعنى لولم يسكن بقدمه حراء أي بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الأرض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر وخص حراء لأنه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره (قوله عجبا) لما ذكر جملة كثيرة من معجزاته التي من شاهدها آمن به فورا بين أن الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا حقيقون بأن يقال في شأنهم عجبا وعجبا مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق وهو بدل من اللفظ بفعله أي أعجب عجبا وهو بمعنى التعجب الذي هو استعظام أمر خفي سببه وقوله للكفار أي منهم وقوله زادوا ضلالا حال وقوله فيه أي في كل فرد من أفراده وذلك ما شاهدوه من المعجزات القرآن وغيره وقوله للعقول أي السليمة الخالية عن العناد والخذلان والحسد والغل وقوله اهتداء أي الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصح أن يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها اهتداء بالقوة وان قارنها عناد وخذلان ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون الا اباء ونفورا وتمردا لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم كما قال تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (قوله والذي يسألون منه) الذي مبتدأ ويسألون صلته والعائد محذوف أي يسألونه وضمير منه للنبي صلى الله عليه وسلم وكتاب خبر المبتدأ ومنزل صفة لكتاب وجملة قد أتاهم صفة أخرى أو حال وقوله وارتقاء معطوف على كتاب وقوله يسألون منه أي على جهة التعنت والعناد وقوله منزل أي من السماء معه عليهم وقوله قد أتاهم أي به وهم يشاهدونه وقوله وارتقاء أي منه الى السماء وقد أشار الناظم بما ذكره الى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات وقوله فيها أو تكون لك جنة من نخيل وعنب أي بستان فيه ما ذكر وقوله كسفا أي قطعا وقوله قبيلا أي كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو قبيلا بمعنى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وقوله من زخرف أي ذهب وقوله ولن نؤمن لرقيك أي وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ويكون فيه تصديقك ومن جملة تعنتهم كما في الحديث أنهم قالوا انه قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا عيشا ولا أقل مالا منا فسل ربك فليزل عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا في بلادنا ويفجر فيها أنهارا كالشام ويحيي لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك (قوله أولم يكفهم) في الكلام حذف أي أيقولون ذلك كله ويتعنتون فيه ولم يكفهم عن ذلك كله وقوله من الله حال من ذكر الذي هو فاعل يكفهم أي ذكر واصل اليهم على لسانه والمراد به القرآن وتسميته ذكرا جاءت في آية مرادا به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي أخرى مرادا به أنه مذكر لكل ما ينفع ويحذر من كل ما يضر وقوله للناس أي والجن بل والملائكة وقوله رحمة أي باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين أظهرهم وقوله وشفاء أي من كل داء ظاهر وباطن حسي أو معنوي كما قال تعالى قل هو

عجبا للكفار زادوا ضلالا
بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب
منزل قد أتاهم وارتقاء
أولم يكفهم من الله ذكر
فيه للناس رحمة وشفاء

(قوله اهتداء) قال العلامة الصاوي للعقول اهتداء أي كالقرآن وباقي المعجزات فان فيما ذكر هداية للعقول السليمة الخلية من العناد والغل ومراده بالهداية الوصول الى مراضي الله وبين الضلال والاهتداء جناس الطباق اهـ

أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتي بها البلغاء

للذين آمنوا هدى وشفاء. قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالوهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب واقباله على الله بكليته وعدم أكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء عن القرآن فهو اما لعدم استقامة القارئ أو لعدم قبول المقروء عليه لعدم تلقيه بالقبول كما يكون ذلك في الادوية والامراض الحسية (قوله أعجز الانس) شروع في ذكر بعض صفات القرآن المذكور بقوله أولم يكفهم من الله ذكر وقوله آية منه عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بالذي عليه الجمهور ان ما وقع به التحدي أقصر سورة منه وهي ثلاث آيات أو مثلها وذلك لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن بعض الآية المفيد لان في ارتباطها بما قبلها وما بعدها أنواعا من بديع الحكم لا يحيط بها غيره تعالى فالحق أنهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته لكن مع النظر لمناسبتها بما قبلها وما بعدها فلا يستطيع أحد في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده أن يأتي بمثل أقصر سورة أو آية منه على نظمه البديع وتأليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والاخلاق الكريمة وقوله والجن ذكرهم مع الانس مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية والاقتصار على النوعين لانهم الذين تتأتى منهم المعارضة والمعاندة لعدم عصمتهم والا فالملائكة عاجزون أيضا كعجز الانس والجن وقوله فهلا هي في الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ والتنديم لمن زعم امكان المعارضة كبعض أهل الضلال والالحاد وقوله بها أي الآية وفي نسخة به أي ما ذكر من الآية وفي نسخة ببعضها أي الآية لكن الثالثة يختل بها النظم وقوله البلغاء جمع بليغ وهو من فيه ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ أي المطابق لمقتضى الحال بأن يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب من تنكير أو تعريف وتقديم أو تأخير واظهار أو اضمار وايجاز أو اطناب الى غير ذلك وأسباب اعجازه أربعة أحدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل في كل منها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب أخرى الا اذا لم يجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع أعرابي قوله تعالى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من الامر والنهي ثانيها أنه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فتحيروا فيه حتى لم يهتدوا الى مثل شيء منه اذ لا مثال لهم يهتدى اليه ثالثها تأثيره في النفوس والقلوب بحيث يوجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يوجد عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمل بل كلما ازداد تكريرا ازدادت حلاوته بخلاف غيره

(قوله والبلاغة الخ) قال العلماء من أعلى وجوه اعجاز القرآن أن فصاحته وبلاغته خرقتا عادات العرب مع أنهم أوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم وروى ابن اسحق والبيهقي أن الوليد بن المغيرة كان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعاده اياها فأعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر الحديث اه صاوي

كل يوم تهدي الى سامعيه معجزات من لفظه القراء

رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون وقال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما الذاتية من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ ليس تأليفه على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح أن يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر أيضا لانه ما من صناعة محمودة أو مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية أو جلية ولذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وآخر يكرهها وينشرح لاخرى فلما دعا الله أهل البلاغة الذين يهيمون في كل واد من المعاني الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على ذوي الالباب أن صارفا الهيا صرفهم عن ذلك والوجه الثاني يعبر عنه بالقول بالصرفة ومعناه أنه كان في قدرتهم أن يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك بان سلب قدرتهم عليه فلم يكن معجزا لذاته بل للغير وهذا مع أن الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة على أن معجزة الرسول باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم القول بالصرفة أيضا أنه لا أفضلية للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين الضدين وهو محال قلت معنى قدرتهم أن هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا الى المعارضة أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وأنه لا قدرة لهم عليها البتة فان قلت توجه الهمم الى المعارضة مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك أن أهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منهم عدم الايمان بالايمان كأبي جهل وأبي لهب نظرا لقدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن الفاسد أيضا قول فريق من أهل الضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ومنه أيضا قول آخرين ان العجز انما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم أن جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظرائهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع (قوله كل يوم الخ) أي ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم المغيبات وأحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك من العجائب كان كل يوم أي كل وقت تهدي فاعله القراء الآتي أي توصل الى من سمعه وأفاد التعبير بتهدي تشبيه المعجزات بالذخائر المهداة فهو استعارة بالكناية والاهداء تخييل وقوله معجزات المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق وقوله من لفظه من ابتدائية وذلك لعذوبته وانسجامه وجزالته وغاية ايجازه مع غاية فصاحته وبلاغته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة أخباره الصادقة تارة عن الامم الماضية وأخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا يمكن حصرها وقوله القراء فاعل تهدي كما مر ووجه الاهداء والايصال أن من سمع ألفاظ القرآن وتدبرها حق التدبر

(قوله مع غاية فصاحته) واختلف العلماء في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الغاية العليا كما مر فاختار القاضي المنع وانما التفاوت في ادراك الناس له واختار أبو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام اه صاوي

تحلى به المسامع والأفواه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت
فى حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فضل
رقة من زلالها وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما
جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

(قوله صورا بالصاد جمع صورة الخ) قال العلامة الصاوى وصورة الشئ شكله وانما كانت تشبه صورنا لاشتمال كل منها على علوم ومحاسن ظاهرية وباطنية لا تتوقف على ما فى الاخرى ومن ثم وقع التحدى بأقصر سورة منه كما أن صورنا مشتمل كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما فى غيره وكأن الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم أن الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة وهى مقالة فاسدة اهـ

علم من كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه أمر امعجزا لا يعارض ولا يناقض (قوله تحلى به) أى واذا بلغ القرآن فى الجلالة التى مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تحلى به أى بسماعه المسامع من التحلية بمعنى لبس الحلى وقوله والافواه أى وتحلى بالفاظه الافواه من الحلوا أى ذوق الشئ الحلو وقوله فهو الحلى راجع للاول والحلواء راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب (قوله رق لفظا) أى حسن من جهة لفظه فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد وقوله وراق أى تصفى من شوائب النقص فأعجب كل ناظر فيه وقوله معنى تمييز كسابقه أى من جهة المعنى فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وقوله فجاءت أى فبسبب كونه رق وراق جاءت فاعله الخنساء وقوله فى حلاها وحليها حال منها أى حال كونها فى حلاها أى صفاتها الجميلة وقوله وحليها أى زينتها وقوله الخنساء المراد بها هنا بنت عمرو أخت صخر وانما كان المراد بها هذه مع أن الخنساء كثيرة لانها كانت شاعرة مفلقة وأما الخنساء بنت خدام وبنت عمرو بن الشريد فصحابيتان وهما خلاف أخت صخر وشبه سور القرآن فى صفاتها العلية وتزيينها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة بلغت من الزينة وأوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه واستعار اسم تلك المرأة وهو الخنساء لسور القرآن استعارة تصريحية وصح جريانها فى العلم لانه اشتهر بوصف فصح أن يؤول بكلى كما علمت من التقرير (قوله وأرتنا) أى أوضحت لنا فيه أى القرآن وقوله غوامض فضل أى خفايا فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد ولا غاية لها ومن ثم جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت وقوله رقة فاعل أرتنا وقوله من زلالها أى كائنة من زلالها والزلال بضم الزاى ماء فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى أجواف صور توجد فى نحو الثلج تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض الاكابر وقوله وصفاء أى من ذلك الزلال شبه آى القرآن فى محاسن أساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن حقق النظر فى خفاياهما وحقق فكره فى غوامضهما برد اليقين وصفاء القلب حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمواهب الرحمانية بماء فى غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته واستعار اسم الماء وهو الزلال لآيات القرآن فهى استعارة تصريحية (قوله انما تجتلى الخ) هذا جواب عن ايراد تقريره كيف تقولون وأرتنا فيه غوامض فضل مع أن كثيرا من الناس لا يرى شيأ من معانى القرآن ولا يفهمه فأجاب بقوله انما تجتلى الخ أى ان آى القرآن كعروس مزينة فيراها من أهديت له ومن هو أهل لها وأما غيره فبينه وبينها الحجب فأشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال انما تجتلى الوجوه أى تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه يوجه اذا قوبلت بالمرآة وقوله اذا ما ما زائدة وقوله جليت أى أزيلت وقوله عن مرآتها بكسر الميم والمد وقوله الاصداء جمع صدا وهو وسخ الحديد الذى يركب عليه فكذلك مرآة القلوب لا تنجلى لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها أصداء الاغيار وجاهدت فى ذلك آناء الليل وأطراف النهار (قوله سور) بالسين جمع سورة وهى الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفى وقوله منه من لبيان الجنس لان المشابهة المذكورة جارية فى جميع سوره وقوله أشبهت صورا بالصاد جمع صورة وصورة كل شئ شكله ووجه الشبه اشتمال كل من سور القرآن وصورنا

والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم
عن حروف أبان عنها الهجاء

(قوله اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع) وبضم لذلك اعتبار تركيب ما بينهما من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعالى ثم أم علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم وقال ابن جرير ثلاثة توحيد وأخبار وديانات اهـ صاوى

على ما لم يوجد فى غيره فسور القرآن كل منها يشتمل على علوم مستقلة لا تتوقف على ما فى الاخرى من العلوم وصورنا أيضا تشتمل كل واحدة منها على عقل وفهم وادراك لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف عليه فالحاصل أن سور القرآن مشبهة بصورنا من حيث تميز كل سورة منها عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية كما أن صورنا امتازت كل واحدة منها عن الاخرى بالصفات الخلقية والخلقية وقوله ومثل النظائر جمع نظير وقوله النظراء جمع نظير أيضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الافاضل والاماثل من الناس أى ومثل النظائر أى الاماثل والافاضل النظراء أى سور القرآن لان بعضها يناظر بعضا كما سبق فالمعنى أن سور القرآن تماثل الافاضل منا فما بعد لفظة مثل هو المشبه به كما هو القاعدة كقوله زيد مثل الاسد وهذا سافه المتن مساق المثل فهو تأكيد للتشبيه قبله لكنه على سبيل اللف والنشر المشوش فالنظائر هى الصور بالصاد والنظراء هى السور بالسين (قوله والاقاويل) جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد وقوله عندهم أى الكفار حال من المبتدا أو ظرف للخبر وهو قوله كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة يعنى أن تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح فيه أمر مزخرف مموه كما أن التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك فكما أن هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور وقوله فلا يوهمنك أى واذا تقرر أن جميع ما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان فلا يوهمنك الخطباء أى الوعاظ منهم المتكلمون فى القرآن بما لا يليق أى فاحذر أن يوقع فى وهمك أى ذهنك أدنى ريب أو شك فى شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها المزخرفون للكلام الباطل فى القرآن (قوله كم أبانت) كم خبرية أى مرات كثيرة أبانت أى أوضحت وقوله آياته جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا طائفة من السورة منقطعة عما قبلها وما بعدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال آيات القرآن ستة آلاف آية وستمائة وست عشرة آية وقوله من علوم من زائدة فى الاثبات على رأى جماعة أى علوما لا غاية لها قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وعن الحسن البصرى أنزل الله مائة وأربعة كتب وأودع علومها فى أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة غير القرآن فيه مع زيادات لا تنحصر وقال الشافعى جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وقال بعضهم لم يحط بعلوم القرآن الا الله ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استأثر الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك أعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه كأبى بكر وانه أعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم قال ابن عباس جميع ما أبرزته لكم من التفسير فهو من على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله أولئك من علومه فنوعوا علومه أنواعا ليضبط كل طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم أفرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون حتى كادت أن تخرج عن الحصر وقال بعضهم علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ومما قيل فى معنى البطن والظهر أن ما ظهر من كل كلمة ما تقرر من معانيها

لاهل العلم بالظاهر و باطنها ما تضمنته من الاسرار التى تطلع عليها أرباب الحقائق والمراد بالحد أحكام الحلال والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والاولى بدله ومطلع أى اشراف على الوعد والوعيد كما فى الاتقان وقال بعضهم أصول علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ولذا سميت الفاتحة أم القرآن لاشتمالها على هذه الثلاثة وكانت الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقوله عن حروف حال من علوم وعن متعلقة بمحذوف أى حال كونها متولدة وناشئة عن حروف أى قليلة بالنسبة الى تلك العلوم اذ جميع حروفه ثلثمائة حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة ألف حرف وواحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف الهجاء بل مسمياتها لحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال أبان أى كشف عنها الهجاء أى التهجى وهو تعداد الحروف بذكر أسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التى هى مادة الكلمة قبل أن تحصل صيغته والمراد هنا أن يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه أن الحرف الذى هو أول زيد مثلا له مسمى وهو ز والخط أفيه بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه سائر علامات الاسم (قوله فهى كالحب) أى هذه الحروف القرآنية وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها الا ان لها مثالا يقربها نوع تقريب وذلك المثال أنها كالحب الذى يلقيه الزراع والنوى الذى يلقيه الغراس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد أن لا يحصى ولا يتناهى وعن الثانى من الثمر ما هو كذلك واذا وصل الى تلك الحالة أعجب الزراع أى والغراس كما يدل عليه ذكر النوى فى الكلام اكتفاء ولف ونشر مرتب بعود الزراع للحب والغراس للنوى وعود السنابل للاول والزكاء لهما وقوله منها أى من تلك الزروع والاثمار وقوله سنابل فاعل أعجب وقوله وزكاء بالزاى أى نمو يفوق الحصر بحيث لو اجتمع أهل الارض على استقصاء عددها لما أطاقوه فوجه الشبه أن المتناهى هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثال على سبيل التقريب للعقول والافتنان ما بين الامرين كما لا يخفى (قوله فأطالوا فيه) معطوف على قوله زادوا ضلالا أى وعجبا للكفار مع هذه المعجزات والآيات البينات استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فأطالوا فيه التردد والريب أى الشك وهو عطف مرادف وقوله سحر أى تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقوله افتراء أى كذب وضلوا فيما قالوا بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل الآية وهذا كله ينادى عليهم بالبوار والعناد وأنهم لا عقل لهم ولا رأى ولا استعداد (قوله واذا البينات) أى ولكن ليس بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو المقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة أنه اذا كانت البينات أى الحجج القطعية الواضحة وقوله لم تغن شيأ أى لم تفدهم شيأ من الهدى وقوله فالتماس الهدى أى طلبه منهم وقوله بهن أى بتلك الحجج وقوله عناء بالعين المهملة والمد أى تعب لا يفيد شيأ وفى نسخة لهن باللام والضمير للكفار وليتنظر ما وجه تأنيثه (قوله واذا ضلت) أى عن طريق الحق وقوله على علم أى مع علم منها بتلك الطرق أى أضلها خالقها وقوله فماذا تقوله أى أى قول تقوله النصحاء من الانبياء والمبلغين عنهم فقولهم حينئذ

فهى كالحب والنوى أعجب الزراع منه سنابل وزكاء
فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

(قوله فأطالوا فيه) قال العلامة الصاوى أى فتسبب عن تلك المعجزات والآيات البينات استمرارهم على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فلذلك قال فأطالوا فيها التردد والريب أى الشك عطف مرادف فقالوا سحر كما حكاه الله عنهم فى كتابه وقالوا افتراء أى قالوا مرة أخرى كذب ومرة أساطير الاولين أى [illegible] من [illegible] ونلبيسهم اه

لا يفيد شيأ والبيت الاول من هذين البيتين مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الآيات والنذر الآية والثانى من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية • (تنبيه) • لا يتوهم من النظم أنه مخالف لقول الائمة أجمعت الامة على التكليف بالمحال لغيره كتكليف أبى جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للعقول الراهنة المنطوى عنها عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يؤمنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنافى لما جاءت به الشرائع فاحذر أن تميل اليه فتزل قدمك وتحقق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم أن سائر كتب الله لا اعجاز فيها من حيث النظم والتأليف لان ألسنتهم لا تفى بذلك بخلافها من حيث الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا يشترك فيه ولكون ألسنتهم كذلك كان كل ما فى القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جنى وغيره أى فهى من حيث الاخبار بالمغيبات كلها معجزة بخلافها من حيث النظم والتأليف فلا معجز منها الا القرآن (قوله قوم عيسى) لما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع أهل الكتابين ليبين ما آل اليه أمرهم أيضا فقال قوم عيسى أى يا قوم عيسى وهم النصارى وقوله قوم موسى وهم اليهود وقوله بالذى أى بالتصديق بكتابهم وهو التوراة فان النصارى صدقوا بها وقوله عاملتكم صلته محذوفة أى عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم وهو الانجيل وقوله الحنفاء أى المسلمون من هذه الامة جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق (قوله صدقوا) شروع فى بيان ما أبهمه بقوله عاملتكم فقال صدقوا أى قوم عيسى فى هذا التفات من الخطاب الى الغيبة والافكان الظاهر أن يقول صدقتم كتبهم وقوله كتبكم هى التوراة وما بعدها كالزبور وفى هذا التفات عن الغيبة فى قوله قوم موسى وقوله وكذبتم أى أيها اليهود كتبهم أى كتب قوم عيسى وهى الانجيل وجمع للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة وهذا أى قوله وكذبتم كلام مستقل ليس من جملة البيان لما قبله وقوله ان ذا الذى فعلتموه أيها اليهود من التكذيب بالانجيل مع تصديق النصارى بالتوراة لبئس البواء أى الصنيع الذى رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله هكذا قال الشارح ولا يصح لان الاقتباس ان يؤتى بلفظ القرآن أو الحديث مع عدم التنبيه على أنه منه والذى فى النظم هنا لفظ البواء وهو غير لفظ القرآن اذ هذا اسم وذاك فعل فلو قال وهذا تلميح لقوله تعالى الخ لكان أوضح (قوله لو جحدنا) من الجحد وهو الانكار عن علم وقوله جحودكم أى مثله بان أنكرنا كتابكم كما أنكرتم كتابنا وكتاب عيسى فالخطاب مع اليهود وقوله لاستوينا أى معكم فى الجحد وقوله أو للحق أى أيكون ذلك منا الا اذ لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله وقوله بالضلال أى وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض وقوله استواء أى مساواة لا بل بينهما غاية التضاد فالحاصل أننا لم نجحد شيأ من كتاب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب أى المكذب لهم فى ذلك وكأن الشارح أخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد من أهل الكتاب اذا التعبير بالتفاعل

قوم عيسى عاملتمو قوم موسى بالذى عاملتكم الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتمو كتبهم ان ذا لبئس البواء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا أو للحق بالضلال استواء

(قوله لو جحدنا) قال العلامة الصاوى وقوله لو جحدنا جحودكم الخطاب لهما أى أنكرنا كتبكم أى التوراة والانجيل كما أنكرتم كتابنا لاستوينا فى الضلال وقوله أو للحق بالضلال استواء أى أيكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله بالضلال وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض مساواة بل بينهما غاية التضاد اه

مالكم اخوة الكتاب أناسا
ليس يرعى للحق منكم اخاء
بحسد الاول الاخير ومازا
ل كذا المحدثون والقدماء
قد علمتم بظلم قابيل هابيـ
ـل ومظلوم الاخوة الاتقياء

مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الآية اه وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ماذكر انكار كل منهم اذ لا مانع أن النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ باعتبار تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسير العاملين الحنفاء وفى السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول أقرب ولما كان من المعلوم المستقر أن اليهود أشد الناس حسدا قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعدهم حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك أيضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفاء العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال مالكم الخ (قوله مالكم) أى أى شئ حصل لكم معشر الفريقين وقوله اخوة الكتاب منادى أى يا اخوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك أى بالاخوة للكتاب لانهم لما اجتمعوا فى الاحكام والتكاليف التى فى الكتاب صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصل واحد فليس المراد أن الاخوة بينهم وبين الكتاب كما يوهمه تعبير الناظم بل المراد أنهم اخوة بعضهم مع بعض من حيث انتسابهم الى الكتاب فالكتاب سبب فى أخوة بعضهم لبعض وقوله أناسا حال وقوله ليس يرعى الخ نعت لاناسا وهو المقصود بالحالية فاناسا حال موطئة واسم ليس قوله اخاء ونائب فاعل يرعى ضمير مستكن فيه يعود على الاسم المذكور وان تأخر لفظا وقوله اخاء أى مؤاخاة أى ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب من الحقوق التى منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من النصوص الكثيرة لنبوته وعموم رسالته (قوله بحسد الاول الاخير) أى ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد بضم السين الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى حتى زعموا أنهم قتلوه وصلبوه وما درى الملاعين أنه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدى أول نزوله ليعلم أنه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيها ومنها أى من تلك الشريعة أنه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض وأما فى أثناء مدته فيكون اماما للمهدى وغيره وقوله ومازال كذا أى على هذا الحال المذكور من حسد الاول للآخر المحدثون والقدماء من لدن آدم الى اليوم (قوله قد علمتم) أى يا أهل الكتاب وقد للتحقيق بظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون رزقهم من حواء فى عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله فى نسله فى حياته حتى بلغوا أربعين ألفا وعاش آدم ألف سنة وقوله هابيل يشدخ رأسه بين حجرين وهو ثانى أولاد آدم حسدا له وسبب الحسد أن آدم أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل فامتنع وقال أختى أحسن فلا أمكنه منها ولا أرضى أخته وذلك لان آدم عليه السلام كان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى [illegible] اختلاف البطون فى شرعه بمنزلة اختلاف الانساب فلما امتنع قابيل أمرهما آدم أن يقربا لله قربانا وكانت علامة قبوله نزول نار من السماء تأكله فقرب كل قربانه وكان هابيل صاحب غنم وكان لين الجانب وكان قابيل صاحب صيد وقنص وكان فظا

(قوله يشدخ رأسه الخ) وهو أول قتيل فى الارض حسدا على كون الله تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال لاقتلنك فاستسلم وأجابه بأنه لا يجرى بالسيئة السيئة كما أفاد ذلك ما حكاه تعالى عنه بقوله عز من قائل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كن خير ابنى آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل اه صاوى

وسمعتم بكيد أبناء يعقو
ب أخاهم وكلهم صلحاء
حين ألقوه فى غيابة جب
ورموه بالافك وهو براء
فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم
والتأسى للنفس فيه عزاء
أتراكم وفيتمو حين خانوا
أم تراكم أحسنتمو اذ أساؤا

غليظا فاصطاد صيدا وقربه وعمد هابيل الى كبش هو أحسن غنمه فقربه فقبل قربان هابيل فحسده قابيل فقتله وكان عمر قابيل اذ ذاك خمسا وعشرين سنة وعمر هابيل عشرين وعن ابن عباس أنه لما قتله حمله على عاتقه مائة سنة وكان اذا مشى تخط رجلاه الارض واذا قعد وضعه على جنبه الى أن رأى غرابين اقتتلا فقتل أحدهما الآخر فبحث فى الارض فواراه فقال قابيل يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين أى على حمله لا على قتله وحزن آدم على هابيل فمكث مائة سنة لا يضحك وقوله ومظلوم الاخوة الاضافة على معنى من ويصح جعلها على معنى فى وقوله الاتقياء خبر المبتدا وصح الاخبار عنه بالجمع لان أل فيه جنسية فيصدق بالجمع وغيره وانما كان المظلوم تقيا لانه الذى صبر على تحمل الاذى ولم ينتقم لنفسه فليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل (قوله وسمعتم) معطوف على علمتم أى وقد سمعتم والسماع هنا لليقين فالتعبير به هنا وبالعلم فى سابقه للتفنن وقوله يعقوب اسمه اسرائيل كما فى القرآن أى عبد الله وهو ابن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر أنه اسمعيل وقوله أخاهم هو يوسف عليه السلام وقوله وكلهم صلحاء أى فلا يخرجهم من كيدهم له ولا من ذكرهم ازرقابيل الكافر اللعين أن ذلك ينافى صلاحهم لاتفاق العلماء على أنهم صلحاء وعدل الى التعبير به دون أن يقول وكلهم أنبياء لان صلاحهم متفق عليه بخلاف نبوتهم ففيها الخلاف المذكور وأن ما وقع منهم مع يوسف من الامور التى جرت بينهم وبينه لا يؤثر فى صلاحهم ولا فى نبوتهم على القول بها لانه مبنى على تأويل كانت تجوزه شريعتهم على أن فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول (قوله حين ألقوه) ظرف لكيد وألقوه بفتح القاف وسكون الواو وكذا رموه الآتى بفتح الميم وسكون الواو وقوله فى غيابة جب هو البئر التى لم تطو أى لم تبن وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه أصغرهم وقوله ورموه بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون يوسف وقوله وهو براء جملة حالية أى برئ منه أى من الافك وفى تسمية الناظم هذا القول منهم افكا نظر ظاهر بل لا يصح وقد جاء فى قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال صلى الله عليه وسلم سرق يوسف صنما لجده أبى أمه من ذهب وفضة فكسره وألقاه نعيره اخوته بذلك مع أنه أراد بذلك الخير وجاء فى رواية أن أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة فالحاصل أن الذى وقع منه صورة سرقة فذكروها بقولهم فقد سرق أخ له من قبل تعبيرا له فلم يكذبوا وانما عيروه بما لا عار فيه بل فيه غاية الرفعة والمدحة (قوله فتأسوا) أى واذ قد علمتم ما وقع لمن قبلكم من المحن وصبرهم عليها ففازوا برضا الله ومحبته فتأسوا أى تعزوا اذ التأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به أى حملت وقست حالى على حاله فى التأسى تسكين النفس على الامر الشاق وتصبيرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسى والتعزى واحد أو متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظيهما وقوله بمن مضى قبلكم من الكمل وقوله اذ ظلمتم أى وقت أو لاجل اذ ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال وقوله والتأسى أى فى المصائب لاسيما بالكمل وقوله للنفس فيه عزاء أى تسل وتصبر يحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق (قوله أتراكم) خطاب للمسلمين المقصرين السابق ذكرهم فى قوله فتأسوا وترى فعل مضارع فيه ضمير مستكن

(قوله أتراكم) قال العلامة الصاوى الخطاب للمسلمين والكاف مفعول أول عائد عليهم وجملة وفيتمو مفعول ثانى وحين ظرف لوفيتم وأم متصلة معادلة للهمزة السابقة وجملة تراكم أحسنتم الخ اعرابها كاعراب الاولى اه

بل تمادت على التجاهل آبا
ء نفقت آثارها الابناء
بينته توراتهم والاناجيـ
ـل وهم فى جحوده شركاء
أن تقولوا ما بينته فما زا
لت بها عن عيونهم عشواء
أو تقولوا قد بينته فما للا
اذن عما تقوله صماء
عرفوه وأنكروه وظلما
كتمته الشهادة الشهداء

(قوله عرفوه) قال العلامة الصاوى وانما كان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأخرج ابن عساكر أن ابن سلام لما سمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أتجدنى فى التوراة قال أنسب ربك فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله الخ ما نقل عنه اه

راجع لاهل الكتاب والكاف مفعول به واقعة على المسلمين أى أنظنكم أهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق ودمتم على العمل به وقوله حين خانوا ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثانى للفعل المذكور وقوله خانوا أى أهل الكتاب أى خانوا ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم وقوله أم تراكم مثل ما قبله وقوله أحسنتم فى محل المفعول الثانى أى فى اتباعكم نبيكم فى جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيأ فى حياته ولا بعد وفاته وقوله اذ أساؤا ظرف لاحسنتم أى أساؤا الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه (قوله بل تمادت) أى بل لم ير أهل الكتاب منكم أيها المسلمين شيأ من الوفاء أى ولا من الاحسان وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء أنه تمادت أى استمرت وتتابعت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل أى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وأنهم على خلافه وقوله نفقت أى اتبعت آثارها الباطلة الابناء انا وجدنا آباءنا على أمة الآية هكذا حل الشارح هذا السياق وصنيعه يقتضى أنهم لو رأوا منا وفينا وأحسنا كان هذا هو الحامل لهم على عدم اتباعهم لانبيائهم يدل على هذا قوله بل لم ير أهل الكتاب الى قوله وانما حملهم الخ وهذا لا يظهر كما لا يخفى (قوله بينته) أى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته وقوله توراتهم أى المنزلة على موسى ماخوذة من أوريت الزند اذا قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور فهى ذات نور وقوله والاناجيل أى المنزلة على عيسى مأخوذ من نجل الشئ أخرجه وجمع الانجيل باعتبار أجزائه أو للتعظيم وقوله وهم أى اليهود والنصارى وقوله فى جحوده أى جحود ذلك الحق الذى بينه كتاباهما وقوله شركاء أى يشتركون فلعنة الله عليهما (قوله ان تقولوا) ان شرطية أى يا أهل الكتاب اليهود والنصارى وقوله ما بينته ما نافية وفى الفعل ضمير مستكن راجع للتوراة والاناجيل والضمير البارز للحق المذكور وقوله فما زالت أى لم تزل بها أى بالتوراة والانجيل وقوله عشواء فاعل زالت أى فلم تزل العشواء عن عيونهم بها أى بل هى باقية عليها والعشواء بالمعجمة والمهملة المراد بها داء يعلو العين الباصرة فيزيل ابصارها وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه بصائرهم أى قلوبهم بالعيون التى فى الرأس واستعار اسم المشبه به للمشبه والعشواء ترشيح لانه يناسب المشبه به والمعنى ان أنكروا بيان كتبهم للحق فقلوبهم لم تنجل ولم يزل عنها الرين بل هى على عماها وفى الكلام التفات عن الخطاب فى قوله ان تقولوا الى الغيبة فى قوله عن عيونهم وكان الظاهر أن يقول عن عيونكم (قوله أو تقولوا) أى يا أهل الكتابين قد بينته أى الحق المذكور كما هو الحق والواقع وقوله فما للاذن أى فأى شئ حصل للاذن أى لا تسمعكم وقوله عما تقوله أى التوراة والانجيل واسناد القول اليهما مجاز والجار والمجرور متعلق بصماء أى غير سامعة له سماع قبول أى فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد ولم يظهر لرفع صماء وجه اذ قوله فما للاذن مبتدأ وخبر فلعل لفظ صماء منصوب على الحال ورفعه انما هو لاجل القافية (قوله عرفوه) أى الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم وقوله وأنكروه أى بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وهذا نتيجة الالزام السابق وقوله وظلما مفعول لاجله مقدم على عامله وهو كتمته وقوله كتمته أى الحق المذكور فالضمير مفعول به والفاعل قوله الشهداء وأما قوله الشهادة فهو بدل اشتمال من الضمير فى كتمته الذى هو المفعول به أى كتم الشهداء الشهادة به والمراد

أو نور الاله تطفئه الافو
اه وهو الذى به يستضاء
أولا ينكرون من طحنتهم
رحاها عن أمره والهيجاء
وكساهم ثوب الصغار وقد طلـ
ـت دماء منهم وصينت دماء
كيف يهدى الاله منهم قلوبا
حشوها من حبيبه البغضاء
خبرونا أهل الكتابين من أيـ
ـن أتاكم تثليثكم والبداء

بالشهداء أهل الكتابين سموا بهذا الاسم لانهم عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم أنكروا ذلك رأسا جحدا وعنادا وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ما ينالونه منهم والمقام للاضمار فمقتضى الظاهر أن يقول وكتموه أو يقول وكتموا الشهادة به فعدل عن هذا وعبر بالظاهر وهو الشهداء لاجل التسجيل عليهم ووصفهم بانهم شهداء وقد كتموا ما يجب عليهم أداؤه وانما كانوا شهداء لانهم بلغوا من العلم به وبحقيقة دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه (قوله أو نور الاله) الهمزة داخلة على مقدر أى أتكتمون ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله الذى هو النبوة والرسالة وقوله تطفئه من أطفأت النار أذهبت حرها وقوله الافواه أى الالسنة المتقولة بالباطل وجواب الاستفهام مقدر أى لا يكون ذلك كما قال تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره وكيف يطفأ ذلك النور الالهى وهو الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا أى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب (قوله أولا ينكرون) الهمزة داخلة على مقدر أى أيستمرون على ضلالهم وينكرون نبوته ولا ينكرون من طحنتهم أى أهلكتهم وقوله رحاها أى أسلحتها وقوله عن أمره متعلق بطحنت أى طحنا ناشئا عن أمره وقوله الهيجاء فاعل طحنت أى حربه وجواب الاستفهام محذوف أى لا ينبغى لهم ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا عليه طحنتهم رحا حربه كما طحن آباءهم وأبناءهم وأجلاهم بجلاء بنى النضير الى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير السلاح وقتل بنى قريظة (قوله وكساهم) أى ولشدة بأسه عليهم كساهم ثوب الصغار من اضافة المشبه به للمشبه والصغار الذل وكساترشيح للتشبيه أى وأنالهم وأوقع بهم الصغار أى الذل الذى هو كالثوب فى اشتماله على البدن واحاطته به وذلك الذل الذى وقع بهم كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى قريظة وقتل المقاتلين منهم وكاجلاء بنى النضير من الحجاز وقوله وقد أى والحال أنه قد طلت أى أهدرت وأريقت وسفكت وقوله دما بالمد جمع دم وان كان فى المتن يقرأ بالقصر لضرورة النظم وقوله وصينت دماء أى منهم كبنى النضير فانهم أخرجوا وطردوا من الحجاز من غير قتل وأما الذين طلت دماؤهم فكبنى قريظة حيث قتل منهم ستمائة أو سبعمائة أو ثمانمائة على الخلاف فى وقت واحد وفى الصحاح وطل دمه بالبناء للمفعول فهو مطلول وأطل دمه وطله الله وأطله أهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وأبو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه ثلاث لغات طل دمه وطل وأطل (قوله كيف يهدى الاله) أى واذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق أن يقال فى حقهم كيف يهدى أى يوصل وقوله حشوها أى ملؤها وقوله من حبيبه متعلق بقوله البغضاء ومن بمعنى اللام التى للتعدية أى حشوها شدة البغض لحبيبه (قوله خبرونا) أى أعلمونا يا أهل الكتابين التوراة والانجيل من أين استفهام انكارى وقوله تثليثكم راجع للنصارى أى ادعاؤكم أيها النصارى أن الله ثالث ثلاثة والاثنان عيسى ومريم وقوله والبداء راجع لليهود أى ومن أين ادعاؤكم القول بالبداء وهو بالموحدة والمهملة من بدا الشئ ظهر وهو ظهور مصلحة بعد خفائها أى لم يأت واحد من هذين عن دليل صحيح وانما هو عن محض سفهكم وعنادكم والحاصل أن النصارى على ست فرق أربعة تقول بالتثليث واثنتان لا تقولان به فالاربعة احداها تقول كل من ذات الله وذات عيسى وذات مريم اله مستقل وأخرى تقول الاله مجموع صفات

ثلاثة الوجود والعلم والحياة ويسمون الوجود بالاب والعلم بالابن والحياة روح القدس ومع ذلك يقولون عيسى ابن الله وأخرى تقول الاله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الاب والصفتان الكلام والحياة ويسمون الاولى الابن والثانية روح القدس ويقولون ان الكل اله واحد وأخرى تقول الاله مجموع ذاتين وصفة فالذاتان ذات الله وذات عيسى والصفة الحياة الحالة فى جسد عيسى والفرقتان القائلتان بغير التثليث فرقة تقول الاله هو نفس عيسى والاخرى تقول عيسى عبد الله ورسوله لكنها كفرت بشئ آخر وكلام الناظم مع الفرق الاربعة القائلة بالتثليث وأما اليهود فعقيدتهم الفاسدة هى البداء ورتبوا عليها أن شريعتهم لم تنسخ زاعمين أن النسخ يلزم عليه البداء أى ظهور مصلحة لله فى الحكم الناسخ بعد خفائها عليه فى الحكم المنسوخ (قوله ما أتى) أى ما جاء بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب الله وقوله واعتقاد مبتدأ خبره ادعاء وقوله لا نص فيه أى فى اثباته وقوله ادعاء أى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص كآيات الصفات وأحاديثها فظاهرها محال عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها الى ما يوافق العقل (قوله والدعاوى) أى التى تقولون بها معشر اليهود والنصارى وهى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى بالوجهين وقوله مالم ما مصدرية ظرفية وقوله بينات أى أدلة قطعية لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها الظن وقوله أبناؤها أى نتائجها وقوله أدعياء أى باطلة جمع دعى وهو فى الاصل من ينسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وفى الكلام استعارة بالكناية من حيث تشبيه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ منه وذكر الابناء تخييل لانه من ملائمات المشبه به الذى هو وطء الزنا من حيث انه نتيجته والادعياء ترشيح وفى النظم اشارة الى قياس اقترانى من الشكل الاول صغراه الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى وهذه أشار لها بالشطر الاول والكبرى والدعوى بلا بينة باطلة وهذه أشار لها بالشطر الثانى ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل (قوله ليت شعرى) ليت حرف تمن وشعرى معناه علمى أى ليتنى علمت لما تقولونه انضباطا حتى أتكلم معكم فى رده بأبلغ وجه وقوله ذكر الثلاثة أى الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقوله والواحد أى وذكر الواحد الصادر منكم تارة أخرى حيث ادعيتم توحيده وقوله نقص فى عدكم أم نماء أى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف وحدتم الخ واعلم أن فرق النصارى أربعة نسطورية ويعقوبية وملكية ومرقوسية فالنسطورية بضم النون وفتحها أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وان عيسى ابنه والاقانيم جمع أقنوم ومعناه الاصل وهذه الكلمة ليست فى لغة العرب وانما هى رومية والمراد بالاقانيم الثلاثة الوجود والعلم والحياة ويعبرون عن الوجود بالاب وعن العلم بالابن وعن الحياة بروح القدس واليعقوبية أصحاب يعقوب راهب القسطنطينية قال ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء والملكية ويقال لهم ملكانية أصحاب ملكان الذى ظهر ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه وكفروا بشئ آخر

ما أتى بالعقيدتين كتاب
واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوى مالم تقيموا عليها
بينات أبناؤها ادعياء
ليت شعرى ذكر الثلاثة والوا
حد نقص فى عدكم أم نماء

(قوله بشئ آخر) قال العلامة الصاوى وأخرى تقول عبد الله ورسوله لكن كفرت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فجملة الفرق عشرة كفار من قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم اهـ

كانكار البعث والمرقوسية نصارى نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وأمه لعنهم الله جميعا (قوله كيف وحدتم) أيها القائلون بالتثليث وقوله الآباء والابناء أى اللذان اتبعتموهما فى دعواكم التثليث (قوله أاله) استفهام انكارى أى أيمكن أن يوجد اله مركب من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لانا ما سمعنا بإله لذاته أجزاء بل ولا نعقله لانه مما يحيله العقل (قوله ألكل منهم الخ) أى وبيان احالة العقل لما ذكر أنه لو فرض اله مركب من أجزاء أو متعدد قيل لهم ألكل منهم نصيب أى جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فلا وفى نسخة فلم لا تميز بالبناء للفاعل على أنه ماض وهو ظاهر أو مضارع بحذف احدى التاءين منه فهو مرفوع وقوله الانصباء أى نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التمييز دليلا على ما زعمتموه أى والحال أنه لا تميز فلا تعدد كما هو بديهى (قوله أزاهم) أى فان قالوا لكل نصيب أو أنصباء لكنهم خلطوا أنصباءهم قيل لهم أزاهم بضم التاء أى أنظرهم الحاجة أى احتياج وقوله واضطرار هو شدة الحاجة الى الشئ وقوله خلطوها أى خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج لان احتياجه دليل على عدم ألوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا اضطرار قلنا لهم أيتصور وجود شريكين أو أكثر من غير بغى أحد الشركاء على بعض فلذا قال وما بغى أى والحال أنه ما بغى وما نافية أى ظلم الخلطاء أى الشركاء بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت الشركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والاساليب العربية واللازم المذكور باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله واحد (قوله أهو الراكب الخ) شروع فى بيان بطلان التعدد من وجه آخر وهو أنه ثبت بالتواتر أن عيسى كان ركب الحمار وحينئذ يقال لهم أتقولون فى حال ركوب عيسى للحمار هو الاله الراكب للحمار فان قلتم انه هو فيقال لكم ركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا فما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وقوله فيا عجزاه تعجب من دعواهم المستلزمة لذلك وقوله الاعياء أى التعب وعبارة السنباطى ثم من النصارى من يزعم أن الله هو عيسى فيقال لهم من المعلوم أن عيسى كان يركب الحمار وحينئذ أتقولون هو أى الله هو الراكب للحمار فاشتد الاعياء فيا عجزاه الخ (قوله أم جميع) أم متصلة لمعادلتها الهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل حينئذ حمار يجمعهم أى الآلهة أى عظم وعهم وقوله مشاء صيغة مبالغة من مشى وحينئذ فيقال لهم بئس اله يحتاج الى أن يمشى به حمار (قوله أم سواهم) أى أم تقولون سواهم أى الثلاثة الذين على الحمار وقوله فنسبة سيما للسببية وما استفهامية ونسبة مبتدأ واليه خبر وقوله والانتماء هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة أى أخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ فلم يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه (قوله أم أردتم بها) أى بالثلاثة التى زعمتم أنها آلهة وقوله الصفات أى القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات وقوله فلم ما استفهامية حذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت للوزن وقوله

كيف وحدتم الهانى التو
حيد عنه الآباء والابناء
أاله مركب ما سمعنا
باله لذاته أجزاء
ألكل منهم نصيب من الملـ
ـك فهلا تميز الانصباء
أزاهم الحاجة واضطرار
خلطوها وما بغى الخلطاء
أهو الراكب الحمار فيا عجـ
ـزاه عنه الاعياء
أم جميع على الحمار لقد جل
ل حمار بجمعهم مشاء
أم سواهم هو الاله فما نسـ
ـبة عيسى اليه والانتماء
أم أردتم بها الصفات فلم خصـ
ـت ثلاث بوصفه وثناء

(قوله كيف وحدتم) أى أعجب منكم أيها القائلون بالتثليث كيف توحدون الهانى التوحيد أى أتبعوه الآباء والابناء أى نسبة كل له فى دعوى التثليث وان قالوا ان التثليث لا ينافى الوحدانية لان الثلاثة تركبوا وصاروا واحدا رد عليهم المصنف بقوله أاله الخ ء

أم هو ابن الله ما شاركته
في معاني البنوة الانبياء
قتله اليهود فيما زعمتم
ولأموانكم به احياء
ان قولا أطلقتموه على الله
تعالى ذكرا لقول هراء
مثل ما قالت اليهود وكل
لزمته مقالة شنعاء
اذ هم استقرؤا البداء وكم سا
ق ويلا اليهم استقراء

(قوله اذهم أي اليهود) قال العلامة الصاوي وزعم اليهود أن النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع لاحوال المكلفين وذلك لا يقتضي أن الله ظهر له شئ بعد ان لم يكن لقيام الدليل العقلي أن علمه تعالى محيط بجميع ما كان وما يكون وما هو كائن أزلا وتصرفه في العالم على مقتضى العلم اهـ

ثلاث بالصرف للوزن وقوله يوصفه أي الاله وقوله وثناء أي وأحاد وحذف من باب الاكتفاء وثلاث وثناء بضم أولهما معدولان عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين وليس المراد هنا هذا التكرير بل المراد الثلاث فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنان فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثاني اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر في ثلاث ولا في ثنتين فادعاء التثليث تحكم صرف هكذا قال الشارح وقوله الاله بالحقيقة أي وهو عيسى على كلامهم والاله بالتجوز هو الصفات الثلاثة التي قامت بعيسى فيقولون الاله بالحقيقة هو عيسى والصفات الثلاثة اله بالتجوز لقيامها بالاله بالحقيقة وهو عيسى (قوله أم هو) أي عيسى أي أم تقولون هو ابن الله فيقال لكم لم اختص عيسى بذلك أي بوصف البنوة لله حتى انهم ما شاركته ما نافيه أي لم تشاركه الانبياء في معاني البنوة فما وجه التخصيص فهذا تحكم باطل أيضا فان قالوا انما خص بذلك لكونه لا أب له فيقال لهم يرد عليكم آدم فانه لا أب له ولا أم (قوله قتلته) أي عيسى اليهود وقوله فيما زعمتم حال أي حال كون قتلهم له انما هو في القول الذي زعمتم معشر النصارى أي فلا يكون الها ولا ابنا له والا لم يتمكنوا من قتله وقوله ولأموانكم أي والحال أنه لأمواتكم به أي بسبب عيسى احياء وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له أي انه كان فيكم يحيي الموتى فكيف من يحيي الموتى يتمكن منه من يقتله لانه اذا كان يرد الحياة بعد ذهابها باذن الله فكيف لا يحفظها على نفسه عن الذهاب باذن الله فتصديقكم لليهود في ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وأنكم تقعون في التناقض الصريح ولا تنتبهون له (قوله ان قولا) أي مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث أطلقتموه على الله تعالى عما تقولونه وقوله ذكرا معمول لتعالى على أنه تمييز أي تعالى من جهة الذكر أي الثناء عليه تعالى ذكره وثناؤه وقوله لقول هراء بضم الهاء والراء المهملة من هرأ الكلام اذا كثر في الخطا وفي نسخة بالزاي من قولهم رجل هزأة بالتسكين أي مهزوء به ويصح هزأة بالتحريك أي يهزأ بالناس والمناسب هنا الاول وفي نسخة هذاء بضم الهاء والذال المعجمة من الهذيان (قوله مثل ما قالت) مثل يجوز نصبه حالا أي لقول هراء حال كونه مثل ويجوز رفعه خبر مبتدا محذوف أي هو مثل ما قالت اليهود وما مصدرية أي مثل قول اليهود يعني بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر والفساد وان تباين تفصيل كل من المقالتين وقوله وكل أي من الفريقين وقوله لزمته أي لزمت دعواه وقوله شنعاء أي قبيحة جدا (قوله اذهم) أي اليهود استقرؤا البداء أي تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الروافض ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واعلم أن شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى هل هي ناسخة لشريعة موسى أو مخصصة والاظهر أنها مخصصة لا ناسخة لقوله ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ومعنى التخصيص هنا نسخ بعض الاحكام والقول الثاني معناه نسخ جميعها قال الامام روى أن الرسل بعد موسى كلهم على شريعته الا عيسى (تنبيه) ذكر الامام أيضا في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرائع [illegible] فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه لعرفة الله تعالى وطاعته أبدا وتجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لامر الله

والشفقة

وأراهم لم يجعلوا الواحد القهـ
ـار في الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المسـ
ـخ عليهم لو أنهم فقهاء
هو الا أن يرفع الحكم بالحكـ
ـم وخلق فيه وأمر سواء

(قوله جوزوا النسخ) قال العلامة الصاوي ثم شرع المصنف يرد هذه الحجة بقوله جوزوا النسخ الخ فجملة جوزوا النسخ جواب لو مقدم والمعنى لو كانوا فقهاء أي أصحاب فهم لحكموا بجواز النسخ في الاحكام الشرعية مثل حكمهم بجواز المسخ عليهم قردة وخنازير اذ لا فرق بينهما وقد وقع ذلك التحويل في زمن داود لما خالفوا في السبت كما قصه الله تعالى في قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى آخره اهـ

والشفقة على خلق الله ومنها ما يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه أن الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن أنها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من الاعمال من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم أن المقصود من الاعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته أن الخلق طبعوا على الملالة من الشئ فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا في أدائها وأعظم الحكم اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن حكم النسخ أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء في يوم وبآخر في يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني أثقل • (تنبيه آخر) ما زعمه اليهود من أن النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين أو الازمنة وذلك لا يستلزم البداء ولا يقتضي أن الله ظهر له شئ بعد أن لم يكن وزعم اليهود أنه يستلزمه فمنعوا النسخ فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه أو قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه أن التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمه فحكم العقل العادي قاطع بأن الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق آخر ولا مانع أن علمه تعالى يتعلق بان حرمته كذا تنتهي بوقت أو فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما أن يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى في العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه أيضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه أنهم في زمن بختنصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة أطفال على أن الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في التوراة في سور كثيرة وقوله وكم أي مرات كثيرة وقوله ويلا أي عذابا وقوله استقراء أي تتبع (قوله وأراهم) أي أعلمهم أي أعلم أنهم لقولهم بذلك أعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا أي يعتقدوا الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله وقوله في الخلق متعلق بالقهار وهو بمعنى الخالق أو متعلق بقوله بعده فاعلا ما يشاء في على حالها ووجه عدم الجعل أن امتناع نسخ عليه يستلزم قهره وعجزه (قوله جوزوا النسخ) جواب لو الآتية وقوله مثل ما جوزوا المسخ ما مصدرية أي جوزوه تجويزا مثل تجويزهم المسخ وقوله فقهاء أي فهماء ولا فهم لهم اذ لا أبلد منهم في الفرق أي لو كانوا من أهل الفهم لجوزوا النسخ كما جوزوا المسخ فعليهم بالنسخ وتجويزهم للمسخ الذي وقع بهم لا دليل عليه بل هو محض تحكم نشأ من عدم فهمهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب وشرعا رفع حكم شرعي بخطاب آخر شرعي والمعنى لو ثبت أنهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يترتب عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى أقبح منها في كثير منهم في زمن موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما في كتابه العزيز (قوله هو الا أن يرفع الحكم) أي وكيف يمنعون النسخ وهو ليس فيه الا أن يرفع الحكم الشرعي أي [illegible] أو تعلقه

والا فالحكم نفسه لا يصح رفعه ولا يجوز عقلا اذ هو خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف
وهو قديم يستحيل رفعه وقوله بالحكم أى الشرعى وهذا فيما اذا كان النسخ الى بدل وقوله
وخلق أى ايجاد وقوله فيه أى المسخ أى ايجاد للصورة الثانية بعد ذهاب الاولى وقوله
وأمر أى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى وقوله سواء أى لما تقرر أن المسخ رفع
الصورة الاولى وتخلفها الثانية والنسخ رفع الحكم الاول وتخلفه الثانى فاذا جوزتم الاول
لزمكم أن تجوزوا الثانى والا فأنتم معاندون لا يلتفت اليكم (قوله ولحكم من الزمان انتهاء)
أى وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل أن فيه حكمين المنسوخ والناسخ
فالاول هو المراد بقوله ولحكم من الزمان انتهاء والثانى هو المراد بقوله ولحكم من الزمان
ابتداء ولا ينافى هذا تفسيره النسخ فيما سبق بالرفع لما علمت أن المراد رفع تعلقه بالمكلف
ودوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وعلى كل فجواز النسخ أولى من جواز المسخ لان الاول
فى الاحكام والثانى فى الذوات (قوله فسلوهم) أى فاذا أردتم أيها المسلمون المبالغة فى
ادحاض حجتهم فسلوهم قائلين لهم أكان فى مسخهم فيه التفات عن خطابهم مبالغة فى
تحقيرهم أى أكان فى جعلهم قردة فى الصورة كما هو رأى الجمهور أو فى قلوبهم وجعلها
كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما قاله مجاهد وقوله نسخ لآيات الله
وهى الصورة الاولى مع أحكامها أولا دراكهم الاول على قول مجاهد وقوله أم انشاء
أى ايجاد لصورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم
ولزمتهم الحجة أو بالثانى فهو مكابرة للحس والحق أن المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين
النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للصورة الثانية انشاء (قوله وبداء)
بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ خبره قوله فى قولهم الثابت عنهم فقد قالوا ندم الله على خلق
آدم وقوله أم خطاء بالمد كما أجازه بعضهم وجرى عليه الناظم والمشهور فيه القصر
وهو عطف على بداء الواقع مبتدأ أى سلوهم عن قولهم هذا أصدر منهم عن قصد أو
عن خطا فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى أنكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى
بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا
تناقض قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على أنفسهم وأنهم فى غاية السفاهة
(قوله أم محا) معطوف على قوله أكان فى مسخهم أى وسلوهم أيضا عما لا يمكنهم انكاره لانه
أمر محسوس فقولوا لهم أعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول بالاخرى أم محا الله أى
أذهب آية الليل الاضافة بيانية والليل اسم جنس جمعى واحده ليلة وأتى بالنهار بدله وهكذا
الى القيامة وقوله ذكرا بضم الذال تمييز أى من جهة الذكر أى العلم والعمل وقوله ليوجد
الامساء أى الدخول فى المساء والمراد به هنا ما بعد الغروب وهذا لا يترتب على ما قبله وانما
الذى يترتب على محو الليل الدخول فى الاضاءة بوجود النهار وانما يترتب الامساء على محو
النهار فيحتاج الكلام الى تقدير هكذا أم محا الله آية الليل لتوجد الاضاءة ومحا آية النهار
ليوجد الامساء وهذا التقدير يشير اليه قولنا سابقا ومحا وهكذا الى يوم القيامة أى وسلوهم
عن هذا المحو أهو واقع أم لا وبفرض وقوعه فهل هو عمد بعد سهو أو عن سهو ابتداء فان قالوا
بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من
الترديد الثانى لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ

حذرا

ولحكم من الزمان انتهاء
ولحكم من الزمان ابتداء
فسلوهم أكان فى مسخهم نسـ
ـخ لآيات الله أم انشاء
وبداء فى قولهم ندم الله
على خلق آدم أم خطاء
أم محا الله آية الليل ذكرا
بعد سهو ليوجد الامساء

حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار فى غير ما آية كقوله وجعلنا الليل
والنهار آيتين الآية وفى البيضاوى آيتين تدلان على القادر الحكيم بتواليهما على نسق واحد
فمحونا آية الليل أى التى هى الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة أى مضيئة أو مبصرة
للناس من أبصره فبصر أو مبصرا أهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا
نيرى الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها
مظلمة فى نفسها مطموسة النور ونقص نورها شيئا فشيئا الى المحاقه وجعل آية النهار التى هى
الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها (قوله أم بدا للاله) أى ظهر له فى ذبح
اسحق والحال أنه قد كان الامر أى بذبحه من الله تعالى للخليل فى النوم وقوله مضاء أى منفذ
نافذ وفى نسخة قضاء بالقاف أى حتم لان رؤيا الانبياء وحى أى سلوهم فيما وقع للخليل وهو
أمره بذبح ولده ثم عند ارادته له حين أضجعه على جبينه نسخه الله فأمره بتركه وفداه بذبح عظيم
وما يقال ان الرقبة كسيت نحاسا وانه أمر السكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء
فهو باطل لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول
بالنسخ مطلقا أو غير نسخ لزمهم الجهل المفرط واعلم أن ما جرى عليه الناظم من أن الذبيح
اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل وأجمع عليه أهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان
اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط أن اسحق حج ولا أتى تلك الاماكن فانهما يقضيان
بانه اسمعيل وهو التحقيق (قوله أو ما حرم الاله) أى وسلوهم أيضا فقولوا لهم أتنكرون النسخ
وتقولون ما حرم الله نكاح الاخت بعد التحليل فى زمن آدم أو تقولون حرمه بعد ما حلله وقوله
فهو أى نكاحها الزناء مترتب على الشق الثانى من الترديد أى والزنا موجب للرجم ومد الزنا
لغة فان قالوا حرمها بعد أن أحلها فهذا صريح فى النسخ الذى أنكروه وان قالوا لم يحرمها أولا
يحللها فهو عناد محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم (قوله لا تكذب) أى واذ قد بان لك قبح جهلهم
وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم ولا تكذب أن اليهود وقوله وقد زاغوا جملة حالية
أى مالوا عن الحق من جهات عديدة سفها وحسدا وقوله لؤماء جمع لئيم وهو الدنئ الاصل
الشحيح النفس (قوله جحدوا) بدل من زاغوا أى أنكروا نبوته ورسالته وقوله وآمن جملة
حالية وقوله بالطاغوت أى الشيطان وكل ما عبد من دون الله وقوله عندهم أى عند اليهود
شرفاء أى معظمون مبجلون وهذا بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق حيث جحدوه وأقروا
من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم من أشرافهم ثم ظاهر النظم أن المؤمن
بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى ألم
تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت وهو اسم يقع
على الصنم والكاهن والساحر والمراد هنا الاول والطاغوت كل ما عبد من دون الله فهو من
عطف العام على الخاص ويصح أن يراد بقول المتن وآمن بالطاغوت قوم أى من أشراف
قريش هم عندهم أى عند اليهود شرفاء (قوله قتلوا الانبياء) بدل بعد بدل أو معطوف بحذف
حرف العطف وذلك كزكريا ويحيى وغيرهما فقد جاء أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا وقاموا
لسوقهم ومعاشهم وذكر ابن عطية فى تفسيره أنه لم يقتل من الانبياء الا من لم يؤمر بالقتال
وأما من أمر فقد تكفل الله بنصره وقوله واتخذوا العجل أى الها ومعبودا مع أن السامرى
هو الذى صاغه بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط قبل غرقهم وقوله ألا انهم

أم بدا للاله فى ذبح اسحـ
ـق وقد كان الامر فيه مضاء
أو ما حرم الاله نكاح الـ
ـأخت بعد التحليل فهو الزناء
لا تكذب أن اليهود وقد زا
غوا عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا
غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ
ـل ألا انهم هم السفهاء

(قوله أم بدا للاله الخ) قال العلامة الصاوى تنبيه ما جرى عليه الناظم أن الذبيح اسحق هو ما عليه مالك والاكثرون قيل وأجمع عليه أهل الكتابين وقال الشافعى وجماعة انه اسمعيل واستدلوا بسياق الآية وكون اسمعيل كان بمكة ولم ينقل أن اسحق حج ولا أتى تلك الاماكن وبقول الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه اهـ

ألا حرف تنبيه وقوله هم السفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة وفى المتن الاقتباس من الآية الشريفة (قوله وسفيه) خبر مقدم أو مبتدأ وما بعده هو الخبر وسوّغ الابتداء به وقوعه نيا بالمقابلة وقوله من ساءه أى أحزنه المن وهو نوع من الحلوا يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار وقوله والسلوى هو الطير السمانى وهو من أشهى الطيور لحما وأنفعها وأطيبها غذاء كان يأتيهم وهم فى التيه الى محالهم فيمدون أيديهم اليه ويأخذون منه ما شاؤا وقوله وأرضاه الفوم بضم الفاء بل سأل فيه كما فى الآية وهو الثوم كما قرئ به فى الآية وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى (قوله ملئت بالخبيث) وهو ما سألوه من الفوم وما معه وقوله منهم حال من بطون النائب عن الفاعل أو المراد بالخبيث عيوبهم القلبية كالحسد والغل والاوّل هو الذى يدل عليه السياق ويناسب قوله ملئت والثانى لا يناسب هذين لكنه يناسب قوله فهى نار أى مشتملة على ما يؤدى الى النار وأما الاوّل فلا يناسبه كما لا يخفى وقوله طباقها أى النار التى هى بطونهم الامعاء أى المصارين جمع معا بالقصر كرضا أى المصران أى ان كل معا فى بطونهم فوقه نار فصارت الامعاء طباقا للنار (قوله لو أريدوا) لو شرطية أى لو أراد الله بهم خيرا وقوله فى حال سبت مصدر سبتت اليهود اذا عظموا سبتهم بالسكون فيه من غير العبادة أى بترك الاشغال الدنيوية والتفرغ للعبادة والسبت معناه لغة القطع وقوله بخير الباء زائدة للتأكيد وكل من الظرفين هذا والذى قبله متعلق بأريدوا أى لو أراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم تعظيمه خيرا وقوله لديهم أى عندهم وقوله الاربعاء بتثليث الباء والمعنى لو أراد الله بهم تمام الخير لجعل زمن عبادتهم يوما مؤذنا مشعرا بوصلهم واهتدائهم وهو يوم الاربعاء لان النور خلق فيه والنور يحصل به الاهتداء فلما جعل ميقاتهم يوم السبت المؤذن بقطيعتهم اذ السبت لغة القطع كان فى ذلك اشارة الى أنه لم يرد بهم تمام الخير فكأن الناظم يقول لو أراد الله بهم تمام الخير فى حال سبتهم أى فى حال عبادتهم وانقطاعهم اليها كان سبتا لديهم الاربعاء أى لكان الاربعاء سبتا لديهم أى كان محلا لسبتهم أى انقطاعهم وتفرغهم للعبادة ومما يوضح هذا أن الله ادخر لهذه الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وأفضلها وجعل لليهود يوم السبت المؤذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما خصت به كل أمة من الايام دليلا على أحوالها وما يؤل اليه أمرها فنبه الناظم رحمه الله تعالى على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة فى مدح هذه الامة وذم غيرها ومن هذا المعنى قال العارف الفارضى

وكل الليالى ليلة القدر ان دنت • كما أن أيام اللقا يوم جمعة

واعلم أنه اختلف فى أوّل الاسبوع فقيل السبت وهو الاصح وعليه الاكثرون كما فى الروضة وأصلها ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بان أوله الاحد الا ابن جرير وجرى النووى فى موضع آخر على أن أوله الاحد حيث قال فى يوم الاثنين سمى به لانه ثانى أيام الاسبوع ويجاب من طرف الاوّل بان النووى جرى فى توجيه التسمية الذى يكفى فيه أدنى مناسبة على القول الضعيف ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد والاثنين من الثانى وهكذا لان تلك التسمية لم تثبت بأمر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على

وسفيه من ساءه المن والسلـ
وى وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون
فهى نار طباقها الامعاء
لو أريدوا فى حال سبت بخير
كان سبتا لديهم الاربعاء

مذهبهم فأخذتها العرب عنهم وجاء فى الخبر أن الله خلق التراب أى الارض فى يوم السبت والجبال فى يوم الاحد والشجر فى يوم الاثنين والمكروه أى الاشياء التى تكرهها النفس فى يوم الثلاثاء والنور وكذا النون أى الحوت أى السمك فى يوم الاربعاء وخلق الدواب فى يوم الخميس وخلق آدم فى يوم الجمعة ويضبط ذلك حروف قولك تجشم نداء فاتنا للتراب أى الارض فى يوم السبت الذى هو أوّل أيام الاسبوع والجيم للجبال فى يوم الاحد وهكذا على الترتيب السابق وقد انتصر ابن عساكر لكون أوله السبت بما حاصله أن تأييد ابن جرير لكون أوله الاحد بان هذا العالم خلق فى ستة أيام وآدم خلق يوم الجمعة وانما يصح بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الستة التى خلق فيها العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر الايام وانما أخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة أيام فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه وذريته (قوله هو) أى يوم السبت يوم مبارك لان الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمه اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله عليهم بقوله وما مسنا من لغوب أى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير وقوله قيل انما بناه للمجهول لضيق النظم والا فهذا القول ليس ضعيفا بل هو أمر مشهور مجمع عليه ورد به الكتاب والسنة وقوله للتصريف أى للتصرف ببيع أو نحوه وقوله اعتداء أى تعد وظلم كان سببا لمسخ كثير منهم قردة وخنازير فمسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير لها أذناب تتعاوى وذلك أنهم لما أمروا أن يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود اثنا عشر ألفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فى طريق الحاج المصرى فابتلاهم الله بان ألهم السمك يوم السبت أن يرفع خرطومه اليهم بحيث لو مدوا أيديهم اليه لاخذوه من غير كلفة وكانت تجتمع جميع حيتان البحر بجنب البر شرعا أى ظاهرة لهم فاذا مضى السبت تفرق فلم يروا منه شيأ فاجتمع رأى جماعة منهم على حيلة يحصلونه بها ويتخلصون من الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلئ سمكا يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووا منه وأكلوا فشم جيرانهم الرائحة فسألوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة منهم حتى صاروا قدر الثلث من العدد السابق وهو اثنا عشر ألفا وسكت قدر الثلث عن النهى فاعتزلهم الثلث الباقى الذى نهاهم فبنوا بينهم حائطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث وهو الذى فعل الحيلة قردة وخنازير على ما مر وكذا الثلث الذى سكت على خلاف فيه ومن ثم قال ابن عباس لا أدرى ما فعل بالساكتة أنجاها أم مسخها وأما الثلث الذى نهى وبنى الحائط فلم يمسخ باتفاق (قوله فبظلم) متعلق بعدتهم وهو وضع الشئ فى غير محله تكبا تهم فى السبت وأكلهم الربا وأخذهم أموال الناس بالباطل وقوله وكفر من عطف الخاص على العام لزيادة الاهتمام به وقوله عدتهم أى فاتتهم وقوله طيبات أى من الرزق بان حرمها الله عليهم وقوله فى تركهن أى تلك الطيبات الذى تحتم الامر به وقوله ابتلاء أى اختبار ومحنة يتعبد بكون سببا لرحمته أو نقمته وهذه الطيبات التى حرمت عليهم هى التى فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية

قوله وجاء فى الخبر أن الله خلق التراب الخ) قال العلامة الصاوى واعلم أن الله تعالى خلق العالم فى ستة أيام آخرها الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه فيوم الجمعة الذى خلق فيه آدم خارج عن الستة الايام التى خلق فيها العالم ويؤيده الخبر الصحيح ان الله هدانا ليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى اهـ

هو يوم مبارك قيل لتصـ
ـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم
طيبات فى تركهن ابتلاء

أى وعلى اليهود حرمنا كل ذى ظفر الخ الا الشحم الذى على الظهر أو الالية أو الامعاء فالحوايا هى الامعاء وما اختلط بعظم هو شحم الالية (قوله خدعوا) أى يهود المدينة وما قرب منها بلا منازعوا لكن ذلك عام وهذا خاص وقوله بالمنافقين أى بسببهم أى المنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا فكانوا يدسون الى اليهود المكروه والخديعة ومعنى خديعتهم بهم أن الله أراد بهم المكروه بسبب المنافقين من العرب الذين كانوا يصدونهم عن النبى فيخدعون لهم ليغبنوهم وقوله وهل ينفق كيضرب مبنيا للفاعل ويعلم كذلك ويكرم مبنى للفاعل أو المفعول أى وما ينفق الشقاء الاعلى السفهاء وهم اليهود شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف فى الشر على سبيل الاستعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا وهذا اذا كان ينفق من أنفق الدراهم أى صرفها وأخرجها ويصح أن يكون من النفاق أى الرواج وعليه فشبه الشقاء بالسلعة المعرضة للبيع على سبيل المكنية أيضا وأثبت له النفاق تخييلا (قوله واطمأنوا) أى فى زعمهم أى أمنوا مما كانوا يترقبونه من النبى وقوله بقول الاحزاب أى بسبب قولهم انا لكم أولياء والمراد بالاحزاب طوائف العرب أهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا بعد وقعة أحد لحرب النبى صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم أى فى الكفر وقوله انا لكم أولياء مقول القول أى متوالون ومتفقون على حرب محمد وسبب ذلك أن جماعة من اليهود منهم اللعين حيى بن أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى ذهبوا الى قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستأصله فوافقوهم ثم ذهبوا الى غطفان وذكروا لهم مثل ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وغطفان وأهل نجد فى عشرة آلاف فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم أشار عليه سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه هو وأصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما أو خمسة عشر لا قتال بينهم الا الرمى بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى وكان من رؤساء الاحزاب فقال له انى أسلمت ولم يعلم قومى باسلامى فمرنى فيهم بما شئت فقال له خذل عنا ما استطعت الى آخر ما فى القصة (قوله حالفوهم) أى حالف الاحزاب اليهود والضمير الفاعل للاحزاب والمفعول لليهود وكذا يقال فيما بعده أى عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله وقوله وخالفوهم فى ذلك فرحلوا عنهم وأسلموهم للنبى صلى الله عليه وسلم حتى فناهم عن آخرهم وقوله ولم أدر الخ هذا من تجاهل العارف لاغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا والا فالناظم عالم به وهو أن الله أراد خذلانهم وتفريق كلمتهم واستئصال جمعهم وتجاهل العارف هو سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب أو الانكار أو التوبيخ كما هنا أو التقرير ونحو ومالك [illegible] (قوله أسلموهم) الضمير الفاعل راجع للمنافقين فى قوله خدعوا بالمنافقين فلو ذكره عقبه لكان أولى والمفعول لليهود والمراد بهم يهود هاشم والنضير وهم وقريظة قبيلتان من يهود خيبر وهم منسوبون الى هرون أخى موسى عليهما السلام وقوله لاول الحشر أى الحشر الاول وهو اجلاؤهم من بلاد الحجاز الى الشام وهذا فى عهده صلى الله عليه وسلم والحشر الثانى وهو اجلاء عمر لبنى [illegible] من خيبر الى بلاد الشام ونحوها وهذا مقتبس من قوله تعالى

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ
ـفق الا على السفيه الشقاء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا
نهم انا لكم أولياء
حالفوهم وخالفوهم ولم أد
ر لماذا تخالف الحلفاء
أسلموهم لاول الحشر لا ميـ
ـعادهم صادق ولا الايلاء

(قوله خدعوا) يعنى أن يهود المدينة وما قرب منها خدعهم المنافقون من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه وقاية من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هؤلاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا وكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكان أحبار اليهود هم الذين يتعنتون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول القرآن عليه مكذبا لهم تارة وتعجيبا عن شبههم أخرى اه صاوى

هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب الآيات وقوله لا ميعادهم صادق أى لا ميعاد المنافقين لليهود أنهم ينصرونهم على حرب النبى ثم تخلفوا عنهم وقوله ولا الايلاء أى الحلف منهم لهم صادق أيضا (قوله سكن الرعب) أى هيبة النبى وخشية انتقامه منهم وقوله والخراب أى لديارهم وقوله قلوبا أى لليهود بنى النضير وغيرهم وهذا راجع للرعب وقوله وبيوتا راجع للخراب وقوله نعاها أى أخبرت البيوت بموت أهلها المعنوى من نعاه نعوا ونعيا أخبر بموته وقوله الجلاء أى خروجهم من ديارهم شبه فى كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم بانسان يخبر بموت أحد استعارة بالكناية وذكر النعى الملائم للمشبه به تخييل وما تقدم فى وجه الشبه وهو كونه معلما بقهرهم الخ يحتاج لمعونة وهو أن ذلك القهر قد نزل منزلة الموت الحسى وظاهر النظم أن واقعة بنى النضير بعد الخندق المشار اليها بقوله واطمأنوا الخ وهو مردود بان بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فقد كانت وقعتهم قبل الاحزاب وكانت من أعظم الاسباب فى جمع الاحزاب لان حيى بن أخطب كان رئيس بنى النضير وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر وموافقة الاحزاب وقد هرب فى وقعة بنى النضير ولحق بخيبر فكان فيها حتى ذهب الى قريش وحزبهم على حرب النبى صلى الله عليه وسلم وحاصل وقعة بنى النضير أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج لهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخرة ليستريحوا منه فاخبره جبريل فرجع الى المدينة وأمر بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم فسار وحاصرهم خمسة عشر يوما فألقى الله الرعب فى قلوبهم فصاروا يخربون بيوتهم من داخل والمسلمون من خارج ثم نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فحكم عليهم بان يخرجوا ولا يأخذ كل واحد من ماله الا حمل بعير ولا يأخذون السلاح فلحقوا بخيبر ثم الى الشام على ستمائة بعير (قوله ويوم الاحزاب) أى وخدعوا أيضا بنى قريظة يوم الاحزاب الخ ولو قدم هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان أظهر كما لا يخفى وكأن هذا الوضع من غلط النساخ وحاصل ما أشار اليه أن الاحزاب لما أقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج لهم صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيى بن أخطب وتقدم أنه كان من رؤساء بنى النضير وفى قلبه ما فيه مما أصابه وأصاب قومه قبل ذلك فأتى كعبا القرظى رئيس بنى قريظة وكان قد عاهده صلى الله عليه وسلم وأمنه فطلب حيى منه نقض عهد محمد فامتنع فلم يزل به حتى نقض العهد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه الامر وخاف على المدينة من بنى قريظة فلما خلص من الاحزاب ورجع المدينة ووضع سلاحه واغتسل جاءه جبريل على بغلة فقال يا محمد قد وضعت سلاحك والله ما وضعنا معشر الملائكة سلاحنا فاخرج اليهم وأشار الى بنى قريظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فسار اليهم فى ثلاثة آلاف فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصر نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس وكانوا حلفاءه فى الجاهلية فحكمه صلى الله عليه وسلم فيهم فحكم بقتل رجالهم وقسم أموالهم وسبى ذراريهم [illegible] وكانوا ثمانمائة وقيل سبعمائة فادخلوا المدينة وحفرت لهم حفيرة وأمر صلى الله عليه وسلم عليا بضرب أعناقهم وألقوا فى الحفيرة (قوله وتعدوا) أى النصارى واليهود والمسلمون بل

سكن الرعب والخراب قلوبا
وبيوتا منهم نعاها الجلاء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ
ـصار فيه وضلت الآراء
وتعدوا الى النبى حدودا
كان فيها عليهم العدواء

(قوله سكن الرعب) قال العلامة الصاوى وخلاصة ما قاله أهل السير فى واقعة بنى النضير أنه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فأظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم يلقى عليه حجرا ليستريحوا منه فلما صعد الرجل لذلك أخبر صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فتطلبه أصحابه فاخبرهم ونزل فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية اه

وتهتهم وماانتهت عنه قوم · فأبيد الآمار والنهاء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو · ل ونطق الأراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو · ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو · م وما ساق للبذىّ البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد · ر اذ الميم فى مواضع باء

مطلق الكفار أى تجاوزوا وقوله الى النبى حال من قوله حدودا أى حال كونها لهم بأن حددها لهم ومنعهم من مجاوزتها فلم يقفوا عندها فقوله كان فيها على حذف مضاف أى فى مجاوزتها والعدواء اسم كان وأحد الظرفين خبرها والآخر حال والعدواء بفتح العين أى بعدهم عن النجاة ووقوعهم فى الهلاك وهذا تلميح لقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (قوله وتهتهم) أى أولئك المعتدين وفاعله ضمير يعود على قوم لانه من باب التنازع أى ونهى المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ماهم عليه من مخالفته وايذائه وقوله وماانتهت عنه أى عن النبى أى عن مخالفته وايذائه وقوله فأبيد الفاء سببية أى أهلك الامار منهم بايذائه والنهاء عن اتباعه ولم يتقدم للامار ذكر فى كلامه الا أنه مأخوذ من المقام فقوله وماانتهت عنه قوم أى وأمر قوم بايذائه فيقدر هذا الاجل قوله فأبيد الامار والنهاء والامار بفتح الهمزة والنهاء بفتح النون مبالغة فى آمر وناه (قوله وتعاطوا فى أحمد) أى خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا أى يخوض فيه وعبارة الهروى يقال تعاطيت الشئ اذا تناولته وقوله فى أحمد بالصرف للوزن وخص هذا الاسم لانه لم يسم به أحد قبله كما رواه مسلم وأما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر كما بينه الحافظ العسقلانى وقوله منكر القول أى القول المنكر الذى ينكره من يسمعه بل والمتكلم به لعلمه بقبحه وفساده وأن الحامل عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون وقوله ونطق أى منطوق الاراذل أى الاخساء الاسافل الذين لا مروءة لهم وقوله العوراء بفتح العين أى الكلمة القبيحة الساقطة أى شأنهم النطق بالفحش (قوله كل رجس) أى قذر فاسم مهم وقوله السوء بفتح السين وضمها أى القبيح وقوله سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة وأما سفه بالكسر فمصدره سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وقوله والملة أى ويزيده سفاهة أيضا ويعدا عن الخير الملة أى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب وقوله العوجاء أى الباطلة شبهها بطريق عوجاء لايهتدى سالكها الى مطلوبه على سبيل الاستعارة المكنية ثم أثبت لها العوج تخييلا وهؤلاء الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم (قوله فانظروا) أى فبسبب ازديادهم فى السفاهة والجهل انظروا أيها العقلاء وقوله كيف هى ومابعدها سدت مسد مفعولى انظروا لانه بمعنى اعلموا وقوله كان أى حصل ووجد فهى تامة وقوله عاقبة القوم أى مآلهم ومصيرهم أى القوم المعروفين بما ذكر وعاقبتهم هى خزيهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة وقوله وماساق أى وانظروا ماساق ومايصح أن تكون موصولة فمابعدها صلتها وأن تكون استفهامية فهى ومابعدها سدت مسد مفعولى انظروا المقدر وقوله للبذىّ أى بذىّ اللسان كهؤلاء وقوله البذاء أى بذاؤهم أى فحشهم وتخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفى الكلام تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء سائقها فهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذىّ على جهة كونه واقعا عليه تخييل (قوله وجد السب) أى وجد ذلك البذىّ السب أى الشتم فيه أى النبى صلى الله عليه وسلم وقوله سما أى داء مهلكا وقوله ولم يدر أى ذلك البذى أن سبه عين السم القاتل لوقته اذ الميم فى مواضع باء أى تقلب باء فى مواضع أى فى ألفاظ وعبارات وكلمات كما هنا وهى لغة مازن فيقولون باسبك اذا أرادوا ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم والمعنى أن

(قوله وتعاطوا فى أحمد) قال العلامة الصاوى يعنى أن هؤلاء الكفرة تعاطوا القول المنكر فى أحمد نبينا صلى الله عليه وسلم ومن ايذاء المنافقين له فى قولهم يوم الخندق محمد يعد أصحابه أن ينفق كنوز قيصر وكسرى وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط وقد حقق الله مقالة نبيه فملك الله المسلمين كنوز كسرى وقيصر فى زمن عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما اهـ

كان من فيه قتله بيديه · فهو فى سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتـ · ـف اليها وماله انكاء
صرعت قومه حبائل بغى · مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا · ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت فيهم القنا فقوافى الطـ · ـعن منها ماثانها الايطاء

سببه له مهلك لهم كاهلاك السم بل هو أبلغ لان اهلاك السم فى الدنيا وله أدوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولادواء له (قوله كان من فيه) أى من أجل ماصدر من فيه أى من فم ذلك البذىّ وقوله قتله اسم كان وبيديه خبرها ومن فيه حال من الخبر أى كان قتله لنفسه بيديه حال كونه صادرا من فيه وقتل الانسان نفسه أشد من قتل غيره له وقوله فهو أى فبسبب ذلك هو أى القاتل لنفسه وهو مبتدأ وخبره الزباء والمعنى على التشبيه أى فهو فى الاتصاف بما وقع من سوء فعله بنفسه كالمرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى هى الزباء بفتح الزاى وتشديد الموحدة والمد وهى ملكة الجزيرة ولم تتزوج أصلا بل استمرت بكرا وانما أشبهها الا انها تناولت خاتما مسموما فصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لابيد عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ماتناولته بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو ابن أخت جذيمة الابرش خوفا من تعذيبه لها * وحاصل قصتها أن جذيمة بن عامر التنوخى وقيل الازدى وهو أول من ساس العرب وأول من اتخذت له الشموع وأوقدت بين يديه وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق بقرأ بالزباء فقتله قيل بعثه عيسى وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها فحدثت جذيمة نفسه بتزوجها وكانت أجمل أهل عصرها فطمع فيها وفى ملكها فأرسل لها فأظهرت له غاية الفرح فشرع فى السير اليها فلما دخل عليها قتلته وكان له ابن أخت يسمى عمرا فسار اليها ودخل عليها بحيلة فلما تمكن منها وعرفت أنه قاتلها مصت خاتما فى يدها كان مسموما وقالت بيدى لابيد عمرو فماتت (قوله أو هو النحل) أى هو ذلك البذىّ فى سوء فعله يشبه النحل ويبين وجه الشبه بقوله قرصها لغيرها يجلب الحتف أى الموت اليها عقب لسعها والحال أن لسعها ماله انكاء أى ليس له قتل ولا جرح ولادم ولا تأثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع أنه لامصلحة تعود عليهما مما كان سببا لهلاكهما (قوله صرعت قومه) لما فرغ من بيان عاقبة أهل الكتابين شرع فى بيان عاقبة غيرهم من أعدائه فقال صرعت قومه صلى الله عليه وسلم أى ألقتهم قتلى بين يديه حبائل جمع حبالة وهى التى يصاد بها كالشبكة واضافتها الى البغى من اضافة المسبب الى السبب وقوله مدها أى تلك الحبائل اليه المكر منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه وقوله والدهاء بالكسر والمد هو جودة الرأى وفى الكلام استعارات ثلاثة مكنيات الاولى من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه وصرعوا بين يديه بصيود مصروعة بين يدى الصياد والثانية من حيث تشبيه البغى بشبكة الصائد والثالثة من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما يقتضيه نسبة المد اليها أو بحبال الشبكة التى يمدها الصياد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد الملازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللائق بالمشبه (قوله فأتتهم) أى فبسبب مكرهم أتتهم من قبله وقوله تختال أى تتبختر بهارا كبوها تيها وعجبا وقوله وللخيل أى النفائس وعليها الشجعان وقوله فى الوغى أى الحرب وهو متعلق بقوله خيلاء أى كبر وهو ممدوح فى الحرب لاغاظة العدو والوغى يكتب بالياء لابالالف (قوله قصدت فيهم) أى فى أبدانهم القنا أى الرماح جمع قناة أى أرادت الطعن فيهم وهذا على حد قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض وقوله فقوافى أى فبسبب قصدها له كانت قوافى الطعن أى الطعنات المشبهة بقوافى الشعر فى تتابعها وقوله منها حال من الطعن أى حال كون ذلك الطعن منها أى من تلك الرماح وقوله ماثانها أى ماعابها وفى نسخة شانه أى الطعن لانه

لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفي الموضوع وقوله الايطاء هو تكرار القافية المتحدة لفظا ومعنى فتشبيه الطعنات الواردة على محل واحد من غير أن تؤثر الثانية شيأ لم تؤثره المتلوة بايطاء الشعر وهذا معيب لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره كما أن الايطاء المذكور معيب في المشبه به الذي هو تكرار القافية كما تقدم (قوله وأثارت) أي رفعت تلك الخيل لما ركضت بارض مكة في غزوة الفتح حين ازدحمت قرب دخولها وقوله نقعا أي غبارا أظلم الجو ولذا قال حتى ظن بالبناء للمفعول أن الغدو أي وقته وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقوله منها أي من أجل تلك الخيول التي أثارت ذلك النقع أو من أجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التي أثارته تلك الخيول وقوله عشاء بكسر العين أي وقتها وهو ما اذا غاب الشفق الاحمر وهذا اشارة الى غزوة الفتح وخلاصة شئ من قصتها أنه وقع الصلح بالحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش على ترك الحرب عشر سنين وعلى أنهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده ولا يتعرض هو لمن دخل في عقدهم وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانوا متعادين فخرج بعض بني بكر وبعض خزاعة فاقتتلوا فانتصرت قريش لبني بكر حلفائهم فخرج أربعون من خزاعة حلفائه صلى الله عليه وسلم فأتوا اليه المدينة يخبرونه ويستنصرون به فقال لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي فخرج في عشرة آلاف ثم لحقه في الطريق ألفان وكان خروجه لليلتين خلتا من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران مكان قريب من مكة أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار فصعد أهل مكة على الجبال فرأوا تلك النيران وخافوا خوفا شديدا لانهم عرفوا أن عندها جيوشا كثيرة لا طاقة لهم بها فارسلوا أبا سفيان جاسوسا ينظر الخبر فجاء في نفر ثلاثة فادركه حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوه ومن معه فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد وكان العباس قد خرج الى المدينة فوافاه النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق فاظهر اسلامه ورجع معه فلما أسلم أبو سفيان قال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل شريف معظم في قومه فاجعل له شأنا وفخرا على قومه ليزداد عزه بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس أجلسه عند حطم الجبل أي عند طرفه حتى ينظر الى المسلمين وتمر به جنود الله فيقوى اسلامه فجلس به العباس فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل واحدة فيبينها له العباس فيقول مالي ولها أي لم يقع بيني وبينها حرب وقال هذا في كتائب غير الانصار فلما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فلما مرت كتيبة المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها على ناقته القصواء قال له أبو سفيان ما قاله سعد فقال صلى الله عليه وسلم كذب سعد اليوم يوم المرحمة وان الله يعز قريشا هذا اليوم فدخل صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة هو ومعظم الجيش وأمر خالد بن الوليد في طائفة قليلة بالدخول من أسفلها وأمره ومن معه أن يكفوا أيديهم الا ان قوتلوا فلما دخل خالد قاتلهم أوباش قريش أي سفهاؤهم وخدمهم فقاتلهم حتى أدخلهم المسجد من باب الحزورة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهذا هو الفخر الذي سأله له العباس قبل الدخول ثم لما جاء خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال له لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت وقال قضاء الله خير واذا علمت أن الذي دخل

وأثارت بارض مكة نقعا
ظن أن الغدو منها عشاء

(قوله وأثارت) أي رفعت تلك الخيل لما ركضت في الحرب وقوله بارض مكة متعلق باثارت وقوله نقعا أي غبارا وقوله عشاء أي وقتها وهو غيوبة الشفق الاحمر ومراد المصنف بيان ما يتعلق بغزوة مكة وخلاصة شئ منها الانها التي حصل بها أعظم فتوح الاسلام وأعز الله بها دينه ورسوله وجنده وحرمه واستبشر بها أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا اه صاوى

مكة

مكة من أعلاها المعظم والاكثر وأن القتال الذي وقع مع خالد في أسفلها لم يبدأهم به وانما بدأ به أوباش قريش علمت أن مكة فتحت صلحا وهو معتمد الشافعي رضي الله عنه فمساكنها وأرضها ملك لاهلها يجوز لهم فيها التصرف بالبيع وغيره خلافا لابي حنيفة (قوله أحجمت) أي كفت وأمسكت عنده أي عند ذلك النقع الذي حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام على ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من أعلاها وأسفلها وقوله الحجون بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة أي ان الفرقة التي كانت بالحجون وان أثارت فيه من النقع شيأ كثيرا لكنه بالنسبة لما في مكة قليل فامسك الحجون عن محاكاة ما بمكة من الغبار وقوله وأكدى أي كف ومنع والمراد بمنعه قلة التراب فيه وقوله عند اعطائه القليل حال من الفاعل الذي هو كداء مقدم عليه والضمير في اعطائه لكداء لتقدمه رتبة وان تأخر لفظا والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء هو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله القليل أي من الناس مفعول الاعطاء الثاني وقوله كداء بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه والا فالكثير كدى بالضم والقصر أي وقل غبار كدى الذي هو أسفل مكة لان الفرقة الداخلة منه التي أعطاها صلى الله عليه وسلم كانت قليلة فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم أن ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من أعلى وأسفل أكثر من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى له جدوى وهو أن دخوله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه كان من الحجون والبقية من كدى ووجه أخذه من النظم أنه خص اعطاء القليل بكدى فدل على أن الكثير دخل من الحجون وعبارة ابن عبد الحق في بيان معنى البيت أي كفت عند ذلك النقع أهل الحجون عن القتال وامتنع أهل كدى عن القتال بعد قتالهم قليلا اه (قوله ودهت) أي أهلكت تلك الخيول وقوله أوجها أي من الناس أي أشرافا على أنه جمع وجيه ويصح انه جمع وجه ويكون من التعبير بالجزء عن الكل وقوله بها أي بمكة وهؤلاء الوجوه الذين هلكوا بها هم الذين قاتلوا خالدا فقتلهم وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في ايذائه وهجوه فامر بقتلهم وان تعلقوا باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال وأربع نسوة وقوله وبيوتا أي وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يأوون اليها ويرجعون لاهلها في الرأي وقوله مل بالبناء للمفعول أي سئم منها الاكفاء وهو في الشعر المخالفة بين أواخره كأن يكون بعضه ميما والآخر باء والمراد به هنا انكفاء تلك الوجوه على الناس لعلها تحميها أو تجيرها وقوله والاقواء أصله من قولهم منزل قواء والقواء بفتح القاف والواو والمد القفر أي لا أنيس به ثم استعمل في الشعر مرادا به أن يختلف حركات الروى وفي كلامه لف ونشر مرتب فالاكفاء راجع للوجوه والاقواء الذي هو الخلو من الناس راجع للبيوت (قوله فدعوا) أي فبسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذي ظنوا بسببه أن النبي صلى الله عليه وسلم مهلك لهم عن آخرهم دعوا محمدا أحلم البرية أي الخلق أي طلبوا منه يوم الفتح أن يعفو عنهم وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم من الايذاء فاجابهم الى العفو قائلا لا تثريب عليكم اليوم وقوله والعفو أي عما سألوه وقوله جواب الحليم من حلم بالضم اذا ترك الانتقام بحق وقوله والاغضاء أي ارخاء الجفون من الحياء والمراد به هنا الاعراض عن عقوبتهم وعن تفصيل الامور التي وقعت منهم (قوله ناشدوه) بدل من دعوا القربى أي حلفوه أن يصل قرابتهم ويعفو عنهم والقربى على حذف الجار أي حلفوه بالقرابة

(قوله أحجمت عنده الحجون) معناه كفت عن القتال عند ذلك النقع الذي حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما فيهم من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من أعلاها والحجون فاعل وهو بفتح الحاء الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلى وهو كداء بالفتح والمد واسناد الاحجام الى الحجون مجاز والذي كف انما هو الفرقة الداخلة منه مع كثرتها وعظمها فلم يقع منهم قتال أصلا اه صاوى

أحجمت عنده الحجون وأكدى
عند اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا
مل منها الاكفاء والاقواء
فدعوا أحلم البرية والعفـ
ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش
قطعتها التراث والشحناء

(قوله فعفا الخ) قال العلامة الصاوي وخلاصة ما أشار اليه الناظم أنه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص لقتال رسول الله فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أحلت لي ساعة من نهار أي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء أي من الاسر والاسترقاق اه

الى بينهم وبينه أن يعفو عنهم وقوله التي من قريش أي التي وصلت اليهم من سائر بطونهم وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم وقوله قطعتها حال من القربى وقوله التراث بفوقيتين وكسر الاولى جمع ترة بكسر التاء وهي مصدر وتر كوعد أي قتل له قتيل ولم يترك دمه فيقال وتر يترة كوعد يعد عدة والجمع ترات كعدة جمعها عدات وقوله والشحناء أي التباغض والتحاسد (قوله فعفا) أي فبسبب تلك المناشدة عفا صلى الله عليه وسلم عنهم عفو قادر لانه كان متمكنا من استئصالهم وقوله لم ينغصه أي لم يكدر ذلك العفو وقوله بما مضى الباء سببية وفي نسخة فيما مضى وهي أظهر والجار والمجرور حال من اغراء الواقع فاعلا من أغريت الكلب بالصيد حملته على اصطياده أي لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهالهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا في ايذائه بما لا يحتمله مخلوق وسر هذا العفو منه صلى الله عليه وسلم بعد القطع منه أنه ناظر الى الله دون غيره ولذا قال واذا كان الخ (قوله واذا كان القطع والوصل لله) هو حاله صلى الله عليه وسلم وقوله تساوى أي عندوا على ذلك التقريب أي للاقارب والاباعد وقوله والاقصاء أي للاقارب والاباعد فلم يميز بين قريب ولا أجنبي بل من أجاب الدعوة قربه ولو كان أجنبيا ومن أبى أبعده ولو كان قريبا (قوله وسواء) مبتدأ خبره الملام والاطراء أو بالعكس وقوله فيما أتاه وقوله من سواه حالان من الملام والاطراء وسواء بفتح السين والمد بمعنى مستو وقوله عليه أي على الشخص الذي تقريبه واقصاؤه لله لا لغير وأجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله الملام أي بالسب والتنقيص وقوله والاطراء أي المبالغة في المدح أي سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما أتاه من خيره من خير وشر أي استوى عنده مدح الغير وذمه (قوله ولو أن انتقامه) أي غضبه واستيفاء مقتضاه وقوله لهوى النفس أي الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التبرع عليه بما يقهره ويذله وقوله قطيعة أي للرحم وقوله وجفاء أي ابعاد للاقارب ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله فقطعهم حيث قطعوا أمر الله أن يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل أصحابه والتمثيل بهم وغير ذلك حيث وصلوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله قام لله) أي لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم أو صديق وفي نسخة بالله أي مستعينا به وقوله فارضى الله الفاء سببية وقوله منه متعلق بأرضى أو حال من فاعله وهو تباين أي لاعداء الله وقوله ووفاء أي لاولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضا الله (قوله فعله كله جميل) أي لصدوره على قوانين الاعتدال وموازين الكمال وقوله وهل ينضح استفهام انكاري أي وما يسيل على ظاهره بما فيه وقوله الاباء حواه هذا الضمير عائد على الاناء الواقع فاعلا أي وما ينضح الاناء الا بما حواه أي الا بما فيه فمن امتلأ قلبه خيرا كانت أفعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت أفعاله كلها شرا وليس أحد منعلا بالعا الى هذه الصفات الباهرة كنبينا وهذا تلميح الى المثل السائر وهو ٭ وكل اناء بالذي فيه ينضح (قوله أطرب السامعين) أي سرهم وأفرحهم وأنشطهم الى محبته ذكر علاه لانهم يجدون لذلك راحة تفوق راحة الخمر وقوله بالراح الباء حرف استعانة ولذا فتحت اللام في المستعان وهو قوله لراح والمراد بها الخمر سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا والآخرة مادام سكرانا بها وقوله مالت أي سكرت وتواجدت به أي بذلك الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا

فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه من سواه الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فارضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء
أطرب السامعين ذكر علاه يا لراح مالت به الندماء

ومعنى وقوله الندماء أي شراب الخمر ومع واحدها لانهم يتنادمون أي يتخاطبون عليها بالاشعار التي فيها مدحها وغير ذلك وفي هذا استعارة تصريحية لانه شبه ذكر علاه في اطرابه لسامعه بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو الميل والندماء فيكون ترشيحا (قوله النبي الامي) أي هذا الموصوف بهذه المعالي الذي أطرب السامعين ذكر علاه النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كأنه على أصل ولادة أمه أو مثلها اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقوله أعلم من أسند عنه الرواة أي أعلم الانبياء والمرسلين الذين أسند أي روى عنهم الرواة والحكماء أي العلماء الذين يضعون كل شئ في محله فهو من عطف الاخص على الاعم (قوله وعدتني الخ) لما قدم كثيرا من أوصافه صلى الله عليه وسلم وأحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته ودار هجرته لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتأكدها فقال كانيا عن منة الله عليه باشارته الى أنه تعالى هيأ له أسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى كأنها تخاطبه وتقول له اركب على ظهري فاني أحملك ذهابا وايابا مع السلامة والراحة فقال وعدتني ازدياره أي النبي صلى الله عليه وسلم أي زيارته أي زيارته فهو منصوب على نزع الخافض والازديار افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء في نحو ذلك مطرد وقوله العام أي في هذا العام وقوله وجناء أي ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة وقوله ومنت أي أنعمت بوعدها أي موعودها وقوله الوجناء أي المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به أولا كناية منه عن تيقنه الزيارة في تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما تقرر علم أن أل في الوجناء للعهد الذكري (قوله أفلا أنطوي) الهمزة داخلة على مقدر وهو المعطوف عليه بالفاء أي أيليق بي أن أترك تلك الزيارة أو أتباطأ عنها فلا أنطوي أي أحسن ضم نفسي على تلك الراحلة التي منت علي بما ذكر وقوله لها أي لاجلها أي ليسهل سيرها فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه وقوله في اقتضائه في سببية أي بسبب اقتضائي أي طلبي منها ذلك الموعود به فالمصدر مضاف لفاعله وهو ياء المتكلم والهاء مفعوله وقوله لتطوي بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثاني وقوله ما بيننا أي المسافة البعيدة التي بيننا أي بيني وبين ذلك القبر المكرم فما مفعول والافلاء فاعل والافلاء جمع فلاء وفلاء جمع فلاة فالافلاء الذي في النظم جمع الجمع والفلاة المكان القفر والمفازة التي لا ماء فيها ولا يلزم على بناء الفعل المذكور للفاعل وأن الافلاء جمع اتحاد الفاعل وهو الافلاء والمفعول الذي هو المسافة البعيدة وذلك لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر في تلك المسافة المطوية من حيث كونها مفعولا الى كونها سيرا بعيدا ومن حيث كونها فاعلا الى أنها أمكنة مقفرة ولا شك أن السير غير محله هكذا قرر الشارح فصحح المغايرة بين الفاعل والمفعول لكن المعنى عليه لا يستقيم اذ حاصله أن تلك المسافة من حيث كونها أمكنة مقفرة تطوي نفسها من حيث السير الحال فيها أي تطوي السير الحال فيها ولا يخفى أن المناسب العكس بأن تجعل تلك المسافة من حيث السير الذي فيها طاوية لها من حيث انها أمكنة مقفرة فان السير هو الذي يطوي المسافة وليست هي تطويه فتأمل فالاولى بل المتعين بناؤه للمفعول وزيادة ما والمعنى عليه لتطوي الافلاء حال كونها بيننا والفاعل

(قوله النبي الامي) نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كأنه على أصل ولادة أمه وقيل نسبة لام القرى أي مكة ومع كونه لا يقرأ ولا يكتب أطلعه الله على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق في كل علم وحلم وحكمة وحسن خلق وسائر أوصاف الكمال وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيات اه صاوي

النبي الامي أعلم من أسند عنه الرواة والحكماء
وعدتني ازدياره العام وجنا ء ومنت بوعدها الوجناء
أفلا أنطوي لها في اقتضائيـ ـه لتطوي ما بيننا الافلاء

بألوف البطحاء يجفلها النيـ
ـل وقد نشف جوفها الاظماء
انكرت مصر فهى تنفر ما لا
ح بناء لعينها او خلاء
فأفضت على مبارك هابر
كتها فالبويب فالخضراء
فالقباب التى تليها فبئر النـ
ـخل والركب قائلون رواء
وغدت ايلة وحقل وقر
خلفها فالمغارة الفيحاء

(قوله فأفضت الخ) قال العلامة الصاوى أى سالت عن المواضع التى تبرك فيها بركتها هى أول منازل الحاج الخارج من مصر فللمصنف شارع فى ذكر المنازل التى بين مصر ومكة وحاصل التى ذكرها ثمانية وعشرون على عدة منازل القمر لكن منها ما هو مشهور الآن ومنها ما هو غير مشهور اه

المحذوف السير أو الراحلة المذكورة فتأمل (قوله بألوف) أى براحلة ألوف صيغة مبالغة من ألف كعلم وهذا الجار متعلق بتطوى وكان القياس الاضمار بأن يقول بها لكنه عدل الى الظاهر لأجل التوصل الى وصفها بهذا الوصف المادح لها وقوله البطحاء أى المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها والابطح والبطحاء مسيل الماء بين الجبال اذا كان فيه دقاق الحصا وهذا الوصف وما بعده من صفات الراحلة انما هو لراكبها أبرزه على لسان حالها مبالغة فى أن به من تلك الاوصاف ما لو كان براحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده من حاله وقوله يجفلها بضم أوّله وسكون ثانيه وكسر ثالثه أى يزعجها ويقلقها النيل أى أرض مصر أى تجفل عن الاقامة بها مع أنها وطنها ومرباها لشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله وقد نشف أى والحال أنه قد نشف أى شرب رطوبة جوفها أو أنحل جوفها الاظماء بكسر الهمزة أى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام (قوله انكرت مصر) أى فلاجل ألفها بالسير والبطحاء أنكرت مصر أى نفرت منها لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما أملته فى تلك الحضرة النبوية وقوله فهى تنفر أى فبسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل تنفر بكسر الفاء وضمها أى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرة العلية وقوله ما لاح ما مصدرية ظرفية أى ظهر من أرض مصر بناء لعينها وقوله أو خلاء أى فضاء ولا ينافى هذا قوله بألوف البطحاء لان المعنى أنها تألفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فكلما قطعت فضاء ومفازة نفرت منها وكرهتها خوفا أن تقيم فيها فتتعطل فيها عن وصول مطلوبها والحاصل أنها تألفها قبل قطعها لتقطعها وتكرهها بعد قطعها خوف الاقامة فيها (قوله فأفضت) بتشديد الضاد المفتوحة من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل أى فاضت وكثرت وسالت على مباركها أى المواضع التى تبرك فيها تلك الناقة وقوله بركتها بضم الباء الموحدة هى أول منزلة من منازل الحاج يجتمع فيه الحجاج ليتهيئوا للسفر سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت قبل ذلك فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى المتبولى رضى الله عنه من نحو سبعين سنة جامعا ثم جعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم وهذا شروع فى ذكر دور الحجاج ومنازلهم وذكر هنا ثمانية وعشرين وقوله فالبويب كلام مستقل غير معطوف على ما قبله وهو مبتدأ خبره محذوف أى فبعد البركة البويب والحامل على هذا أن العطف يقتضى أن العامل الذى هو أفضت مسلط على المعطوف فيقتضى أن فى البويب ماء فيفيض على مباركها مع أنه ليس كذلك لانه مكان أقفر لا ماء به وكأنه أراد بالبويب المكان المعروف الآن بالدار الحمراء لا المعروف الآن بالبويبات لان هذا قريب من البركة وليس من منازل الحج كما هو ظاهر وقوله فالخضراء هى المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مر مسهل بجانبه بركة أى فسقية تملأ من ذلك البئر ومؤنتها على بيت المال (قوله فالقباب) أى الوادى المسمى بوادى القباب وهو المعروف الآن بوادى التيه وفيه كثبان رمل كثيرة فشبهت لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسنة وقوله فبئر النخل هو المعروف الآن بنخل وفيه بركة ماء أيضا وماؤها أحسن من الذى قبلها بكثير ولذا قال والركب قائلون عند ذلك الماء أى مستريحون ونازلون وقت القيلولة وقوله رواء أى من الماء بكسر أوله جمع ريان (قوله وغدت ايلة) أى عقبتها وتلك

منزلة بل منزلتين وهما العلا ووسط العقبة وقوله وحقل بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة دوار حقل وليس هذا من المنازل لانه بجنب العقبة وقوله وقرّ بضم القاف والراء المشددة وهذا الاسم غير معروف الآن ولعله أراد به المكان المسمى بظهر الحمار وقوله خلفها أى الناقة أى لكونها جاوزتها وقوله فالمغارة الفيحاء أى الواسعة كأنه أراد بها المحل المعروف الآن بمغار شعيب نسبة لشعيب النبى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا يكون ترك منزلة وهى الشرفة وأم العظام (قوله فعيون الاقصاب) سمى المكان بذلك لكثرة ما فيه من القصب الفارسى أى البوص والغاب وقوله يتبعها النبك بفتح النون وسكون الباء وهذا أيضا ليس مشهورا الآن ولعله أراد به المكان المسمى بنبط وفى القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق وقوله وينلو كفافة فاعل والمفعول محذوف أى ويتلو النبك كفافة وهذه المنزلة معروفة الآن بسلمى وكفافة وبها قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرة مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد وقوله العوجاء أى المنحرفة عن جادة الطريق (قوله حاورتها) بالحاء المهملة من المحاورة وهى المكالمة والمحادثة أى تحدثت معها أى مع تلك الناقة الحوراء بفتح الحاء أى المكان المعروف عند الناس بالحوراء بضم الحاء أى تحدثت مع الناقة فى شأن ما هى بصدده وهو الزيارة لان من أحب شيأ أكثر من ذكره وقوله شوقا أى منها أى من الحوراء لما اشتاقت اليه الناقة وهو التملى لتلك الحضرة وقوله فينبوع أى حاورها أيضا شوقا وهو المحل المشهور الآن بينبع وقوله فرق أى فبسبب تلك المحاورة والمحادثة مع الناقة رق الينبوع والحوراء المذكوران أى مالا وحنا للزيارة ومشاهدة مقصد الناقة (قوله لاح) أى ظهر بالدهنوين أى فيهما تثنية دهناء والموجود الآن محل واحد يسمى بالدهناء فلعل التثنية لاحظ فيها أن بجنب الدهناء مكانا آخر فغلب اسمها عليه وثناهما وقوله بدر وهو المكان المشهور الذى كان فيه الوقعة المشهورة وفى ذكره تورية من جهة بلاح المناسب للمعنى الغير مراد وهو القمر وقوله لها أى لتلك الناقة وقوله بعد حنين وفى نسخة قبل حنين وحنين هذا جبل صغير قريب بدر لا حنين المذكور فى القرآن اذ ذاك مكان بين مكة والطائف ليس بطريق الحاج وقوله وحنت أى لتلك الناقة وما هى فيه من السير والتوجه لديار الاحباب الصفراء هى قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر فى الذهاب الى مكة لا يمرون عليها الا بعد رجوعهم من مكة وتوجههم للمدينة المشرفة وفى بدر آية باقية من آياته صلى الله عليه وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح به وقد أنكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هى أصوات الريح تسمع فى ذلك الوادى عند قوة هبوبها حقيقة لان فى أوّله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح يسمع ذلك الصوت وقال آخرون بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل وأقنا فيه حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح فيه البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اه وأقول وقع لى أيضا سماعه مرات متعددة فى سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة ركاب ولا مشاة ولقد كنت فى بعضها مع انفا جمع جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والشافعية والحنفية تجرى الكلام بينهم فى ذلك فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب الى المحل وارق أى

فعيون الاقصاب يتبعها النبـ
ـك وينلو كفافة العوجاء
حاورتها الحوراء شوقا فينبو
ع فرق الينبوع والحوراء
لاح بالدهنوين بدر لها بعـ
ـد حنين وحنت الصفراء

(قوله حاورتها الخ) قال العلامة الصاوى وقوله حاورتها الحوراء ترك منازل خمسة قبلها وهى الازلم واصطبل عنتر والوش وعكرة والحنك فالحوراء بعد هذه الخمسة اه

أعلى أحد الجبلين لبجاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا وأقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيأ وقد هدأ الريح ولا أحد ثم غيرنا وابس لاحد منا حركة ففي آخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا فمن المنكرين من رجع عن انكاره ومنهم من أصر عليه وجاءنا رجل فقيه ساكن ببدر يؤذن ويؤم بمسجدها فسألناه عن ذلك فحلف أنهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من أول الليل الى آخره وفي غيرهما لا يسمعونه الا أحيانا والله أعلم بحقيقة ذلك (قوله ونضت) بفتح النون والضاد المخففة أي خلعت وأزالت بزوة بفتح الباء وسكون الزاي وفتح الواو وهي المتسع من الارض ولعل هذا هو المشهور الآن عند الحجاج بالقاع وقوله والجحفة محل بعد رابغ قريب منها كان بلدة مشهورة تسكنها اليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فانتقلت اليها وخرجت من المدينة في صورة امرأة عجوز سوداء ثائرة الشعر وهي تصيح وتقول يا ويلاه فقدم بعض الصحابة من سفر فقال له صلى الله عليه وسلم ما رأيت في طريقك قال رأيت امرأة سوداء ثائرة الشعر تنادي بالويل والثبور فقال صلى الله عليه وسلم تلك الحمى نقلها الله الى الجحفة فنزلت في اليهود فقطعتهم وقوله عنها أي عن تلك الناقة لما أنها استبشرت بقرب المقصد وقوله ما حاكه مفعول نضت أي ثوب التعب الذي حاكه أي نسجه الانضاء أي الهزال أي ان تلك الاماكن الثلاثة أزالت عن تلك الناقة أثر التعب والنصب لفرحها بقرب المقصد فجبر فرحها أثر تعبها السابق وفي الكلام استعارة مصرحة حيث شبه أثر الهزال وهو استرخاء المفاصل والتعب بثوب وعبر عن ذلك الثوب بما فالاستعارة في لفظ ما الواقعة على الثوب فهذا على حد فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فالمشبه أمر معنوي والمشبه به أمر حسي (قوله وأرتها) أي أبصرت تلك الناقة الخلاص من التعب أي صيرتها وجعلتها تبصر الخلاص من التعب فالهاء مفعول أول والخلاص مفعول ثان وبئر علي وما عطف عليه فاعل أي ان هذه الاماكن الثلاثة جعلت تلك الناقة مبصرة لخلاصها من التعب لانها قريبة من المقصد جدا ولعل المراد ببئر علي البئر المشهور الآن في عسفان ببئر التفلة وقوله فعقاب السويق هذا المكان غير معروف الآن بهذا الاسم وقوله فالخلصاء بفتح الخاء وسكون اللام المحل المشهور الآن بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة كبيرة (قوله فهي) أي تلك الناقة وقوله وعسفان بضم العين المكان المشهور وقوله أي من بطن مر أي أو من علف بطن مر أو من حشيش بطن مر وهذا التقدير أنسب من تقدير الشارح الماء لانه لا يناسب قوله خمصاء وهو بفتح الميم وكسر الراء المشددة المنونة ويسمى مر الظهران مكان قريب من مكة وقوله ظمآنة أي عطشانة وقوله خمصاء أي جوعانة لشدة فرحها وشوقها فاشتغلت بهما عن الاكل والشرب حتى حصل لها الظمأ والجوع وهي لا تدري عن نفسها الاشتغالها بلذة الوصول (قوله قرب الزاهر) مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم وقوله المساجد أي المحل المعروف بمساجد عائشة بالتنعيم على طرف الحرم وقوله منها أي من الناقة أي ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين وقوله بخطاها أي بسبب شدة جريها لما أحست بالوصول وقوله والبطء منها أي الحاصل منها وقوله وحاء بمهملة قبلها واو مفتوحة أي سرعة وكان مراده أنها لما أحست بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى أن بطأها زال وحلفته سرعة شديدة (قوله

(قوله والجحفة الخ) قال الامام الصاوي والجحفة مكان بعد القاع يحرمون منه وكانت الجحفة بلدا لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها أحد حتى الطائر الا حم وهي ميقات الحجاج المتوجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر اه

ونضت بزوة فرابغ فالجحفة عنها ما حاكه الانضاء
وأرتها الخلاص بئر علي فعقاب السويق فالخلصاء
فهي من ماء بئر عسفان أو من بطن مر ظمآنة خمصاء
قرب الزاهر المساجد منها بخطاها والبطء منها وحاء
هذه عدة المنازل لا ما عد فيه السماك والعواء

هذه) أي المنازل المذكورات وهي ثمانية وعشرون في كلامه وقوله عدة المنازل أي بين مصر ومكة أي المنازل المعول عليها والنافعة لنا الان بها نعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط ببيانها القاصد وقوله لا ما عد فيه أي لا المنازل التي عد فيها السماك والعواء أي لا منازل القمر الثمانية والعشرون وقوله عد فيه الضمير راجع لما التي هي عبارة عن منازل القمر الثمانية والعشرين فتذكيره باعتبار لفظ ما وقوله السماك بكسر السين المشددة والمراد به الاعزل اذ هو الذي من منازل القمر ولهم سماك آخر يسمى سماك الرامح لكنه ليس من المنازل وقوله والعواء بفتح العين والواو المشددة وهي منزلة من منازل القمر وتلك المنزلة خمسة أنجم والمعنى أنه لا يعتد ولا يعتبر ولا يعول على هذه المنازل التي للقمر وانما المعتبر والمعول عليه هو منازل الحاج الى مكة (قوله فكأني بها) أي حال كوني بها أي على تلك الناقة فالباء بمعنى على وقوله أرحل بالبناء للمفعول أي أنتقل وأتحول من مكة الى عرفة الى مزدلفة الى منى وقوله شمسا حال من الهاء أي حال كون تلك الناقة شمسا أي كالشمس في رفعتها أي رفعة مقصدها وفي قوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فشبه الناقة بالشمس على سبيل الاستعارة التصريحية وقوله سماؤها أي سماء تلك الشمس التي أريد بها الناقة البيداء أي المفازة الواسعة فشبه البيداء التي هي محل سير الناقة بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة فقوله سماؤها البيداء من التشبيه البليغ أي البيداء بالنسبة اليها كالسماء (قوله موضع البيت) لما ذكر مكة استطرد ذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال موضع البيت أي الكعبة بالجر بدل من مكة أو بالرفع خبر مبتدا محذوف وقوله مهبط الوحي فيه الوجهان المذكوران أي محل نزوله على رسوله ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي عن ربه على لسان الملك أو بالالهام أو في النوم أو الالقاء في الروع بضم الراء أي القلب وقوله مأوى الرسل أي منزلهم من أوى فلان بالقصر الى منزله وأما آوى بالمد فهو بمعنى دخل وليس مرادا هنا وقوله الرسل بل وسائر الانبياء وقوله حيث الانوار حيث ظرف مكان والانوار مبتدأ خبره محذوف أي حيث الانوار الالهية منزلة ثم وقوله حيث البهاء أي الحسن المعنوي حاصل والمراد به حصول ملائم النفس من الحكم والمعارف على أهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية (قوله حيث فرض الطواف) أي حاصل وانما يكون فرضا اذا كان في ضمن حج أو عمرة أما بدون ذلك فهو مندوب وهو أفضل أركان الحج عند الرملي وعند ابن حجر أفضلها الوقوف وقوله السعي بالرفع عطف على فرض وكذا يقال فيما بعده ويقدر لكل ما يناسبه أي وحيث السعي أي حيث فرضه وقوله والحلق كذلك وقوله ورمي الجمار أي وحيث رمي الجمار أي ايجابه لا على جهة الركنية وقوله وحيث الاهداء أي سوق الهدي الى مكة أي حيث هو مندوب فهو سنة مؤكدة ولو لغير الحاج والمعتمر وقد كانت هذه السنة مشهورة في زمن السلف ثم تناساها الناس وأعرضوا عنها بالكلية (قوله حبذا حبذا) تأكيد لفظي وقوله معاهد جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها يعود اليها بالفعل تارة وبالعزم أخرى وقوله منها أي من مكة أي حبذا معاهد اشتملت على بقية مكة كالمسجد ودار خديجة والصفا والمروة وغير ذلك وقوله وآياتهن أي علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهن على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن وقوله البلاء بفتح الباء

فكأني بها أرحل من مكة شمسا سماؤها البيداء
موضع البيت مهبط الوحي مأوى الرسل حيث الانوار حيث البهاء
حيث فرض الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار والاهداء
حبذا حبذا معاهد منها لم يغيرن آيهن البلاء

(قوله مأوى الرسل) قال العلامة الصاوي وقوله مأوى الرسل أي منزل الرسل الكرام بل والانبياء لانه ما من نبي الا وحج البيت كما في الحديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح اه

الموحدة وهو فى الاصل اغماق الشرود ذهابه اللازم له طول المدة وهو المراد هنا أى طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء عما هى عليه وذلك لان الله صانها عن التغيير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر (قوله حرم) أى محترم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وهو خبر مبتدا محذوف أو بدل من موضع البيت بدل كل من بعض وهذا القسم اختاره السيوطى فى الاتقان وفى الهمع تبعًا له مخالفا لجمهور النحاة وحدود الحرم معروفة فى كتب المناسك وقوله آمن أى يأمن من فيه من شن الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له ولم تعد فيه دابة على دابة وهذا فى الجاهلية وأما فى الاسلام فالمراد أمن صيوده وشجره ونباته ولقطته وترابه من أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قلع أو قطع أو تملك أو نقل الا ما استثنى وقوله وبيت حرام أى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وقوله ومقام بفتح الميم وهو الحجر الذى نزل لابراهيم الخليل من الجنة ليقوم عليه أى ليقف عليه عند بنائه الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر فى محله ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل وفيه أثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة أيها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فأجابوه لبيك وفى رواية أنه نادى على الحجون ولا تنافى لاحتمال أنه نادى مرتين واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر الى موضعه اليوم باجتهاد منه قولان أصحهما الاول وأما القول بانه هو الحجر الذى وضع عليه رجليه لما اغتسل عند زوجة اسمعيل بعد موت هاجر فهو قول غريب لم يثبت وقوله فيه أى البيت أو الحرم ولا يصح عوده للمقام لانه ليس محل اقامة وقوله المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها أى الاقامة وقوله تلاء بفتح الفوقية أى جوار لمحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكأنه أخذ هذا من أن أهل مكة يسمون جيران الله أى جيران بيته وحرمه (قوله فقضينا) أى أدينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة وقوله بها أى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى وقوله مناسك جمع منسك بفتح السين من النسك وهو العبادة أى اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما وقوله لا يحمد الخ أى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميزن بان الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبكونه أشعث أغبر ويمنعه من مألوفاته الحسية والمعنوية وفراقه لاهله ووطنه وتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما أو يرفعها الا كتب الله من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع ما يرد على الناظم من أن غير الحج سواء كان أفضل منه أو مساويا له أو مفضولا عنه يحمد فاعله أيضا وعبارة ابن عبد الحق أى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالحصر اضافى (قوله ورمينا بها) أى الناقة وقوله الفجاج جمع فج بفتح الفاء وضمها وهو الطريق أى أرسلناها فى الطرق تسير بنا الى طيبة المدينة المشرفة ولها أسماء كثيرة وقوله بالمطايا جمع مطية وهى الدابة سميت بذلك لانها تمطو أى تجد فى سيرها وقوله رماء بكسر الراء مصدر رامينه والمراد أصل الفعل أى يشبه سيرها سير السهم اذا رمى به فى السرعة (قوله فأصبنا) أى فتسبب أن سيرها يشبه سير السهم أشبهت القوس وحينئذ فأصبنا عن قوسها غرض القرب أى المدينة المشرفة المشبهة بالغرض فى كونه

(قوله ولم تعد فيه دابة على دابة) عبارة الصاوى ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم أبرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شئ حتى خرج منه هذا فى الجاهلية وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد آمن صيوده وشجره ونباته وترابه عن أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قطع أو قلع أو نقل الا ما استثنى انتهت

حرم آمن وبيت حرام
ومقام فيه المقام تلاء
فقضينا بها مناسك لا يحـ
ـمد الا فى فعلهن القضاء
ورمينا بها الفجاج الى طيـ
ـبة والسير بالمطايا رماء
فأصبنا عن قوسها غرض القر
ب ونعم الخبيئة الكوماء

المقصود بالرمى كما أنها المقصودة بالسير والاضافة فى قوسها من اضافة المشبه به للمشبه وقوله ونعم الخبيئة بالخاء المعجمة والهمز أى الذخيرة والمراد بها الناقة وقوله الكوماء أى العظيمة السنام وهذا هو المخصوص بالمدح واعرابه مشهور (قوله فرأينا) أى أبصرنا أرض الحبيب المدينة وما حولها التى تشرفت بالحبيب أى حبيب رب العالمين وحبيب المؤمنين وقوله يغض بضم الغين أى يخفض وقوله الطرف مفعول به وقوله منها أى من تلك الارض ومن تعليلية أى من أجل الجلالة التى حفتها وقوله الضياء فاعل أى النور الحسى والمعنوى وقوله واللألاء أى البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق الفائضة على الزائرين (قوله فكأن البيداء) أى من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور بابيار على وقوله من حيثما من زائدة وكذلك ما وقوله قابلت العين أى الناظرة اليها وقوله غناء بفتح الغين والنون المشددة أى كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار (قوله وكأن البقاع) أى الاماكن اللاتى حول المدينة المنورة وقوله ذرت عليها أى على تلك البقاع وقوله طرفيها مفعول وهذا الضمير عائد على الفاعل وهو قوله ملاءة بضم أوله والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين وبهذا يعلم أن الثوبين الملفوفين أى المضموم أحدهما الى الآخر بخياطة ملاءتان لا ملاءة واحدة وقوله حمراء شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها ازرارها فى عراها من سائر الجوانب فالمراد بالملاءة هنا الخيمة اذ هى التى تشد وتنصب عادة (قوله وكأن الارجاء) أى نواحى المدينة وقوله تنشر أى تذيع وقوله نشر المسك أى ريحه وقوله فيها أى فى تلك الارجاء وقوله الجنوب وهى الريح التى تقابل الشمال وقوله والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس الشمال أو بردها أو الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهذه هى المرادة هنا (قوله فاذا شمت) بكسر الشين المعجمة أى أبصرت ونظرت الى سحاب البرق التى تمطر فى تلك البقاع وقوله أو شممت من الشم أى أدركت بحاسته وهى الانف وفى القاموس شممته بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم وقوله رباها جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الارض وقوله لاح أى ظهر منها أى من تلك البقاع برق وهذا راجع لشمت وقوله وفاح كباء راجع لشممت فهو لف ونشر مرتب وكباء بوزن كساء فهو بكسر الكاف وفتح الباء وهو عود البخور أو ريحه من كب بالتشديد ثوبه أى بخره (قوله أى نور) مفعول مقدم لشهدنا وهو بضم النون وقوله وأى نور بفتح النون أى زهر وقوله شهدنا أى رأينا بابصارنا وبصائرنا وقوله يوم ظرف لشهدنا وقوله القباب بكسر القاف جمع قبة أى التى هنالك وقوله قباء بضم القاف وهو المحل المشهور وفيه المسجد الذى أسس على التقوى بينه وبين المدينة ثلاثة أميال (قوله فقر منها دمعى) أى كثر وانهمل حسرة على ما مضى لى من عدم الاجتماع بتلك الحضرة وفرحا بوصولى اليه والضمير فى منها راجع للربا أو لارض الحبيب وهذا من أجل ما شهدته من تلك الربا أو من تلك الارض وقوله وفر أى ذهب اصطبارى لاستبعاد أن وصلت هذه الربا وأنخت رحلى بقباء وقوله جفاء بضم الجيم أى زبد فكما أن السيل يذهب بذلك الزبد فى أسرع وقت فكذلك دموعى تذهب بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ فى

فرأينا أرض الحبيب يغض الطـ
ـطرف منها الضياء واللألاء
فكأن البيداء من حيث ما قا
بلت العين روضة غناء
وكأن البقاع ذرت عليها
طرفيها ملاءة حمراء
وكأن الارجاء ينشر نشر الـ
ـمسك فيها الجنوب والجربياء
فاذا شمت أو شممت رباها
لاح منها برق وفاح كباء
أى نور وأى نور شهدنا
يوم أبدت لنا القباب قباء
فقر منها دمعى وفر اصطبارى
فدموعى سيل وصبرى جفاء

(قوله حول المدينة المنورة) قال العلامة الصاوى وطيبة هى المدينة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وسميت بذلك لان الله طيبها لرسوله وجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها أسماء كثيرة اهـ

الكلام لف ونشر مرتب فقوله فدموعي سيل راجع لقرب بالقاف وقوله وصبري جفاء راجع لقرب بالفاء (قوله فترى الركب) أي فبسبب ما ذكر أن ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر ترى أيها المخاطب الركب طائرين أي جادين في السير حاثين لدوابهم يستخرجون منها أقصى ما يمكنها من الاسراع وقوله من الشوق أي من أجله وقوله الى طيبة بالصرف للوزن فكيف بشوقهم الى المقصود عليه أفضل الصلاة والسلام وقوله لهم ضوضاء بفتح الضادين بينهما واو ساكنة أي أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضى مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة في المهموزة (قوله فكأن) عطف على فترى وقوله البأساء أي شدة السفر ومشقته وقوله خلقا بفتح الخاء أي جسما وقوله ولا الضراء تأكيد لما قبله وكيف يمسهم شيء من ذلك وكل نفس الخ (قوله كل نفس) أي من الزائرين وقوله منها ابتهال أي تضرع الى الله في أن يقبل عثراتها وقوله وسؤل أي توسل بأحب خلقه اليه وقوله ودعاء بمعنى سؤل فهو اطناب وقوله ورغبة أي فيما عند الله من جزيل الثواب وقوله وابتغاء أي طلب لما عنده تعالى وهذا اطناب أيضا (قوله وزفير) معطوف على ابتهال وهو تواتر النفس بفتحتين أي تتابع حركته وصعوده الى أعلى الصدر لشدة ما يعتري القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وقوله تظن أي أيها المخاطب وقوله منه من تعليلية أي من أجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت في الصدر وقوله صدورا مفعول أول وقوله صادحات مفعول ثان وهو نعت لمحذوف أي طيورا صادحات أي مصوتات وقوله زقاء بضم الزاي وبالقاف أي صوت عال والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له في صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعاودهن التصويت بشدة (قوله وبكاء يغريه) بالغين المعجمة وقوله بالعين هي الباصرة أي يحمله على ملازمته لها وقوله مد أي سيل من الدموع نشأ من حرقة القلب لفراق المحبوب وخشية قطيعته وقوله ونحيب بفتح النون وكسر الحاء المهملة وهو رفع الصوت بالبكاء وقوله يحثه أي يحضه ويزيد فيه ويحمل على دوامه وقوله استعلاء أي علو الصوت وتتابعه بالبكاء (قوله وجسوم كأنما رحضتها) أي غسلتها ولذا سمي المغتسل مرحاضا وقوله من عظيم المهابة أي الجلالة التي استولت على قلوبهم وقوله الرحضاء بضم ففتح أي العرق الكثير من أثر الحمى أي جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا يتولد عنه كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (قوله ووجوه) أي تلونت بألوان مختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه وقوله من حياء أي من أجل الحياء وهو بالمد تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقوله الحرباء هي دويبة مشهورة ذات ألوان متعددة تستقبل الشمس برأسها (قوله ودموع) أي من شدة البكاء والحزن وقوله وطفاء أي مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الخوف الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء (قوله فحططنا) أي فبعد أن وصلنا الى ذلك القبر المكرم حططنا الرحال جمع رحل يطلق على مسكن الشخص وعلى ما يستصحبه المسافر من المتاع والزاد وأوعيته والمراد هنا الثاني والمراد انقضاء السفر وانتهاؤه أي نزلنا بفناء كرمه نستمطر سحائب القبول والانعام ونستقبل نفحات التفضيل والانعام وقوله حيث أي في مكان يحط الوزر أي الاثم والثقل عنا بشفاعته وقوله ويرفع أي عنا بمنائه واسعافه وامداده وقوله الحوجاء لغة

(قوله وزفير) أي تواتر النفس
وصعوده لشدة ما يعتري
القلب من الخشية وقوله تظن
منه صدورا فصدورا مفعول
أول لتظن وصادحات صفة
لموصوف محذوف تقديره
طيورا صادحات أي مصوتات
مفعول ثان وجملة يعادهن
زقاء بالزاي والقاف أي صوت
عال صفة الطيور والحاصل أن
ذلك الزفير من شدته ظهر له في
صدورهم صوت يشبه صوت
الطيور الصادحات اللاتي
يعادهن التصويت بشدة
وعلو صوت وكل هذا من عظم
المهابة اهـ صاوي

فترى الركب طائرين من الشو
ق الى طيبة لهم ضوضاء
فكأن الزوار ما مست البأ
ساء منهم خلقا ولا الضراء
كل نفس منها ابتهال وسؤل
ودعاء ورغبة وابتغاء
وزفير تظن منه صدورا
صادحات يعادهن زقاء
وبكاء يغريه بالعين مد
ونحيب يحثه استعلاء
وجسوم كأنما رحضتها
من عظيم المهابة الرحضاء
ووجوه كأنما ألبستها
من حياء ألوانها الحرباء
ودموع كأنما أرسلتها
من جفون سحابة وطفاء
فحططنا الرحال حيث يحط الـ
ـوزر عنا وترفع الحوجاء

في الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغني عن الاستدلال بالبرهان (قوله وقرأنا السلام أكرم خلق الله) أي عليه وقد اقتدى الناظم في هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه عند قبره من ابن عمر وغيره بل قال البغوي السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه عنده وتوجه الافضلية بأنه شعار اللقاء والتحية تخص أفضليته بحال اللقاء عند كل زيارة أما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ولذلك ذكروا في آداب الزيارة أن الزائر يبدأ بالسلام وأنه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقوله من حيث أي من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذي يسمع منه الاقراء أي للسلام وما اقتضاه كلام الناظم من أن زائره اذا صلى عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وأن من صلى عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه أحاديث كثيرة وفي فتاوى الرملي ان الانبياء والشهداء والعلماء لا يبلون وان الانبياء والشهداء يأكلون في قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم أم لا فقيل نعم وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم اهـ وجزم أبو المواهب الشاذلي بان الشهداء ينكحون لكن لم ينقل نساءهم ومعنى حج الانبياء مع أنهم لا يفارقون قبورهم أن روحانيتهم تتشكل بصورهم التي كانوا عليها وتحضر تلك المعاهد وأما الذوات فلا تفارق القبور وهذا الجواب من جملة الاجوبة التي أجيب بها عما أوردوه في صلاة الانبياء خلفه ليلة الاسراء وأجيب هنالك بجواب آخر وهو أن ذواتهم بأرواحها حضرت في ذلك المكان وهذا الوقت كرامة وخصوصية له صلى الله عليه وسلم (قوله وذهلنا) أي غفلنا وغبنا عن احساسنا عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال وقوله وكم أذهل صبا أي ولا بدع ولا غرابة في هذا الذهول اذ كم أذهل صبا هو شديد الصبابة التي هي رقة الشوق وغلبة استيلائه وقوله من الحبيب أي المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شأن هذا اللقاء أنه يدهش الصب ويخرس المحب ويغيبهما عما عدا المحبوب (قوله ووجمنا) بفتح الجيم أي سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده مادمنا في تلك الحضرة فلم يبق فينا متسع له وقوله من المهابة أي من أجل المهابة أي الاجلال والمخافة وقوله حتى لا كلام الخ أي حتى اجتمع علينا أمران لا يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا المقام وهما لا كلام منا يعبر به ولا ايماء منا الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال (قوله ورجعنا) أي الى بلادنا وقوله التفاتات أي كثيرة جدا وقوله اليه أي الى نبينا صلى الله عليه وسلم يعني أنها مستحضرة للوقوف بين يديه والاستمداد منه وقوله وللجسوم جمع جسم أي أبداننا وقوله انثناء أي انعطاف الى البقاء في تلك الحضرة على الدوام ان تيسر والا فالى تكرر الزيارة (قوله وسمحنا) بفتح الميم أي جدنا وقوله بما نحب أي بالنفيس الذي لا يجود أحد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذي نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام بمن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وأيضا فانا وان كنا بخلاء بهذا الفراق فلنا أسوة بالبخلاء في ذلك ولذا قال وقد يسمح أي وقد يتفق أنه يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها (قوله يا أبا القاسم) لما تم مقصده زيارته المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به ويقسم

(قوله بل قال البغوي الخ)
عبارة العلامة الصاوي وقال
بعضهم السلام عليه عند قبره
أفضل من الصلاة عليه عنده
أي للاخبار الكثيرة فيه منها
ما من أحد سلم علي عند قبري
الا رد الله علي روحي حتى أرد
عليه السلام ومعنى قوله في
الحديث الا رد الله علي روحي
أي من حضرة الشهود الى رد
جواب المسلم انتهت

وقرأنا السلام أكرم خلق الله
من حيث يسمع الاقراء
وذهلنا عند اللقاء وكم أذ
هل صبا من الحبيب لقاء
ووجمنا من المهابة حتى
لا كلام منا ولا ايماء
ورجعنا وللقلوب التفاتا
ت اليه وللجسوم انثناء
وسمحنا بما نحب وقد يسـ
ـمح عند الضرورة البخلاء
يا أبا القاسم الذي ضمن اقسا
مي عليه مدح له وثناء

عليه بأقسام كثيرة كلها تتضمن ماهو بصدده من مدحه والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة وظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتى بعد خمسة وخمسين بيتا الامان الامان الخ فقال يا أبا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا أى سواء فى زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره هكذا قال الشارح ومعتمد الرملى أن النهى خاص بحياته صلى الله عليه وسلم وأما بعد وفاته فيجوز التكنى بها لمن اسمه محمد وغيره ومناسبة هذه الكنية له صلى الله عليه وسلم الاعلام بأنه هو الخليفة الاعظم عن الله فى جميع شؤنه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ولاجل هذا عدوا من خصائصه أنه أعطى مفاتيح الخزائن أى خزائن أجناس العالم فكل ماظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح ويكنى أيضا بابى ابراهيم وأبى الارامل وأبى المؤمنين وقوله الذى ضمن مبتدأ خبره مدح له والجملة صلة الموصول والمعنى أن المدح والثناء كائنان فى ضمن هذا الاقسام من تضمن كذا اشتمل عليه فهذا الاقسام لم يخرج عن مقصوده من المدح وقوله اقسامى بكسر الهمزة مصدر أقسم أى حلف وقوله وثناء هو بمعنى المدح فهو مرادف له أو أخص منه على القول بأن المدح أعم من الحمد من حيث انه يكون على الاختيارى وغيره والحمد ومثله الثناء لا يكونان الا على الاختيارى (قوله بالعلوم) أى أقسم عليك بها لتشفع لى بما يؤمننى من كل مكروه بان يعطينى الله الامان منه وكذا يقال فى الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال الفقهاء اذا قال لغيره أقسم أو أقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعل العلم أول ما أقسم به لان مرتبة العلم لا أعلى منها بل ولا مساوى لها وقوله التى عليك أى تنزل عليك فعليك متعلق بمحذوف وكذا قوله من الله وقوله بلا كاتب حال من العلوم وقوله لها املاء مبتدا وخبر والجملة حال أخرى من العلوم أى حال كون الموصل لها اليك املاء أى اقراء من جبريل (قوله ومسير الصبا) أى وأقسم عليك بما أوتيته أيضا من مسير الصبا وهو الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وقوله بنصرك على حذف مضاف أى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب أعدائه يعنى أن الصبا يحمل الرعب ويوصله الى كل جهة من جهات المدينة مسيرة شهر والتحديد بالشهر اشارة الى أن ما يستولى عليه فى حياته لا تزيد مسافته على شهر فلا ينافى أن ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحترازا عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لا يصل لهذه المسافة وهل هذه الخصوصية حاصلة لامته من بعده فيه احتمالان أظهرهما كما تقضى به المشاهدة أنهم رزقوا من ذلك حظا وافرا وقوله رخاء هى الريح اللينة المسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا أشهر وأعظم لان تلك سخرت لذات سليمان وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا وهى هيبته وأيضا تلك انما كانت تسير بعد أمر سليمان لها وهذه تسير بأمر ربها من غير توسط أمر من نبينا فهذا من تنبيه الاعلى بالعلى تنظير كما صليت على ابراهيم على أحد الاجوبة فيه واعلم أن أصول الرياح أربعة الصبا وهى تهب من جهة باب الكعبة وهى حارة يابسة والدبور تقابلها وهى باردة رطبة والشمال من جهة شمال الكعبة وهى باردة يابسة والجنوب تقابلها وهى حارة رطبة وأخرج ابن جرير وجماعة أن الجنوب من الجنة وفيها منافع للناس تخرج أولا

(قوله يا أبا القاسم) قال العلامة الصاوى ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم الاعلام بأنه الخليفة الاعظم عن الله فى جميع شؤنه لاسيما فى قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح انما أنا قاسم والله يعطى ولاجل هذا عدوا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه فكل ماظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح وقيل انما كنى بذلك لانه كان له ولد من خديجة يسمى القاسم اهـ

بالعلوم التى عليك من غيـــــ ــر كتاب لها املاء

ومسير الصبا بنصرك شهرا فكأن الصبا لديك رخاء

من

من الجنة ثم تمر على النار فتكتسب منها الحرارة والشمال من النار تخرج منها فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك تخروجها أولا من النار ثم تكتسب ريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج ومن شأن الثانية ملاءمة النفس وازالة أكدارها وجاء فى أثر أن الاربعة مساكنها تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش وجاء فى حديث صحيح أن مساكنها تحت الارض الثانية ولا ينافيه ما تقدم لجواز أن تكون أجنحة الكروبيين تحت الارض الثانية لما ورد أن أقدامهم تحت الارض السابعة هذا وجاء أن الارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد فاذا أراد الله أن يطلقه لمن شاء من عباده أطلقه وفى الفردوس للهروى روى عن ابن عمر أن الرياح ثمانية أربع عذاب وهى العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر والعقيم وهما بالبر وأربع رحمة وهى الذاريات والمرسلات والمبشرات والناشرات (قوله وعلى) أى وأقسم عليك أيضا بعلى أى بالمعجزة العظمى التى وقعت فى غزوة خيبر فالاقسام هنا بالمعجزة لا بنفس على وان صح الاقسام به أيضا لان الاقسام به سيأتى فى الاقسام بالصحابة حيث قال وعلى صنو النبى الخ وقوله لما تفلت بعينيه أى حين فتحت بعض حصون خيبر وبقى أعظمها فتعسر فتحه بأبى بكر وعمر وغيرهما فقلت لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبحت سألت عن على فأخبرت أن به رمدا وكان قد أصابه فى المدينة وتخلف عن الخروج بسببه ثم ندم على التخلف فخرج فلحق القوم فى أثناء الطريق وقيل بعد وصولهم الى خيبر فجىء لك به وهم يقودونه فوضعت رأسه فى حجرك وبصقت فى كفك ودعكت بها عينيه ثم قلت له خذ هذه الراية وامض حتى يفتح الله عليك فبرئتا لما خالطهما ريقك الذى هو الشفاء الاكبر فغدا ناظرا الخ (قوله فغدا ناظرا) أى فصار ناظرا الخ أى فذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور ومن أمثال العرب أبصر من عقاب وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده فأخذ بابا تترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب أن ثمانية أرادوا أن يقلبوه فلم يستطيعوا وجعل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه وبعد ذلك لم يحمله الا أربعون رجلا وقوله فى غزاة بفتح الغين لغة فى غزوة وهى اسم للجيش الذى يخرج معه صلى الله عليه وسلم بنفسه وهى غزوة خيبر مدينة كبيرة ذات حصون أى قلاع ثلاثة عشر وذات مزارع كثيرة على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع فى غرتها وقوله لها العقاب لواء المراد باللواء الراية وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب السواد وكانت من برد أو مرط لعائشة والعقاب بضم العين طائر جمعه أعقب وعقبان وكنيته أبو الحجاج وهو يذكر ويؤنث وهو سيد الطيور والنسر عريفها وهو حاد البصر ومنه ما يأوى فى الجبال وما يأوى فى الصحارى وحول المدن وأنثاه تبيض ثلاث بيضات فى الغالب وتحضنها ثلاثين يوما وما عداه من الجوارح يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما (قوله وريحانتين) أى وأقسم عليك أيضا بريحانتين تثنية ريحانة وهى فى اللغة تطلق على الولد لان القلب يتروح به كما تطلق على الريحان المشموم فالمراد بهما هنا السيد الحسن والسيد الحسين وفى هذه التسمية اقتباس من قوله صلى الله

(قوله وعلى لما تفلت الخ) والحاصل أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد التوجه لفتح خيبر قال أين على فقيل به رمد فدعى به فجاء والانسان يقوده من شدة وجع عينيه فتفل صلى الله عليه وسلم بهما فبرئتا فى الحال فصارتا لا رمدان أبدا فأعطاه الراية فكان فتح خيبر على يده اهـ صاوى

وعلى لما تفلت بعينيــــ ــه وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعينى عقاب فى غزاة لها العقاب لواء

وريحانتين طيبهما منـــ ــك الذى أودعتهما الزهراء

كنت تؤويهما البك كما آ
وت من الخط نقطتيها الباء

(قوله كنت تؤويهما البك)
أي كنت يا رسول الله تضمهما
اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك
عليهما ومن ثم صح أنه صلى
الله عليه وسلم قال نظرت
الى هذين الصبيين يمشيان
ويعثران فلم أصبر حتى قطعت
حديثي ورفعتهما وأخرج
الترمذي والطبراني هذان
ابناي وابنا ابنتي اللهم اني
أحبهما فأحبهما وأحب من
يحبهما اه صاوي

عليه وسلم ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا وقوله طيبهما أي الحسي والمعنوي حاصل مثل
لانهما يضيعان مسك مع ما اختصهما به من المزايا والخصوصيات وقوله الذي نعت
للريحانتين بتأويلهما بالمذكور أو على لغة من يجيز استعمال الذي بين المفرد والجمع والمثنى على
حد وخضتم كالذي خاضوا وقوله أودعتهما بالبناء للمفعول والفاعل هو النبي صلى الله عليه
وسلم والزهراء نائب الفاعل والجملة صلة الموصول وأشار بقوله أودعتهما الى ما هو من
خصائصه وهو أن أولاد بناته ينسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة أنه جعل
فاطمة مستودعة فهو الذي أودعها تلك الذخيرة لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء
لانها لم تحض وسميت فاطمة لان الله فطمها ومحبيها عن النار وأخرج الطبراني ان الله جعل
ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب توفي كرم الله وجهه عن ثلاث
وستين سنة ضربه ابن ملجم بفتح الجيم وكسرها في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة
أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح ومات ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه أخفي خوفا
من أن ينبشه الخوارج وفي رواية أنهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند
الجمل الذي حمله فلم يدر أين ذهب فلذا قال أهل العراق انه في السحاب وعن سيدي علي وفا
أن علي بن أبي طالب رفع الى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى قال الشعراوي قلت
وبذلك قال سيدي علي الخواص سمعته يقول ان نوحا عليه السلام أبقى من السفينة لوحا
على اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا من الغرق حتى
رفع عليه (قوله كنت تؤويهما) أي تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما وجاء من
طرق ابناي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وفي هذا حجة لما
عليه أهل السنة ان الائمة الاربعة أفضل من أهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة
لا يعادله عمل وبهذا يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما أي من حيث
تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر أفضل منهما علما وعملا ومعرفة وقوله صلى الله عليه
وسلم سيدا شباب أهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين بل بعد مجاوزة الاربعين ولان
الجنة ليس فيها شباب لان الوارد أن جميع الناس من أهل الجنة يكونون على خلقة أبناء
ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة وأعدل الاسنان وحينئذ فليس في الجنة شباب ولا شيوخ
ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف من مات
كهلا أو شيخا فانه قد يسودهما كالخلفاء الاربعة فالحاصل أنهما ساداشباب الناس على
الاطلاق وغير الشباب فيه تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط وما تقدم من أن الناس في الجنة
يكونون في سن ثلاث وثلاثين سنة مشكل اذ مقتضاه أن من مات صغيرا يدخل ابن ثلاث
وثلاثين وأن الشيخ الذي عمره مائة سنة يدخلها وهو ابن ثلاث وثلاثين ويجاب بان المراد أن
أهل الجنة كلهم مستوون في الطول والصفة ومستوون في القوة التي هي قوة أبناء ثلاث
وثلاثين فالشيخ والصغير والشاب كلهم مستوون في هذه الصفة وهي القوة وبهذا يجاب
عن كثير مما يستشكل به في هذا المقام وقوله كما آوت بالمد يتعين للوزن وان كان القصر
جائزا وقوله من الخط حال من الفاعل وهو الباء أي كنت تؤويهما ايواء كايواء الباء لنقطتيها
حال كونها من جملة حروف الخط وكأنه أخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن
كان صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الآخر

من شهيدين ليس ينسيني الطف
ف مصابيهما ولا كربلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرؤ
س وقد خان عهدك الرؤساء

(قوله فدفن بالبقيع الخ)
عبارة العلامة الصاوي ودفن
في البقيع مع عمه العباس في قبة
عظيمة رضي الله عنهما وحج
أنه حج خمسا وعشرين حجة
ماشيا والجنائب تقاد بين
يديه وخرج عن ماله مرتين
وقاسم الله تعالى ماله ثلاث
مرات وكرمه باهر ولم يسمع
عنه كلمة فحش قط الا قوله مرة
عند مخاصمة ليس له عندنا
الا ما أرغم أنفه انتهى

ويضمنا ثم يقول اللهم ارحمهما فاني أرحمهما ووجه التخصيص بالباء أنها خاتمة الحروف كما أنه
خاتم الانبياء ولا نظر الى أن الالف أفضل الحروف لانها مادة كل حرف فهي الاخرى
الحقيقة كما أنها الاول كذلك وهذا شأن نبينا فانه أولهم خلقا وآخرهم وجودا وختمانه بعمره
الكريم مندرج ومثبت في جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن هو في عموده نسبه وبالقوة
أخرى بالنسبة لمن ليس في عموده (قوله من شهيدين) بيان للريحانتين أما شهادة الحسن
وكانت ولادته بالمدينة في نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة فسببها أن يزيد بن معاوية
أرسل الى زوجته جعدة الكندية أنها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت
فمرض أربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها فأبى وفي سنة موته أقوال والاكثرون على
أنها سنة خمسين وقد وصى أخاه الحسين وقال له اني كنت طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا
فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان لانه كان واليا
بالمدينة فدفن بالبقيع الى جنب أمه رضي الله عنهما وأما شهادة الحسين وكانت ولادته
لخمس خلون من شعبان سنة أربع وجاء من طرق أن جبريل جاء الى رسول الله فأخبره أن
الحسين مقتول وأراه من تربة الارض التي يقتل فيها فأعطاه لام سلمة وأخبرها أنه يوم قتله
يتحول دما فكان كذلك وشم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء
فسببها أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين
ففر الى مكة خوفا على نفسه فأرسل اليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه ويزيل ما هم فيه من
الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وأمره أن لا يذهب
بأهله ان ذهب فأبى وقدم امامه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فبايعه من أهل الكوفة اثنا
عشر ألفا فأرسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقيه أوائل خيل ابن زياد
فعدل الى كربلاء فجمع اليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا اليه قاتلوه فحارب ذلك
العدد الكثير ومعه من أهله نيف وثمانون وقتل من أهله خمسون فثبت في ذلك الموقف
ثباتا باهرا حتى قتلت أصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا
عليه حتى أثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب أربعا وثلاثين ضربة
وغلب عليه العطش فحالوا بينه وبين الماء فسقط الى الارض فحزوا رأسه يوم الجمعة عاشر
المحرم عام احدى وستين وقيل ان يزيد أرسل الرأس ومن بقي من أهل الحسين الى المدينة
فكفن الرأس ودفن عند قبر أمه في قبة الحسن وقيل أعيد الى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما
من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ثم انتقل الرأس في دولة الفاطمية
الى مصر وجعل له مدفن عظيم بقرب الجامع الازهر وقوله ليس ينسيني الطف وهو أرض
بالعراق تسمى كربلاء وقيل انه غيرها قريب منها وقبره هنالك معروف يزار ويتبرك به وقوله
مصابيهما أي مجموعهما أي مصاب الحسين لانه هو الذي قتل بالطف وأما الحسن فقبره
بالمدينة وقوله ولا كربلاء أي كل منهما يذكرني المصاب حتى اني أتصور في كل أرض أنها هي
وظاهر النظم مغايرة الطف لكربلاء (قوله ما رعى) أي لاحظ فيهما ذمامك بالمد أي حرمتك
أيها النبي الكريم مع أنه يجب على كل أحد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام
بجميع ما لهما من العهود والحقوق والحرمة كيفية أولادك وقوله مرؤس أي تابع كجعدة

الكندية فى الحسن وابن زياد ومن كان معه فى الحسين وقوله وقد خان الواو للحال وقوله الرؤساء أى المتبعون الظلمة المتمردون كيزيد فيهما التسبيه فى قتلهما لكنهما فازا بالشهادة العظمى وهو بلغ الغاية القصوى فى الخسران والوبال حتى ذهب ابن حنبل وطائفة الى أنه مات كافرا وأنه يجوز لعنه وان كان الجمهور على خلافه وهو أنه مات مسلما بلغ من الفسق والتهور والتجرئ على المحارم مالم يبلغه غيره أصلا (قوله أبدلوا) أى هؤلاء المذكورون من المرؤسين والرؤساء وقوله الود بتثليث الواو أى المودة التى أوجبها الله عليهم وعلى كل مسلم فى قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الآية فأبدلوها ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق أمكن حتى ان أباطاهر القرمطى بكسر القاف الحبشى قدم مكة يوم التروية بجيوش كثيرة سنة عشر وثلثمائة فنهب دورها وأموال الحجاج وقتلهم فى المسجد وفى البيت وسباهم حتى بيعت الشريفة فى عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباهم من أهل البيت وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على أصحابه وطرح طائفة من القتلى فى بئر زمزم ودفن البقية فى المسجد بلا غسل ولا صلاة واقتلع الحجر الاسود وأخذه فكان عنده ووضعه فى مسجد الكوفة ثم من الله برده فاشتراه بعض الملوك بثلاثين ألف دينار ووضعه فى مكانه وقوله والحفيظة أى وأبدلوا الحفيظة أى الحفظ والحمية وقوله فى القربى أى فى نصر القربى ومحبتهم أى قرابة النبى وهم أهل البيت النبوى يعنى تركوا هذين وأخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم وقد اختلف المفسرون فى القربى فى الآية والذى جاء عن الحسن أنهم أهل البيت وقوله وأبدت أى أظهرت ضبابها جمع ضب والمراد بها هنا اليرابيع لان النافقاء لاتكون الا لها والضمير عائد على الفاعل وهو النافقاء وهى احدى جحرتى اليربوع يخفيها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهى موضع من جحر يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانشق وخرج هاربا منه وفى النظم تشبيه الماكرين بالحسنين حتى فعلوا معهما مافعلوا باليربوع فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية (قوله وقست) أى غلظت منهم أى من هؤلاء الفجرة المذكورين وهو حال من قوله قلوب فوصل اليهما ثم الى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن تلك القلوب قط لان الله تعالى أراد بها الشقاء والعذاب الاليم وقوله على من أى على أولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا والآخرة وقوله بكت الارض الخ هذا مأخوذ من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض أى لكفرهم لانه روى أن المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا وورد أيضا أن مامن عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن على أن المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء واذا كان هذا فى مطلق المؤمن فما بالك بآل البيت النبوى (قوله فابكهم) أيها المخاطب ما استطعت أى مدة دوام استطاعتك تأسيا بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل فقد ثبت أن كلا منهما بكى على فقد الحسين قبل موته لما أطلع الله نبيه على أنه يقتل بكربلاء وثبت أيضا أنه صلى الله عليه وسلم بكى على الحسين بعد موته فقد روى الترمذى عن أم سلمة أنها رأت فى المنام النبى باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس فى النوم وهو أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم فالتقطه فسأله فقال له دم الحسين

(قوله ودفن البقية فى المسجد الخ) ووقع لهشام بن عبد الملك أنه قتل زيدا صاحب المذهب المشهور ابن على بن الحسين رضى الله عنه وصلبه وفعل به أقبح ما يكون كما هو مبسوط فى السير اه صاوى

أبدلوا الود والحفيظة فى القر
بى وأبدت ضبابها النافقاء
وقست منهم قلوب على من
بكت الارض فقدهم والسماء
فابكهم ما استطعت ان قليلا
فى عظيم من المصاب البكاء

وأصحابه ولم أزل أتبعه فان قلت أمر الناظم بالبكاء ينافى ماجاء فى الحديث واذا وجبت فلا تبكين باكية قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به فى النظم حقيقة بل لازمه من التأسف والحزن على ماحصل للدين وأهله من استباحة حرم الله وأهل بيت رسول الله فحق لكل أحد أن يحزن على ذلك ويتأسف عليه ويأمر به غيره وقوله ان قليلا أى ان جزاء قليلا أى ان الجزاء القليل وقوله فى عظيم أى فى مقابلة عظيم من المصاب أى فى مقابلة المصاب العظيم لاسيما مصاب الامة بالحسنين وأهل بيتهما وقوله البكاء أى وان كثر وهو رفع الصوت مع الدمع وأما البكى بالقصر فهو الدمع فقط والمعنى أن البكاء وان كثر جزاء قليل على هذه المصيبة وانما الجزاء الكثير قتل قاتليهم وادامة نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على أعدائهم وغير ذلك (قوله كل يوم وكل أرض) مبتدأ خبره كربلا وعاشوراء على سبيل اللف والنشر المشوش وقوله لكربى أى لاجل ماحصل لى من الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس بحيث يخشى تلفها وقوله منهم أى من أجلهم أى بسبب ماحصل لهذين الامامين وأهل بيتهما من القتل والاسر وغير ذلك والمعنى ازداد بى الكرب حتى ان كل أرض حللت بها تصورت أنها الارض التى قتل فيها الحسين وكل يوم أصبح على تصورت أنه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى قد عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من أرض الى أخرى ولا من زمن الى آخر (قوله آل بيت النبى) آل أصله أهل أى يا أهل بيت النبى والمراد بهم أهل بيت مسكنه وهن أمهات المؤمنين وأهل بيت نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وهذا هو المراد فى الآية أيضا وقوله ان فؤادى أى قلبى ليس يسليه عنكم التأساء بفوقيه أوله أى مايحصل له من الشدائد والمحن أى بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لاتزلزلها محنة ولا ينقصها شدة وقد أشار الى أن ماعنده من الوفاء بحقهما والتحسر والتحزن لمصابهما مع كونه ملازما له لايفارقه بسلو ولا تسل انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال غير انى الخ (قوله غير أنى) أى الا أنى وهذا استثناء منقطع وقوله فوضت أمرى أى فى ذلك كله الى الله الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وقوله وتفويضى الامور أى الى من هو مقدرها ومدبرها ومريدها وقوله براء أى تبرؤ من الاعتماد على شئ من الحول والقوة وذلك متعين على كل مسلم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة (قوله رب يوم) رب للتقليل وقوله مسىء أى باعتبار ماوقع فيه من قتل الحسين ومن معه وقوله بعض وزره المراد بوزره ماحصل فيه من الكرب لاهل البيت الذى عظم على النفوس الايمانية حتى كاد يهلكها وقوله الزوراء هى ناحية ببغداد والمراد ماوقع فيها من خلفائها بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت حيث أخذوا ببعض ثار بنى عمهم الحسين وغيره فجردوا على بنى أمية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة وخصوصا السفاح منهم الذى أخرج بنى أمية من القبور وحرقهم وذراهم فى الهواء وهو أول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيعة بنى أمية أمر بهشام بن عبد الملك ونبشوا قبره فوجد بجثته لانه كان على ... بقبر فأخرجوه من قبره وجلدوه حتى تأثر لحمه وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقا وهو ولد ولد الحسين وهو زيد صاحب المذهب المشهور فان بنى أمية حرقوه وقتلوه وهو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب (قوله والاعادى) أى الذين هم أولئك الفسقة

كل يوم وكل أرض لكربى
منهم كربلا وعاشوراء
آل بيت النبى ان فؤادى
ليس يسليه عنكم التأساء
غير أنى فوضت أمرى الى الله
وتفويضى الامور براء
رب يوم بكربلاء مسىء
خففت بعض وزره الزوراء
والاعادى كأن كل طريح
منهم الزق حل عنه الوكاء

(قوله آل بيت النبى) أى يا آل وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وهم المذكورون فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأكثر المفسرين أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان عكرمة ينادى بها فى الاسواق ورد بتذكير ضمير عنكم ومابعده وقيل جميع نزلت فيهما اه صاوى

القصرة وقوله طريح أي مطروح منهم الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة وقوله الزق أي المنفتح الملقى بالارض وقوله الوكاء وهو ما يشد به رأس الزق وما زالوا يتبعونهم حتى قطعوا ادبارهم عن آخرهم فشبه هؤلاء القتلى حيث قطعت رؤسهم وسال دمهم بالاوعية التي كانت موكوءة فحلت أوكيتها فخرج ما فيها من المائعات (قوله آل بيت النبي) أي يا آل وقوله طبتم أي أصولا ونفوسا وأفعالا وأقوالا وصفات وظاهر النظم أن المراد بالطيب في قوله سابقا وريحانتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل أنه في الموضعين واحد وهو الطيب ظاهرا وباطنا وأنه ثم لهما وهنا لمن جاء بعدهما من نسلهما وهذا أولى غاية الامر أن ذاك في خصوصهما وهذا في عموم أهل البيت وقوله وطاب الرثاء أي فيكم وهو تعداد محاسن موتاكم (قوله أنا حسان مدحكم) أي أنا المتشبه في الاعتناء بمدحكم على أقصى ما يمكن بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب له منبرا في مسجده ينافح أي يخاصم ويفاحم عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله وهو يدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس أي بجبريل يلهمه ويلقي في قلبه المعاني الجميلة وقوله فاذا نحت أي رفعت صوتي بالبكاء فاني الخنساء بنت عمرو بن قيس عيلان قدمت على رسول الله مع قومها بني سليم الموالين له ولم تكن أسلمت اذ ذاك وانما اسلمت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فهي غير صحابية ولما قدمت على رسول الله نظرت عائشة عليها ثوب الحزن فسألتها عنه فذكرت لها سببه وهو أن زوجها افتقر فسألت أخاها صخرا فقاسمها في ماله فاحتاجت فسألته فقاسمها مرة أخرى وهكذا أربع مرات فعاتبته زوجته فأجابها بأنها كفته عارها وبأنه لو هلك مزقت عليه خمارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب والمعنى فاني مشبهها في نوحها على أخيها ورثاها له بالمعاني البديعة والمباني البليغة ومحاسن الثناء وجوامع الرثاء وقد حضرت حرب القادسية مع بنيها وكانوا أربعة رجال تحرضهم على الثبات بأبلغ تحريض فقاتلوا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها أرزاقهم لكل واحد مائتان حتى قبض رضي الله عنه (قوله سدتم الناس) أي أيها الحسنان وذريتكما والمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء وقوله بالتقى أي زيادة على السيادة بالنسب لكن فضيلة النسب مختصة بهم وأما فضيلة التقى فليست مختصة فليس في ذكرها كبير مدح الا أن يقال انه جاء عن كثير منهم من الزهد والتقوى والعبادة والعلم ما لم يجئ عن غيرهم فقد تميزوا عن أكثر الناس بكثرة التقى فيهم أكثر من غيرهم والمعنى كما سدتم الناس في النسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم ولذا قال بعض العارفين القطب لا يكون الا منهم وقوله وسواكم أي وغيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم في الدين أصلا بل ولا في الدنيا عند الكمل من الناس وانما سودته أي السوى الجهلاء مثله وافراد الضمير نظرا للفظ السوى وقوله البيضاء أي الفضة وقوله الصفراء أي الذهب وتخصيص هذين لشدة التطلع اليهما أكثر من غيرهما (قوله وبأصحابك) أي وأقسم عليك بأصحابك وقوله الهداة أي الدالون للامة على الله ببيان ما يجب لهم ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد لله وغير ذلك وقوله والاوصياء أي الذين وصيتهم بأمور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة (قوله

آل بيت النبي طبتم فطاب الـ
مدح لي فيكم وطاب الرثاء
أنا حسان مدحكم فاذا نحـ
ت عليكم فانني الخنساء
سدتم الناس بالتقى وسواكم
سودته البيضاء والصفراء
وبأصحابك الذين هم بعـ
دك فينا الهداة والاوصياء

(قوله فاني الخنساء) قال العلامة الصاوي وقوله فاذا نحت عليكم أي رفعت صوتي بالبكاء عليكم فاني مشبه نفسي بالخنساء بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل العرب منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم فنظرت عائشة اليها فوجدت عليها ثوب الحزن فأخبرتها بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها لم تعلم بالنهي اهـ

أحسنوا

أحسنوا بعدك) أي بعد وفاتك الخلافة عنك في الدين بالقيام بجميع ما يجب أو يحسن مراعاته في الامور الظاهرة والباطنة فقد أجمعوا على استخلاف أبي بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف عثمان ثم على استخلاف علي ثم على استخلاف ابنه الحسن ثم نزول الحسن لمعاوية الى أن تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم الى يوم القيامة وقوله وكل أي كل منهم وقوله لما تولى أي تولاه أي في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة والامارة والقضاء وتجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك وقوله ازاء بكسر الهمزة وبالزاي ككتاب أي قائم بما تولاه أهل له في أي بقعة أو زمن كان (قوله اغنياء) معطوف بعاطف مقدر على قوله الهداة وكذا يقال فيما بعده وقوله نزاهة منصوب على التمييز أي من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض أي المال وانما الغنى غنى النفس أي بالله عما سواه سواء كان بيده مال أم لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه في مصارفه الشرعية وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون ألف دينار لا ينافي ما تقرر أنه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه أن يخرج جميع ما في يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب في كل حال أو زمن وقوله فقراء أي غالبهم بل كلهم لان ذوي الغنى منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعدون اغنياء الا باعتبار الصورة ومما تقرر في معنى غناهم وفقرهم يعلم أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر لان الغنى هو الذي ختم به أمره صلى الله عليه وسلم وهو كان دائم الترقي في الكمالات فلولا الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر ما ختم له به وقوله علماء أي لانهم ورثوا من علومه ما تميزوا به عن جميع من جاء بعدهم وقوله أئمة أي قدوة من حيث ان كلا منهم فيه قوة الاجتهاد المطلق فهو قدوة يقتدى به في الخير وقوله أمراء أي كثير منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله وفي زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقها وعدلوا فيها ومما يدل على أنهم أغنياء نزاهة لا غيرا أنهم زهدوا في الدنيا الخ (قوله زهدوا في الدنيا) بضم الدال وحكي كسرها من الدنو أي القرب لقربها من الزوال جدا وهي الاموال وتوابعها من نحو الجاه والفخر والكبر والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين والزهد الاقتصار على قدر الحاجة من الحلال وكان الصحابة فيها على قسمين فأكثرهم كأهل الصفة ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف وبالعبادات وكثير منهم حصلها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وقوله فما عرف الميل أي الالتفات لحقارتها في أعينهم وقوله ولا الرغباء أي الزيادة في تحصيلها وهذا عرف من نفي الميل بالاولى فذكره اطناب ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح لان المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات وجهة شر بصرفه في ضدها وبالنظر الى هذه الجهة يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم من أحبني فأقلل ماله وأمت ولده الحديث (قوله أرخصوا) أي أذلوا وأهانوا من الرخص ضد الغلاء وقوله في الوغى أي بسببه ففي سببية وتقدم أن الوغى معناه في الاصل الجلبة والاصوات في الحرب والمراد به هنا نفس الحرب وقوله نفوس ملوك أي فكيف بغير الملوك وقوله حاربوها أي بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية وقوله أسلابها أي تلك الملوك بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وسلاحه

أحسنوا بعدك الخلافة في الديـ
ن وكل لما تولى ازاء
اغنياء نزاهة فقراء
علماء أئمة امراء
زهدوا في الدنيا فما عرف الميـ
ل اليها منهم ولا الرغباء
ارخصوا في الوغى نفوس ملوك
حاربوها أسلابها اغلاء

(قوله زهدوا الخ) قال العلامة الصاوي والزهد أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه وهم على قسمين فأكثرهم ترك تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيء الا وشغله وكثير منهم حصلوها ولم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم فلذلك ما عرف الميل اليها منهم ولا الرغباء أي لم يلتفت أحد منهم بقلبه نوع التفات ولا كل التفات الى الدنيا لحقارتها في أعينهم اهـ

كلهم في أحكامه ذو اجتهاد
وصواب وكلهم أكفاء
رضي الله عنهم ورضوا عنه
فأنى يخطو اليهم خطاء
جاء قوم من بعد قوم بحق
وعلى المنهج الحنيفي جاؤا
ما لموسى ولا لعيسى حوار
يون في فضلهم ولا نقباء

(قوله جاء قوم) قال العلامة الصاوي وقوله جاء قوم من بعد قوم بحق أي جاءني قوم من الصحابة من بعد قوم أي السابقون الأولون ثم الذين بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكأن الناظم أشار بهذا الى ما في صحيح البخاري عن هرقل أنه سأل أبا سفيان رضي الله عنه عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيزيدون أم ينقصون فقال بل يزيدون فعلم أن مجيء الصحابة قوم من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم اه

وقوله اغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر اغلا السعر لكن بمعنى اسم الفاعل أي غالية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكأنه جمع غال كذا وأدواء (قوله كلهم) أي كل منهم في أحكامه الضمير لكل جمع حكم والمراد بها هنا النسب التامة بين المحمول والموضوع وقوله ذو اجتهاد الافراد في ذو باعتبار لفظ كل وانما كانوا ذوي اجتهاد لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم ولذلك لم يعرف أن احدا منهم قلد غيره في مسئلة وقوله وصواب أي وذو صواب يعني وذو ثواب ولو عبر به لكان أولى لان ابقاءه على حقيقته انما يتأتى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب أما على الاصح ان المصيب واحد فلا يقال كل ذو صواب بل ذو ثواب المخطئ منهم والمصيب وقوله وكلهم أكفاء أي متكافؤن في أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك وأجمعوا على أن أفضل الناس بعد الانبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه) رضا الله عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله دار كرامته ورضا العبد عن الله أن لا يختلج في قلبه حزازة من وقوع قضاء من أقضيته الحق به من المحن بل يجد لذلك برد اليقين و يشهد فيه المصلحة العظمى قال السنوسي في شرح الوسطى رضا الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام و يتعين الاول في مقام الدعاء لان الدعاء انما يكون بمستقبل غير حاصل في الحال وارادة الله ازلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء وفي الغنيمي عليه ولك أن تقول ولو على بعد بجواز ارادة الثاني نظرا التعلق الارادة الحادث وذلك لا يستحيل تجدده وقوله فأنى يخطو أي فبسبب ما ذكر من أوصافهم أنى استفهام انكاري تعجبي وقوله يخطو اليه أي يصل اليه اذ الخطوة ما بين القدمين وقوله خطاء بفتح الخاء ومده كما هنا لغة وهو نقيض الصواب يعني لا يخطئ واحد منهم خطأ يأثم به لما مر أنهم كلهم مجتهدون وأن المجتهد اذا أخطأ له أجر (قوله جاء قوم) أي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة من بعد قوم وهكذا الى وفاته وكأن الناظم أشار بهذا لما في البخاري في قصة هرقل أنه سأل أبا سفيان عن أصحاب محمد أيزيدون أو ينقصون فقال بل يزيدون فبين له هرقل أن من شأن الرسل أن أصحابهم كذلك فعلم أن مجيء الصحابة قوما بعد قوم من علامات نبوته واندفع ما قد يقال أي فائدة في هذه الجملة وقوله بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما تقوله الرافضة وغيرهم في حق بعضهم لخطأ صراح ظهوره أغنى عن التعرض لرده وقوله وعلى المنهج أي الطريق الواضح وقوله الحنيفي أي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج وقوله جاؤا أي كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك (قوله ما لموسى) كليم الله ولا لعيسى روح الله وقوله حواريون جمع حواري وهو الناصر وصار ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب أي يقصرونها أو من الحواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وهو الدقيق الابيض لبياض ألوانهم وقوله في فضلهم أي بشهادة نص الآية كنتم خير أمة وقوله ولا نقباء أي في فضلهم أيضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى وفي البيضاوي الحواري من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحور العين لخلوص ألوانهم سمي بذلك أصحاب عيسى لخلوص نياتهم وصفاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض فاستنصرهم عيسى من اليهود وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (قوله

بأبي بكر الذي صح للنا
س به في حياته الاقتداء
والمهدي يوم السقيفة لما
أرجف الناس انه الداء

(قوله فقالت عائشة الخ) وفي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا أبا بكر وفي رواية أخرى أنه في فجر الاثنين يوم موته كشف سجف حجرته فرآهم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا أنه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا به فأشار اليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي ضحى ذلك اليوم وفي البيت التلميح لهذه القصة اه صاوي

بأبي بكر) لما أقسم بالصحابة كلهم اجمالا خص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية بالخلافة فقال وأقسم عليك بأبي بكر وهو عطف على بالعلوم بحذف حرفه و يصح أنه وما بعده أبدال مفصلة من بأصحابك وقوله الذي صح الخ أي الذي تميز عن سائر الصحابة بما كان كالصريح في أنه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما من الدين بالضرورة وقوله للناس به في حياتك كل من الظروف الثلاثة متعلق بالاقتداء الذي هو فاعل صح فمن تلك الطرق ما أخرجه الشيخان انه لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله انه رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله وفي رواية انه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال رسول الله بعد أن أخرج رأسه من حجرته لا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وفي البيت التلويح لهذه القصة قال العلماء وفيها أوضح دليل على أنه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله أي أعلمهم بالقرآن صريح في أنه أعلمهم مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة حتى قال علي قد أمره رسول الله أن يصلي بالناس وأنا شاهد وما بي مرض فرضيه لدنيانا ما رضيه النبي لديننا وما أحسن قول من قال صلى أبو بكر بالناس تمام سبعة أيام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله وسكت المسلمون ومعنى سكوت الله أنه لم ينزل وحيا بنهيه عن الامامة (قوله والمهدي) أي المسكن للفتنة والاضطراب في أمر الخلافة يوم السقيفة التي لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه وقوله لما أرجف الناس أي حين أرجفوا بالبناء للمفعول أي اضطربوا في أمر الخلافة وقوله انه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها للاستئناف قد تفيد التعليل أيضا كما صرحوا به في ان الحمد والنعمة لك في التلبية وقوله الداء أي المسكن للاضطراب المشهور بذلك قديما وحديثا وفي الصحيحين عن عمر أنهم لما دفنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف علي والزبير ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت الانصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون عند أبي بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فوقع اضطراب كثير ثم خطب أبو بكر وأثنى على الانصار ثم بين لهم أن الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال رضيت لكم اما عمر واما أبا عبيدة وأخذ بيديهما وقال بايعوا من شئتم منهما فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار ولما بايعوه وجاؤا الى المسجد صعد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم أثنى على أبي بكر ثم قال قوموا فبايعوه بيعة عامة فبايعه الناس فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني أي عدلوني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله فبايعه ثم لم ير عليا فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه واستدل

كل منهما حينئذ على أحقيته بالخلافة بأنه صاحب الغار وبتقديمه للامامة فصار هو الخليفة حقا باجماعهم وصار عمر بالنسبة اليه كالوزير يراجعه فى المهمات (قوله أنقذ الدين) بالقاف ثم الذال المعجمة أى نجاه بازالة كل شبهة عنه ونجى أهله بازالة أسباب الفساد بينهم وقوله بعدما كان ما مصدرية وكان تامة أى وجد وقوله للدين متعلق بفاعلها وهو اشفاء وعلى كل كربة متعلق به أيضا والكربة الغم الذى يأخذ النفس والاشفاء الاشراف أى بعدما كان اشراف للدين وقرب يخشى منه أن لا يجتمع فى الاسلام بعده شمل أبدا ومن ثم قال أبو هريرة لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد أبدا وذلك لانهم عند موته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم من الغم والحزن حتى أنكر بعضهم موته فقال أبو بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات الخ ولما اختلفوا فى دفنه فقال بعضهم فى البقيع وبعضهم فى مكة وبعضهم فى بيت المقدس روى لهم أبو بكر حديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه وأيضا اختلفوا فى ارثه فروى لهم حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه فى هذا كله وبهذا علم أنه كان أحفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعى الزكاة ومسيلمة الكذاب (قوله أنفق المال) أى الكثير الذى كان يملكه أى صرفه فى مصارف الخير جميعه وقوله فى رضاك أى من أجل رضاك كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى بكر وفى الحديث انه ليس من الناس أحد أمنّ علىّ فى نفسه وماله من أبى بكر وأخرج الترمذى ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه وأخرج ابن عساكر أنه أسلم وله أربعون ألف دينار وفى رواية أربعون ألف درهم فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح عن عمر أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فقلت اليوم أسبق أبا بكر مع أنى ما سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك يا عمر فقلت أبقيت مثله فأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله ما أبقيت لاهلك يا أبا بكر فقال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه الى شئ أبدا وقوله ولا منّ أى والحال أنه لا من منه عليك بما أنفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق أن يمن على المتصدق عليه بأن يعدد عليه ما أعطاه له أو يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه وقوله وأعطى جما أى عطاء كثيرا فى وجوه الخير والمصارف منها اعطاؤه ثمن محل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله عليه وسلم اشتراه بعشرة دنانير ووزنها من مال أبى بكر وكان قد خرج من مكة بماله كله فكان له فى ذلك المسجد الاعظم ثواب لا يقدر قدره واشترى أيضا جماعة أسلموا فعذبهم أهل مكة وأعتقهم منهم بلال وغيره وقوله ولا أكداء أى قطع للعطاء أى لم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى (قوله وأبى حفص) أى وأقسم عليك بأبى حفص وقوله الذى أظهر الله به الدين أى كما جاء فى سبب تسميته بالفاروق فقد جاء فى الحديث أنه سئل عن ذلك فذكر أن حمزة أسلم قبله بثلاثة أيام والنبى صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم وأسلم عمر بعده بثلاثة أيام وذلك أنه لما أراد الله

(قوله ثم قال أبو هريرة) عبارة العلامة الصاوى قال أبو هريرة رضى الله عنه لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم أبدا فكانهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا أبا بكر فانه كان غائبا فلما حضر دخل وكشف على الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلى عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوه ردت اليهم عقولهم فقبلوها وقالوا حتى عمر أنكر موت النبى صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فأسكته أبا بكر فأقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا عمر فقال أيها الناس الخ اه

انقذ الدين بعدما كان للدين على كل كربة اشفاء
أنفق المال فى رضاك ولا منّ وأعطى جما ولا اكداء
وأبى حفص الذى أظهر الله به الدين فارعوى الرقباء

له الخبر قال دلونى على محمد فتوشح سيفه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الارقم فضرب الباب فسمع المسلمون صوته فاستجمعوا خوفا منه فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر فقال حمزة افتحوا له الباب فان أقبل قبلناه وان أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج له فأخذ بمجامع ثوبه وجذبه فتشهد فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد قال عمر فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله يومئذ الفاروق وفرق الله بى بين الحق والباطل وصح أنه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى الى البيت حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وعن حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى أى فبسبب قوته وشدة شكيمته ارعوى أى رجع وانكف الرقباء أى الاعداء عما كانوا عليه من الافساد فى الدين وايذائهم للنبى وأصحابه (قوله والذى) أى وهو أيضا الامام العادل القوى فى الله الذى تقرب الاباعد عنه فى النسب وقوله فى الله أى لاجل ربنا الله وقوله اليه وفى نسخة لديه متعلق بتقرب فيكونون بذلك أولى عنده من أقاربه الذين ليسوا كذلك وقوله وتبعد أى عنه القرباء أى قرباؤه اذ لم يوافقوه على الدين فلم يحاب قريبا ولا صديقا ولا رباء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية (قوله عمر) بالجر بدل من أبى حفص أو بالرفع خبر مبتدأ محذوف وقوله قوله الفصل مبتدأ وخبر صلة من أى الفاصل بين الحق والباطل وقوله السوى أى الذى لا اعوجاج فيه وقوله السواء تأكيد أى المعتدل (قوله فر) أى هرب منه الشيطان أى ابليس وكل متمرد انسى أو جنى وقوله اذ كان فاروقا أى لاجل أن كان فاروقا وقوله فللنار أى فبسبب ما منحه من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان منه بسببه وقوله للنار أى التى هى أصل الشيطان وقوله من سناه بالقصر أى ضوئه وقوله انبراء أى انمحاء والاصل فى ذلك أحاديث منها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك ومنها حديث لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب ومنها حديث انى لانظر الى شياطين الانس والجن قد فروا من عمر ومنها حديث انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا (قوله وابن عفان) أى وأقسم عليك أيضا بذى النورين أبى عمرو عثمان ابن عفان ذى الايادى أى صاحب الايادى أى النعم جمع أيد جمع يد والراجح كما حقق فى حواشى المطول أن الايادى تطلق حقيقة على النعم والجوارح المعروفة وقوله طال أى عظم وامتد وقوله بها متعلق بقوله الاسداء أى الاعطاء (قوله حفر البئر) أى بئر رومة وذلك أنها كانت ليهودى فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء عذب غيرها فقال من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها أى زاد فى حفرها وهى موجودة الى الآن فثوابها مستمر له الى يوم القيامة وفى رواية أن عثمان اشترى من اليهودى نصفها بمائة بكرة واقتسماها يوما له ويوما لهذا وأوقف نصيبه على المسلمين فجعل الناس يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما رأى اليهودى أنه قد امتنع عنه ما كان يصيبه من

(قوله فتوشح سيفه) وذلك أنه أنكر على من أسلم فقيل له ان أختك وختنك أى سعيد ابن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاء فضرب رأس أخته فأدماه فقالت له كان ذلك على رغم أنفك فاستحى حين رأى الدم وجلس وسألها أن تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فأخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الآيات فعظمت فى صدره فقال خباب وكان النبى صلى الله عليه وسلم أرسله ليعظ أخته وزوجها انى لارجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمرو بن هشام أى أبى جهل أو بعمر بن الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه الخ ما قال اه صاوى

والذى تقرب الاباعد فى الله اليه وتبعد القرباء
عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوى السواء
فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فللنار من سناه انبراء
وابن عفان ذى الايادى التى طال الى المصطفى بها الاسداء
حفر البئر جهز الجيش أهدى الهدى لما أن صده الاعداء

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم
يدن منه الى النبى فناء
فجزته عنه بيعة رضوا
ن بد من نبيه بيضاء

ثمن الماء الذى بيعه منها باع النصف الثانى بشئ يسير لعثمان فتصدق بها كلها وتعبير الناظم
بالحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول من قال التعبير بالحفر وهم من بعض الرواة وانما
المعروف أنه اشتراها ويجاب بأنه لا مانع من أنه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير مائها
لشدة احتياج الناس اليها وقد كان قبل شرائه لها تباع القربة منها بمد والمد هناك بقدر الربع
المصرى أو أزيد بيسير وقوله جهز الجيش أى جيش العسرة فى غزوة تبوك مكان بينه وبين
المدينة ثمانية عشر يوما وكانت فى السنة التاسعة وسمى جيشها جيش العسرة وتسمى أيضا
غزوة العسرة لتعسر السير فيها من قلة المركوب بالنسبة الى الجيش فقد كانت العشرة منهم
يتعاقبون على البعير الواحد ومن قلة الزاد والماء وشدة الحر حتى كادت أعناقهم تنقطع عطشا
ومنهم من نحر بعيره وامتص فرثه وجعله على بطنه وقد حمل فيها عثمان على ألف بعير وسبعين
فرسا وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها
ويقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم ويقول غفر الله لك ياعثمان ما أسررت وما أعلنت وما
هو كائن الى يوم القيامة وعن أبى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم
مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز العسرة وفى حديث قال صلى الله عليه وسلم من
يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا له الجنة فاشتراه عثمان بعشرين ألفا وزاده فى المسجد
والمربد محل تجفيف التمار وقوله أهدى الهدى أى الى مكة وأرسله اليها عام الحديبية حين
توجه صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة
فمنعه قريش عن دخول الحرم فلهذا قال لما أى حين صده عن الدخول الاعداء أى
المشركون وتخصيص عثمان بالهدى مع أن غيره كان معه الهدى أيضا لكن هو أرسل
هديه الى مكة فنحر بها وغيره نحر هديه بالحديبية فقد كان صلى الله عليه وسلم أرسله لقريش
بمكة لعزته بقومه فيها فلما رجع وجد الصحابة قد نحروا بالحديبية فأرسل هو هديه الى مكة
فظهرت خصوصيته على غيره بهذا الاعتبار (قوله وأبى) أى امتنع لما أرسله النبى الى أهل
مكة حين صدوه عن دخول مكة فقال لعمر اذهب فاستأذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة
فقال يارسول الله ليس لى هناك أحد من بنى عمى يمنعنى ولكن أرسل عثمان فان بنى عمه هناك
يمنعونه من قريش فأرسله صلى الله عليه وسلم ليكلم أشراف قريش فى أن يرجعوا عن منعه
وأن يمكنوه من دخولها ليؤدى عمرته وينحر هديه ولما أرسله صلى الله عليه وسلم أمسك
عنده سهيل بن عمرو ثم حتى يأتى عثمان فلما وصل اليهم عثمان كلمهم فلم يمتثلوا واحتبسوه
عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى حينئذ أن يطوف بالبيت وقوله اذلم يدن
اذ تعليلية أى لم يقرب منه أى البيت وقوله الى النبى متعلق بيدن وقوله فناء هو ما امتد من
جوانب البيت ولما احتبسوه بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل فدعا الناس
الى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة على القتال وأن لا يفروا ولما بايع الناس وعثمان
غائب قال اللهم ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب بيده اليمنى على اليسرى أى
وضعها عليها وقال هذه بيعة عثمان فكانت يد رسول الله لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم
ولما سمع المشركون هذه البيعة خافوا فأرسلوا عثمان (قوله فجزته) أى فبسبب ما وقع من
عثمان من امتثاله أمر النبى وذهابه الى العدو ولم يبال لاحتمال أن يقتلوه ومن تأدبه مع
رسول الله الادب البالغ بتركه الطواف مع اذنهم له فيه جزته عنها أى عن تلك الفعلة التى فعلها

(قوله وتخصيص عثمان الخ)
عبارة العلامة الصاوى ووجه
تخصيص عثمان بذلك أن هديه
وصل الى مكة بخلاف هدى
غيره لان النبى وأصحابه لما
أبوا من دخول مكة ومن
ارسال هداياهم نحروها
بالحديبية وعثمان لغيبته تأخر
نحر هديه حتى حصل الصلح
فأدخله ونحره بها اه

أدب عنده تضاعفت الاعـ
مال بالترك حبذا الأدباء
وعلى صنو النبى ومن ديـ
ن فؤادى وداده والولاء
ووزير ابن عمه فى المعالى
ومن الاهل تسعد الوزراء

وهى الذهاب اليهم والامتناع من الطواف وقوله بيعة رضوان أى فيها فالباء بمعنى فى
وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية وقوله يد من نبيه أى
عن عثمان وقوله بيضاء أى بالغة فى الكرم الذى عم الانام الى مبلغ نور الشمس وعمومه
للعالم ولم تجازه تلك اليد البيضاء والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة
النبى وعدم تمكينهم من الدخول أدب الخ (قوله أدب) أى عظيم عنده ومن عجيب هذا
الادب أنه حصل فيه أمر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك أنه مع كونه تركا للفعل العبادة
تضاعفت الاعمال التى فى ذلك الفعل وهو الطواف أى ثوابها وقوله بالترك أى بسبب الترك
لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس
فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان مالم يبلغه غيره وهذا خصوصية لعثمان فلذا حق أن يقال
فيه وفى غيره على سبيل المدح حبذا الادباء وعثمان من أجلهم لانه كان عنده من الحياء
الذى هو منشأ الادب مالم يكن عند غيره وقد جاء أن النبى استحيا منه وقال عثمان حيى
تستحيى منه ملائكة الرحمة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولهذا سمى ذا النورين
وقال وهو محصور يوم قتله انه اختبأ عند ربه أى أعطاه ربه عشرا أنه رابع أربعة فى الاسلام
وأنكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى وما تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومامرت به جمعة منذ أسلم الا وأعتق فيها رقبة أى جملة ما أعتقه
ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن فى المصحف
على هذا الترتيب المعروف اليوم وقد جمعه الصديق قبل ذلك فى خلافته لكن لا على هذا
الترتيب (قوله وعلى) أى وأقسم عليك أيضا بعلى وسبق الاقسام به لكن من حيث المعجزة
التى وقعت له فى خيبر كما تقدم وأما الاقسام به هنا فهو من حيث ذاته ولاجل أن يبين ما هو
مذهب أهل السنة وأكثر الفرق من أن الخلافة والافضلية على هذا الترتيب السابق
ذكره فأفضلهم أبو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم لا نزاع به فهو قطعى ثم
عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى ومالك
وغيرهما فقالوا بأفضلية على على عثمان وان كان عثمان أحق منه بالخلافة وهل تجب محبتهم
برعاية أفضليتهم فيه تفصيل وهو أنه ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجب هذا الترتيب وان كانت لنحو قرابة أو لاحسان لم يجب رعايتها على هذا الترتيب
وقوله صنو النبى أى مثله من حيث اجتماعهما فى أصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين
أصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو أبيه وهذا من هذا القبيل وقوله ومن
دين أى والذى دين أى اعتقاد فؤادى أى قلبى وداده أى حبه وقوله والولاء بفتح الواو أى
موالاته أى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع فى خلافته وانما أكد الذب عنه لكثرة
أعدائه من بنى أمية والخوارج الذين بالغوا فى سبه وتنقيصه حتى على المنابر فخصه الناظم
بذلك ولهذا اشتغل أكابر الحفاظ بنشر فضائله نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال أحمد ما جاء
لأحد من الفضائل ما جاء لعلى (قوله ووزير ابن عمه) أى ناصره وحامل كل ثقل نابه وقوله
فى المعالى أى الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة والشرف وأصل هذا ما جاء فى الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم لما خلف عليا على المدينة فى غزوة تبوك قال يارسول الله خلفتنى مع
النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لانبى بعدى

(قوله صنو النبى) وقال صلى
الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا
والآخرة وفى رواية على منى
بمنزلة رأسى من بدنى اه صاوى

وليست الوزارة خاصة بعلي فقد أخرج الترمذي حديث ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكر الناظم الوزارة في علي دونهما مع أنها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بأنها وردت فيه بمعناها على وجه أبلغ من لفظها وهو قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى فإن هذه الوزارة المستفادة من هذا أخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وأرسله مؤذنا على الناس بسورة براءة في موسم الحاج مع أن الخليفة على الحج أبو بكر وذلك لأن العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير إلا إن كان من أهله وخلفته وأنه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه بأهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلهذا ذكرها فيه فقط وقوله ومن الأهل الخ من تلك السعادة ما أمده به من المؤاخاة فقد أخرج الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال أنت أخي في الدنيا والآخرة ومنها العلوم التي أشار إليها بقوله أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب (قوله لم يزده كشف الغطاء يقينا) أي لو رفع الحجاب بينه وبين ربه ورأى الذات العلية عيانا لم يزدد يقينا يعني أن توحيده ويقينه في الله بلغ الغاية في الصحة والثبات وقد أخبر بذلك عن نفسه حيث قال لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا أي لأنه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والإيمان وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فإن عاقلا لا يشك أن عين اليقين أقوى من علم اليقين وأن حق اليقين أقوى من عين اليقين ودليله قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فأثبت لنفسه حقيقة الإيمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافاة بينه وبين ما قاله على خلاف من وهم فيه وقوله بل هو بل للإضراب الانتقالي أي بل علي في فضله وعلمه وزهده وتقدمه وحقية خلافته الشمس أي مثلها في الظهور والإضاءة وقوله ما عليه غطاء أي ساتر بل هو ظاهر لكل أحد وعلم مما تقرر أنه الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاث بالإجماع ولا اكتراث ولا التفات إلى من زعم أنه لا إجماع على خلافته وقد حفظ رضي الله عنه القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه العلوم حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله وتقدم حديث أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وهذا يبطل تمسك الشيعة به على أنه الخليفة المقدم على الكل ووجه البطلان أن هرون مات في حياة موسى قبل موته بأربعين سنة وكان قد خلفه حين ذهب لميقات ربه ليأتي بالتوراة وحينئذ يؤخذ من الحديث أن عليا إنما تثبت له الوزارة والخلافة في حياة النبي لا بعده لأنه شبهه بهرون وهرون لم يخلف موسى بعد موته في حياته كما علمت توفي كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته وأوصله إلى دماغه وذلك ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج إلى صلاة الصبح لكنه لم يمت إلا ليلة الأحد في أثناء الليلة وله أسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان فإن كلا منهما قتل شهيدا مظلوما أما عمر فقتله أبو لؤلؤة مجوسي عبد

لم يزده كشف الغطاء يقينا
بل هو الشمس ما عليه غطاء

(قوله ومنها العلوم التي أشار إليها الخ) وفي رواية أخرى أنا دار الحكمة وعلي بابها وفي رواية أخرى علي باب علمي وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو حسن يعني عليا وقال والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل اه صاوي

للمغيرة

للمغيرة بن شعبة لكونه شكا إليه ثقل خراجه فلم يعذره لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صناعته فكمن له إلى أن ضربه بخنجر وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أرسل ولده بعد أن طعن يستأذن عائشة في ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسي ولأوثرنه به فاشتد فرحه بذلك وأما عثمان فاجتمع على قتله أوباش أربعة آلاف متجمعون من مصر وغيرها فحاصروه إلى أن قتلوه في أوسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمسة وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل توهما منهم أنه أراد قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما وهو بريء من ذلك وإنما فعله بعض أهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من أن يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت إن الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله بين يديك مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا وأنا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار مماليكه الكثيرون فأرادوا أن يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لأنه علم بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه مقتول مظلوم وأنه على الهدى وأنه لا مخلص له من القتل وأمره أن لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان إنك ستؤتى الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي (قوله وباقي أصحابك) أي باقي العشرة المبشرين بالجنة في الأحاديث منها حديث أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وتاسع المؤمنين في الجنة وهو سعيد بن زيد والعاشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله المظهر أي المبين الترتيب أي بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مفعول وقوله فينا أي لنا وقوله تفضيلهم فاعل أي تفضيلهم على حسب مراتبهم التي بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم وقوله والولاء معطوف على الفاعل أي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا بحسب مراتبهم فهو بفتح الواو وهذا ما يقتضيه صنيع الشارح وفي ابن عبد الحق الأولى هنا كسر الواو ويكون بمعنى التتابع وذلك لأنه ذكر الولاء فيما سبق بمعنى المناصرة فيكون بفتح الواو قبل هذا ببيتين فلو فتحت الواو هنا أيضا دخله الإيطاء وهو اتحاد اللفظ والمعنى وفيه أيضا ما يقتضي إسناد الولاء إليهم أي موالاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله طلحة) أي ابن عبد الله القرشي التيمي وسماه النبي صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية في ذلك بحيث باع أرضا له بسبعمائة ألف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها وأصبح فرقها على فقراء المدينة وكان مغله بالعراق في كل سنة أربعمائة ألف وكان يكفي ضعفاء قومه ويقضي ديونهم ويرسل إلى عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة ألف ثم لم يجد ثوبا يذهب به إلى المسجد يصلي فيه وقوله المرتضيه أي الذي ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم رفيقا وقوله واحدا هو ما في أكثر النسخ وفي نسخة أحد وهو على هذه النسخة فاعل أي الذي ارتضاه أحد رفيقا ففيه إسناد مجازي وفي أخرى أحدا وهو منصوب على نزع الخافض أي في أحد وقوله يوم ظرف لاسم الفاعل وقوله فرت الرفقاء أي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم أحد وفي ذكره واحدا الذي هو في أكثر النسخ نظر إذ المنقول أن الذين ثبتوا معه أربعة عشر من المهاجرين وسبعة من الأنصار لكن ظاهر كلام بعض أهل السير أن طلحة وقع له بعد ذلك

وباقي أصحابك المظهر التر
تيب فينا تفضيلهم والولاء
طلحة الخير المرتضيه رفيقا
واحدا يوم فرت الرفقاء

(قوله وباقي أصحابك الخ) قال العلامة الصاوي وجمعهم بعضهم في بيتين فقال
أصحاب شورى ستة فيها كهم
لكل شخص منهم قدر علي
عثمان طلحة وابن عوف يقتفي
سعد بن وقاص زبير مع علي
اه

انفراده مع النبي ثم تتابعت الناس فإنه قال وكان لطلحة اليد البيضاء يوم أحد وقى النبي صلى الله عليه وسلم بيده فشلت واستمرت شلاء، وقد جاء في حديث ما يصرح بما في النظم على نسخة واحداوهو اقتدرأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم أحد أوجب طلحة أي وجبت له الجنة وذلك أن النبي كان قد ظاهر بين درعين وأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فلم يستطع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال أوجب طلحة وقد أصيب يومئذ بسبعين أو أقل أو أكثر ما بين طعنة وضربة ورمية وكان قد خرج هو والزبير على علي فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير الحديث الآتي في مناقبه ووعظ طلحة فتأخر عن القتال ووقف في بعض الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة ودفن بالبصرة (قوله وحواريك) أي وأقسم عليك بحواريك الزبير بن العوام القرشي ابن عمة رسول الله صفية حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص ولما اشتد الخوف يوم الأحزاب ندب النبي أي طلب من يأتيه بخبر بني قريظة فقال الزبير أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير وقوله حواريا قال القسطلاني بفتح الحاء المهملة وبواو بعدها ألف وبعد الألف راء مكسورة فتحتية مشددة أي خاصة من أصحابه اهـ ونقل الزركشي عن الزجاج أن حواريا منصرف لأنه منسوب إلى حواري وليس كبخاتي وكراسي لأن ذلك جمع واحده بختي وكرسي وقوله وحواري الزبير قال القسطلاني أضافه إلى ياء المتكلم فحذف الياء وضبطه جماعة بفتح الياء وآخرون بكسرها وهو القياس لكنهم استثقلوا ثلاث ياءات حذفوا ياء المتكلم وأبدلوا من الكسرة فتحة كذا بخط الشيخ العجمي وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج علي وهو على بغلة رسول الله فنادى يا أيها الناس ادعوا إلي الزبير فدعي له فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال له علي أنشدك بالله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير أتحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ثم ذكرته الآن والله لا أقاتل ثم أدبر راجعا فلما وصل وادي السباع محل قريب من البصرة نام فجاءه رجل فقتله في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة وحمل إلى البصرة فدفن بها وقبره مشهور هنالك وقوله أبي القرم بفتح القاف وسكون الراء أي السيد الجليل المراد به ابنه عبد الله وقوله الذي أنجبت أي أتت به في غاية النجابة والشجاعة والرأي الحازم وهذا نعت للقرم الذي هو عبد الله وقوله أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين وكانت ولادتها له بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لأن اليهود كانوا زعموا أنهم صنعوا لهم ما أبطل نسلهم وشرب دم النبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج عليه الحجاج أرسله له يزيد وهو بالشام فجاءه بمكة أول الحجة سنة اثنتين وسبعين فحاصره واستمر الحصار إلى أن قتله سابع جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وكان صواما يواصل الخمسة عشر يوما أو أكثر وكان أطلس أي لا لحية له وهو أحد العبادلة الأربعة والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله ابن عمرو بن العاص (قوله والصفيين) تثنية صفي وهو المصفى من حظوظ الشهوات وقوله توأم الفضل من أتأمت المرأة ولدت اثنين أي إن الفضل أنتجهما لكثرة ما قام بهما منه ولو

قال

وحواريك الزبير أبي القرم الذي أنجبت به أسماء
والصفيين توأم الفضل سعد
وسعيد إن عدت الأصفياء

(قوله أوجب طلحة) قال العلامة الصاوي وعن عائشة أنها قالت قال أبو بكر كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة وإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية وإذا قد انقطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه اهـ

قال توأمي الفضل لكان أوضح أي أنهما اشتركا في الفضائل الجليلة اشتراك توأمين مولودين في حمل واحد وقوله سعد أي ابن أبي وقاص بن مالك القرشي الزهري شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ورمى يوم أحد ألف سهم ومن كراماته الظاهرة أنه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها إلى حزمها والناس في غاية الطمأنينة كأنهم سائرون بالبر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي وأقبل على النبي ذات يوم وهو جالس مع أصحابه فقال هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فإن الخال والد توفي بقصره بالعقيق وهو واد بظاهر المدينة على عشرة أميال منها فحمل إليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلى عليه أمهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال إنما كنت خبأتها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وقوله وسعيد أي ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي وهو ابن عم عمر وزوج أخته والسبب في إسلامه توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وأبوه زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت أحاديث تدل على أنه من أهل الجنة وقوله إن عدت الأصفياء أي فهذان من أكابرهم وكيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة (قوله وابن عوف) أي وعبد الرحمن بن عوف بن الحرث القرشي الزهري صح أنه صلى الله عليه وسلم اقتدى به في غزوة تبوك وصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة عظيمة وسببها أنه صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي حاجته وأدركهم الوقت فأقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن فجاءه صلى الله عليه وسلم فاقتدى به مع القوم ولما أتم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته وائتم أيضا بأبي بكر وبجبريل وكان عبد الرحمن كثير الإنفاق في سبيل الله أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا حتى جاء أن جملة ما أعتقه ثلاثون ألفا قال الزهري تصدق على عهد النبي بشطر ماله أربعة آلاف دينار وأربعين ألف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة فبيعت بمائة ألف دينار وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرا بأربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فأخذ مائة وهو أمير المؤمنين وبألف فرس في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي دينهم وثلث يصلهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة إلا زحفا فأقرض الله يطلق لك قدميك قال ما الذي أقرضه قال تبرأ من كل مالك فهم بذلك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط ابن السبيل فإذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه وقوله من هونت بدل مما قبله وقوله هونت نفسه الدنيا أي صيرتها رخيصة عنده وقوله ببذل أي بسبب بذله لها في وجوه الخير بذلا دائما مستمرا وقوله عده بضم الباء وكسر الميم إثراء أي كثرة المال الذي فتح الله عليه به وكثرته من التجارة لأنه كان ذا حظ وافر فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا (قوله والمكنى أبا عبيدة) وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الأمة قال صلى الله عليه وسلم إن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال أين أخي أبو عبيدة فقالوا يأتيك الساعة فأتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه إلى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه وراحلته فبكى

(قوله وابن عوف) قال العلامة الصاوي أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام والستة أهل الشورى والعشرة المبشرين والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر اهـ

وابن عوف من هونت نفسه الدنـ
ـيا ببذل يمده إثراء
والمكنى أبا عبيدة إذ يعـ
ـزى إليه الأمانة الأمناء

وبعميك نيرى فلك المجـ
ـد وكل أتاه مثلا ثناء

(قوله وبعميك) أى أخوى أبيك لابيه وهما حمزة والعباس قال العلامة الصاوى وعن ابن مسعود ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا ذابا عن وجه رسول الله وليس فى هذا نوح بل اخبار بفضله وشمائله رضى الله عنه اهـ

وقوله اذ يعزى اذ ظرف لاقسم المقدر أو تعليل له قال الجوهرى عزوته وعزيته لابيه اذا نسبته اليه فالمعنى هنا ينسب اليه أى الى أبى عبيدة الامانة الامناء وأجلاء نبينا فانه قال لكل أمة أمين الى آخر ما تقدم توفى سنة ثمانى عشرة بالطاعون فى طاعون عمواس وهى قرية بين الرملة وبيت المقدس أول ما وقع بها ذلك الطاعون فنسب اليها ثم انتشر بالشام واعلم أن ما ورد فى أبى عبيدة وفى غيره كقوله فى أبى ذر انه أصدق من أظلت الخضراء وأقلت الغبراء لا يقتضى تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان أولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض وأما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا بهما على من لم يكملا فيهم ولو سلم زيادتهما فيهما على أولئك لم يقتض ذلك لان المفضول قد يتميز بمزية أو مزايا لا توجد فى الفاضل لانه خلف تلك المزايا مزايا أخرى أجل منها وأعظم (قوله وبعميك) أى وأقسم عليك بعميك أخوى أبيك وهما حمزة والعباس وكل منهما أسن من النبى بنحو السنتين أى ولد قبل ولادته بنحو السنتين ولم يسلم من أعمامه التسع غيرهما والبقية ماتوا فى الفترة لم يدركوا البعثة النبى صلى الله عليه وسلم الا أبو طالب وأبو لهب فأدركا البعثة ولم يسلما وماتا مشركين وقوله نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضىء وهذا من التشبيه البليغ فشبههما بالنيرين أى الشمس والقمر بجامع مطلق الاشراق فى كل وان كان فى العمين معنويا وفى الشمس والقمر حسيا وقوله فلك المجد الفلك ما يسير فيه الكوكب واضافة النيرين اليه ترشيح للتشبيه واضافته الى المجد تجريد للتشبيه اذ المجد الكرم والحسب وقوله وكل منهما أتاه أى حصل له مثلا ثناء بوزن كتاب وهو عرف الشجر كما فى القاموس وهذا بالنظر لاصل معناه والا فالمراد به هنا النعم والخيرات الواصلة منه اليهما أما حمزة ويكنى أبا عمارة ويلقب بأسد الله وأسد رسوله فكان شجاعا أخا للنبى من الرضاع أسلم قديما قبل عمر بثلاثة أيام استشهد بأحد نصف شوال فى السنة الثالثة بعد أن قتل ثلاثين كافرا قتله وحشى وهو عبد لعقبة السلمى قال لقد رأيت حمزة يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتى فأصابته وولبت هاربا فتبعنى ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشى وخرج يوم اليمامة فى جيش أبى بكر فشارك رجلا فى قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ولما رأى النبى حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا أغيظ لى من هذا وبكى عليه صلى الله عليه وسلم وقال يا حمزة يا عم رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا فاعلا للخيرات يا كاشفا للكربات وصحح الحاكم حديث والذى نفسى بيده انه لمكتوب عند الله فى السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وورد من طرق ان الملائكة غسلته وأما العباس وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأى وعقل كامل معظما بين الصحابة رئيسا فى قريش قبل الاسلام وكان مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة مع الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به فى أموره كلها أسر يوم بدر وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم من لقى منكم العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم يئن لما كتفوه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل فأرخى من وثاقه وثاق العباس ففدى نفسه وعقيلا ابن أخيه وأسلم عقب بدر سرا وكتم اسلامه الى قبيل الفتح فخرج مهاجرا الى النبى بالابواء فأظهر اسلامه وبه ختمت الهجرة وكان رد الى النبى بمكة يكاتبه بأخبار أهلها وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب اليه ان مقامك

وبأم السبطين زوج على
وبنيها ومن حوته العباء
وبأزواجك اللواتى تشرفـ
ـن بأن صانهن منك بناء

(قوله وهذا مات صغيرا) وأم كلثوم وزينب خلفتا ذرية لكن انقرضت وللعباسيين والمطلبيين ذرية باقية الى الآن أيضا ومن ثم نقب كل عباسى بالشرف ببغداد وعلوى بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق زوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن على كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا اهـ صاوى

بمكة خير لك وثبت معه يوم حنين توفى بالمدينة ثانى عشر رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين وله من العمر ثمانية وثمانون سنة وقبره مشهور بالبقيع وقال له صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء والخلفاء والمهدى وكون المهدى من ولد العباس يحمل على أن فيه شعبة منه لما صح أنه من ولد فاطمة وصح أنه من ولد الحسن وجاء أنه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن أيضا فهو حسنى وفيه شعبة من الحسين وشعبة من العباس وأخرج الخطيب حديث يا عباس أنت عمى وصنو أبى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى (قوله وبأم السبطين) أى وأقسم عليك بأم السبطين الحسن والحسين فاطمة وهى أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وقوله زوج على زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة بوحى من الله وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف شهر وقيل كان سنها نحو عشرين سنة وكان سن على اذ ذاك احدى وعشرين سنة وأشهرا توفيت بعده صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة احدى عشر فبينهما نحو ستة أشهر وسنها تسع وعشرون سنة دفنها على ليلا بوصية منها واختلف فى محل دفنها فقيل انها فى المسجد الشريف بقرب قبر والدها والاشهر أنها فى قبة ولدها الحسن قرب محرابه وكان القطب أبو العباس المرسى يجزم بهذا ولعله كوشف به وروى أحمد فى المناقب والدولابى أنها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انى مقبوضة الآن فلا يغسلنى أحد ولا يكشفنى فماتت فدفنت على وصيتها لكن يعارضه ما جاء انها أمرت فاطمة بنت عميس أن تغسلها وهذه الرواية مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وقوله وبنيها يعنى أولادها الحسن والحسين ومحسنا وهو بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المكسورة كما فى سيرة الشامى وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم فولدت له ذكرا وأنثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعد موته تزوجت بأخيه محمد ثم بأخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الاخير وهو عبد الله بن جعفر بأختها زينب فولدت له عدة منهم على وأم كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف أعلى من شرف أولاد عبد الله من غير زينب وأدنى من شرف أولاد الحسنين لمزيتهما بما ورد فيهما ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق تزوج بالسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على كرم الله وجهه ولد منها ولدين لم يعقبا قال السيوطى فى الخصائص الصغرى ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم أولاد على وعقيل وجعفر والعباس هذا ما اصطلح عليه السلف وانما حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين فى مصر خاصة من عهد الخلفاء الفاطميين وقوله ومن حوته العباء وهم النبى وفاطمة وعلى وابناهما ومر لبعض هؤلاء فضائل وصح أنه صلى الله عليه وسلم جعل على على وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا والاسكفة بضم الهمزة وسكون السين وضم الكاف وفتح الفاء المشددة عتبة البيت (قوله وبأزواجك) أى وأقسم عليك بأزواجك اللواتى تشرفن بأن صانهن عن النار والنقائص وقوله منك حال من قوله بناء أى دخول وظاهر كلامه أن

من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ستة قرشيات وأربع عربيات واسرائيلية فالاولى خديجة تزوجها بعد زوجين ولها يومئذ أربعون سنة وله خمس وعشرون وأولاده كلهم منها الا ابراهيم فمن مارية القبطية توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة توفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين ثم تزوج عائشة بمكة في شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها في شوال في المدينة على رأس ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ثم تزوج حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة توفيت سنة خمس وأربعين ثم أم سلمة سنة أربع وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بعد أن مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا وتزوجه بها سنة ست زوجها النجاشي لعمرو بن أمية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها اليه سنة سبع ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد مولاه زوجه الله بها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي أول من مات منهن بعده ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا بعد ان أدى عمرة القضاء ورواية أنه كان محرما معناها أنه في الحرم على ان من خصائصه أن له أن ينكح وهو محرم وماتت بسرف سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث الخزاعية وعمرها اذ ذاك عشرون سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب من نسل هرون وهي من سبي خيبر أعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امرأة بعضهن الاصح فيه أنه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه أنه لم يتزوجه ومحل بسط هذا في كتب السير ❊ واختلف في عدة أولاده عليه الصلاة والسلام وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين وأربع بنات أولاهن زينب وهي أكبرهن ماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها أبي العاص بن الربيع ولدت منه عليا ومات قبل البلوغ وامامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في الصلاة تزوجها علي بعد فاطمة ثم رقية توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات ثم أم كلثوم لا يعرف لها اسم وانما تعرف بكنيتها توفيت سنة تسع زوجها عثمان بعد ابني أبي لهب وهما عتيبة بالتصغير وعتبة بالتكبير ثم فاطمة قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى وأربعين من مولده والذي رواه ابن اسحق أنها ولدت قبل النبوة واختلفوا هل ولد له غير أولئك الستة فقيل نعم ولد له الطيب والطاهر وعبد الله وعبد مناف والمطهر وقيل الطيب والطاهر لقبان لعبد الله وهذا كله في أولاده من خديجة ولم يولد له من غيرها الا ابراهيم من مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان ثم توفي وله سبعون يوما وقيل وله سنة وعشرة أشهر وقيل غير ذلك (قوله الامان) مفعول به

الامان الامان ان فؤادي
من ذنوب أتيتهن هواء

(قوله فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن) وقد نظم بعضهم اللاتي توفي عنهن بقوله
توفي رسول الله عن تسع نسوة
اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة
ثلاث وست نظمهن مهذب
رضي الله عنهن ونفعنا بهن
اه صاوي

أو مطلق وعامله مقدر فتقدير على الاول أنلنا وعلى الثاني أمنا والثاني تأكيد أي أمنا يا رسول الله من عقاب ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب وقوله ان فؤادي بالفتح تعليلا وبالكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة أيضا وقوله هواء أي خال من فهم ما ينفعني وفي نسخة هباء أي لا وجود له (قوله قد تمسكت) أي ربما يعطفك علي حتى يزيد اعتناؤك بي وامدادك لي أني قد تمسكت أي توثقت واعتصمت من ودادك بالحبل أي بالسبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم فالحبل هو المحبة وقوله الذي استمسكت به الشفعاء أي من الانبياء والعلماء والصالحين فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا أورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار أورثتني وقوع شفاعتك في بجامع اني أحبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطرفين وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبي كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم (قوله وأبى الله) أي لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما تفضل به عليك بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقوله بحال أي في أي حال من الاحوال الدنيوية والاخروية وقوله ولي اليك أي والحال ان لي اليك التجاء أي استناد لمزيد محبتي لك ومن هو كذلك حقيق بأن لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة (قوله قد رجوناك) أي معشر محبيك وخدامك أيها النبي الكريم أي أملناك وقوله للامور أي العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات وقوله التي أبردها أي أيسرها وقوله رمضاء أي نار تتقد أي من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا (قوله وأتينا اليك) أي بقلوبنا أي وجهناها الى الاستعاذة بك من كل مكروه أو أتينا الى قبرك المكرم وقوله أنضاء حال أي حال كوننا أنضاء جمع نضو بكسر النون أي مهازيل وقوله فقر أي من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملنا من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله وقوله الى الغنى أي الى محله وهو حضرتك المشرفة التي فيها الغنى الاكبر وقوله أنضاء أي ركاب مهازيل أجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود احسانها ونعمها (قوله وانطوت) أي استترت في الصدور أي القلوب حاجات نفس أملت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك وخطبت بحلول نظرك من تلك الحاجات الامداد من نوالك والتوسل والتشفع بك الى مولاك وقوله عن ندى يديك أي عطايا يديك الكريمتين وقوله انطواء أي استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع (قوله فأغثنا) أي بشفاعتك يا من هو الغوث أي للمكروبين والملجأ للمنقطعين وقوله والغيث أي المطر المربع للمضطرين المشبع للجائعين فأزل شكوانا وارفع لأوانا وقوله اذا أجهد الخ أي اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على التلف فاللأواء شدة الحاجة (قوله والجواد) أي الاعظم الذي به أي بسببه تفرج الغمة عنا معشر أمتك وقوله وتكشف الحوباء بفتح أوله وضمه أي الاثم أي عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفي نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهي بمعنى الاولى لتساوي الغمة والكرب بأنهما الغم الذي يشتد على النفس الى أن يكاد يقتلها (قوله يا رحيما) هذا نداء يتضمن غاية الاستعطاف والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف وقوله

(قوله قد تمسكت من ودادك) أي توثقت واعتصمت بالحبل أي السبب الاقوى حال كونه من ودادك أي محبتي لك الذي استمسكت به الشفعاء جمع شفيع من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء فلم يحصلوا مرتبة الشفاعة في غيرهم الا بواسطة محبتهم لك اه صاوي

قد تمسكت من ودادك بالحبـ
ـل الذي استمسكت به الشفعاء
وأبى الله أن يمسني السو
ء بحال ولي اليك التجاء
قد رجوناك للامور التي أبـ
ـردها في قلوبنا رمضاء
وأتينا اليك أنضاء فقر
حملتنا الى الغنى أنضاء
وانطوت في الصدور حاجات
نفس
ما لها عن ندى يديك انطواء
فأغثنا يا من هو الغوث والغيـ
ـث اذا أجهد الورى اللأواء
والجواد الذي به تفرج الغمـ
ـمة عنا وتكشف الحوباء
يا رحيما بالمؤمنين اذا ما
ذهلت عن أبنائها الرحماء

رحيما من الرحمة وهي رقة في القلب تقتضي التفضل الذي هو غايتها والانعام أو ارادتهما
وقوله اذا ما ظرف لرحيما وما زائدة وقوله ذهلت أي غفلت وهذا مقتبس من قوله تعالى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة الآية وتقييد رحمته بالمؤمنين هذا ليس لانتفائها في غيره بل لانها
في هذا اليوم أظهر وأعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد
والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين ويخصه بالشفاعة العظمى في فصل القضاء ما يعلم أهل
جميع ذلك الموقف أنه لا أقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع في ذلك اليوم الا حسبه ونسبه
(قوله ياشفيعا) من الشفاعة وهي السعي في حال المشفوع فيه عند المشفوع له وقوله في
المذنبين أي في غفران ذنوبهم وكشف كروبهم وقوله اذا أشفق ظرف لشفيعا أي ذل اذ
الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهشة وقوله من خوف أي
من أجل خوف عقاب ذنبه وهذا الضمير عائد على البرآء المتقدم رتبة لكونه فاعلا وافراده
لكون البرآء مرادا به الجنس وقوله البرآء أي من الكبائر أي الذين لا كبيرة لهم جمع بريء
بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب
فيه وان كان الخوف من الذنوب يعم أكثر الناس لانهم لا يخلون من صغيرة بل صغائر ولا يخرج
من ذلك الا المعصومون والمحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف أيضا (قوله جد) أي يا من تحلى
بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة وقوله لعاص أي أسرته الخطايا وأحاطت به البلايا ومقتضى
الظاهر أن يقول جد لي أو لنا لكنه ارتكب التجريد أو الالتفات وآثر التنكير لما يأتي ولم
يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسؤل بأن يجود عليه في ذلك اليوم بايصال شفاعته له الى
كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وما سواي ما نافية أي وما غيري هو العاصي
ولكن تنكري أي تنكير نفسي واسمي الواقع في قولي لعاص وقوله استحياء أي منك
أن أذكرك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه
وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل هذا تقرير عبارته وفيها مؤاخذة من وجهين
أحدهما الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند عليه نحو ان
الله هو الرزاق أي لا رازق سواه لكن في الفائق أن تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند
اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول أن هو العاصي دال على حصر
العصيان في سواي كزيد هو القائم والمستفاد من النفي اذا دخل على الجملة نفي ذلك الحصر
بناء على المشهور أن النفي يتوجه للقيد وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين أنه عاص وحده وانه
عاص هو وغيره واذا أبهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه أثبت على احتمال العصيان
لغيره معه وهو خلاف قصده مع انه العاصي وحده الوجه الثاني ان التنكير هنا لا نسلم انه
يفيد الاستحياء ولئن أفاده فشأن السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج أن يرفع
حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه غير لائق ولك أن تجيب
عن الوجه الاول بأن من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة وان ال في العاصي
للعهد الذهني فهي للجنس فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير أخرى وحينئذ زال الحصر
الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواي عاصيا بل انا العاصي وحدي وعن الوجه الثاني
بأن السائلين أقسام منهم من يغلب عليه الحياء والخجل فيبهم نفسه (قوله وتداركه) أي أدركه
بالعناية منك له بأن تعمه بسوابغ كرمك وقوله ما دام له بالذمام جملة مكسورة وهذا القسم

(قوله وتقييد رحمته بالمؤمنين الخ) عبارة العلامة الصاوي وتقييد رحمته بالمؤمنين ليس لانتفائها في غيرهم بل لكون نفعها التام خاصا بهم والا فرحمته عامة ينقذ الناس بها جميعا من هول الموقف وأمنوا بها في الدنيا من تعجيل العقوبة بالعذاب العام انتهت

ياشفيعا بالمذنبين اذا أشـ
فق من خوف ذنبه البرآء
جد لعاص وما سواي هو العا
صي ولكن تنكري استحياء
وتداركه بالعناية مادا
م له بالذمام منك ذماء

متعلق بتداركه والا لزم خلوه عن معنى يليق بالسياق أي تداركه بحق حرمتك التي أنعم الله بها
عليك فالذمام هو الحرمة وقوله ذماء بفتح الذال المعجمة أي تعلق وأصله بقية الروح في المذبوح
أي ما دام فيه أدنى تعلق واستمساك بك لانك أكرم الكرماء وعادة الكريم أن كل من تعلق
به نجا من كل ما يخاف (قوله أخرته) أي ذلك العاصي وقوله الاعمال أي السيئة التي ارتكبها
وقوله والمال أي الفاني الذي أمسكه عن صرفه في وجوه الخير أي من الاعمال الصالحة
بالنسبة للصالحين والانفاق في وجوه الخير بالنسبة للأغنياء أو الذي جمعه من وجوه الشر حتى
اشتغل به قلبه وقوله عما قدم الصالحون جمع صالح وهو المشتغل بحقوق الله وحقوق العباد
وقوله والاغنياء هذا لف ونشر مرتب لان الاول يرجع للاعمال والثاني للمال (قوله كل يوم)
اعترف رحمه الله بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم
الآية نادما عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال كل يوم أي وليلة ذنوبه صاعدات أي مع
ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون أعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهارا العظيم فضل
الطائع وقبيح فعل العاصي وقوله وعليها أي من أجلها وقوله صعداء أي متوازنة ممدودة
من شدة كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع في ورطتها أنه ألف البطنة الخ (قوله
ألف البطنة) بالكسر أي ملء بطنه من الطعام والشراب وقوله المبطئة السير أي الى الله
تعالى أي المعوقة عن الجهاد في رضاه باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة وقوله بدار أي
فيها وهي الدنيا وقوله بها أي فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم وقوله بطاء جمع بطيء على
وزن الجمع قبله فهم متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين (قوله فبكى ذنبه) أي
فبسبب عصيانه بكى ذنبه وقوله بقسوة قلب أي مع قسوته وغلظه المؤديين الى أن البكاء
صوري لا حقيقي ومن ثم قال نهت تلك القسوة الدمع عن أن يبرز منه شيء في عين ذلك الباكي
وقوله فالبكاء أي فبسبب هذا النهي انقلب البكاء عن حقيقته وهو حزن يعتري القلب فيحصل
له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري الدموع ويمنع الرجوع وصار ذلك
البكاء كأنه مكاء بالتخفيف أي كالصفير أي التصفير بالفم بجامع أن كلا صوت يجري على
اللسان ولم يؤثر به القلب وهذا تلميح لقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية الآية (قوله وغدا) أي صار ذلك العاصي بعدما وقع منه من المعاصي والبكاء الذي
لا يفيد لمزيد قسوة قلبه وقوله يعتب القضاء أي يتعلل به ويسند اليه ويعتذر كأن يقول قدر
الله علي هذا الامر ولا حول مني ولا قوة وقوله ولا عذر أي والحال أنه لا عذر لعاص يحتج به
على الله حتى يسقط عنه الاثم والمؤاخذة وقوله فيما يسوق القضاء أي من المعاصي وذلك
لان الله تعالى أجرى عادته الالهية بترتيب المسببات على أسبابها ونسبة تلك المسببات الى
المكلف نظرا للصورة واختياره فيها وكونه متمكنا بحسب الظاهر من تركها أو فعلها فيثاب
ويعاقب بهذا الاعتبار وان كان في نفس الامر مكرها لان الكل من الله سبحانه وتعالى
ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فيجب على المكلف رعاية المقامين بأن يسند الافعال الى فاعلها
بحسب الصورة فيستحق المدح أو الذم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن التنصل
والتخلص منها هذا هو مذهب أهل السنة وبطل مذهب القدرية والجبرية كما هو مقرر في
محله فان قلت قوله ولا عذر لعاص الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر في قصته مع موسى
لما اجتمع به في عالم الارواح أو الاشباح فقال موسى أنت أبونا آدم الذي أخرجتنا من الجنة

أخرته الاعمال والمال عما
قدم الصالحون والاغنياء
كل يوم ذنوبه صاعدات
وعليها أنفاسه صعداء
ألف البطنة المبطئة السيـ
ـر بدار بها البطان بطاء
فبكى ذنبه بقسوة قلب
نهت الدمع فالبكاء مكاء
وغدا يعتب القضاء ولا عذ
ر لعاص فيما يسوق القضاء

(قوله فبكى ذنبه) قال العلامة الصاوي ثم شرع يعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية متندما عليها بقوله كل يوم الخ للحديث الصحيح الندم توبة ولقوله تعالى ان الله يحب التوابين اهـ

يحطمنك فقال له ألم تجد فى التوراة أن الله قدر ذلك على أى كتبه فى اللوح المحفوظ قبل أن أخلق بأربعين سنة ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم بعد أن أخبر بهذه القصة فحج آدم موسى أى غلبه بالحجة قلت لا ينافيه وذلك لان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفى منه مقتضاه كحد أو تعزير لمنع ذلك باحتجاجه لم يجز أيضا وان كان لا يمنع ذلك بل لمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى (قوله أوثقته) أى حبسته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الآخرة عن مقامه الكريم وقوله من الذنوب حال مقدمة على صاحبها وهو ديون أى ديون تراكمت عليه حال كونها ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده وقوله فى اقتضائها أى طلبها منه وانما شددت لان حقوق الآدميين مبنية على المشاحة والمضايقة (قوله ماله حيلة) أى طريق فى التخلص من تلك الذنوب وقوله الموثق أى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك تنحصر فى شيئين لا ثالث لهما فلذلك قال اما توسل الى الله فى خلاصه بما سبق له من عمل صالح أودعاء أى اليه تعالى أى فى أن يرضى عنه غرماءه (قوله راجيا) حال من عاص فى قوله جد لعاص أى مؤملا أملا قريبا وقوله أن تعود أعماله السوء أى أن تعود عليه متلبسة بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب وقوله وهى هباء أى والحال أن تلك الاعمال فى جنب الغفران من الله هباء أى مثله فى أنها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخل عند طلوعها أو غروبها فى كوة أى طاقة (قوله أوترى سيئاته حسنات) أى منه عليه باندراجه فى سلك الا من تاب وآمن وعمل صالحا الآية وقوله فيقال أى فبسبب استحالة السيئات حسنات يقال عند رؤيته ذلك استحالت الصهباء أى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الحلية والطهارة فشبهت السيئات بالصهباء التى هى الخمر على سبيل الاستعارة التصريحية والاستحالة ترشيح (قوله كل أمر تعنى به) على صورة المفعول فهو بضم التاء أو بفتحها مبنيا للفاعل أى تعتنى وتهتم وتلتفت اليه أنت يا رسول الله وقوله تقلب الاعيان جمع عين أى ذوات الاشياء وأجزائها بأن تتحول عن صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها وقوله وتعجب البصراء جمع بصير حسا ومعنى أى تتعجب من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهدة بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك بالفعل فى قوله رب عين الخ (قوله رب عين) هى هنا للتكثير كما قاله الجوهرى وقال بعضهم هى للتقليل لان ذلك لم يثبت الا مرة واحدة فى بئر بدار أنس وقوله تفلت أى بصقت فى مائها الملح الذى لا يساغ وقوله فأضحى أى ذلك الماء الملح أى صار وتحول وقوله وهو الفرات جملة حالية ان كانت أضحى تامة وخبرها ان كانت ناقصة على ما جوزه بعضهم من اقتران الخبر بالواو وقوله الفرات بضم الفاء أى العذب السائغ للشاربين أو كالفرات أى النهر المسمى بهذا الاسم الذى هو أحد الانهار الاربعة النازلة من الجنة وقوله الرواء الذى يحصل الرى الكامل بقليله لشاربه (قوله آه) اسم فعل مضارع كآه وآوه أى أتوجع توجع تحسر وتندم أى توجعى عظيم وتندمى زائد دائم وقوله مما جنيت أى من أجل ما جنيت واقترفت من الذنوب وقبائح العيوب وقوله ان كان يغنى ان تغنى ان كان يغنى ادا العلماء على حد وخافون ان كنتم مؤمنين وذلك لان التوجع يفيد الندم الوارد فى الحديث انه توبة أى معظمها المتكفل بما فيها وقوله من عظيم ذنب من اضافه

أوثقته من الذنوب ديون
شددت فى اقتضائها الغرماء
ماله حيلة سوى حيلة المو
ثق اما توسل أودعاء
راجيا أن تعود أعماله السو
ء بغفران الله وهى هباء
أوترى سيئاته حسنات
فيقال استحالت الصهباء
كل أمر تعنى به تقلب الاع
يان فيه وتعجب البصراء
رب عين تفلت فى مائها الملـ
ـح فأضحى وهو الفرات الرواء
آه مما جنيت ان كان يغنى
ألف من عظيم ذنب وحاء

(قوله الرواء الخ) قال العلامة الصاوى أى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربه وأحد الشاذ ذلك مما ورد أن ريقه صلى الله عليه وسلم يعذب المالح وفى حديث حسن أنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة أى وصارت بعد ذلك جميع مياهها عذبة ببركته صلى الله عليه وسلم اه

الصفة للموصوف والمراد بالالف والهاء مسماهما وهو آه أى مدلول مسماهما وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كامر ويصح أن تكون ان على حالها من الشك لا نا وان علمنا أن كلمة آه تفيد التوجع والتوبة لكن قبولها ظنى لا قطعى فصح الشك بهذا الاعتبار (قوله أرتجى الخ) لما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها ليبين أن الاهتمام بها منع من الاكتفاء عنها بالتعريض فقال أرتجى أى أؤمل من ربى لحسن ظنى به عملا بما فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا وقوله التوبة وهى الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه فان ذلك الندم لا ينفع شيئا والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها الا لغرض آخر أيضا وعزم أن لا يعود اليها ما عاش من أجل الندم عليها لا لنحو قطع ذكره مثلا والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك أدائه فورا أو باداء ما عصى بأخذه ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما أنه متى قدر على الخروج منه خرج منه والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا وتصح من ذنب دون ذنب وتصح أيضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك وقوله النصوح أى التى لا يعود من حصلت له الى الذنب أبدا الوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر وقوله وفى القلب أى والحال أنى متلبس بما قد ينافيها لان فى القلب أى فى قلبى نفاق من حيث العمل بان يظهر خلاف ما يبطن لا من حيث الاعتقاد لان ذلك كفر وقوله وفى اللسان أى وبقية الاركان رياء أى نظر الى الخلق باعتبار أن ما يصدر من تلك الاركان أو اللسان قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رفعة أوثناء من مخلوق ومع ذلك لا يترك التوبة ولا رجاء قبولها (قوله ومتى يستقيم) استفهام تعجبى واستقامة القلب بأن لا يبقى فيه نظر الى ما يحجبه عن الله من أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك بل نظره انما هو لله وحده وقوله وللجسم اعوجاج أى والحال أنى وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هى أنه حصل للجسم اعوجاج من أجل كبرنى بكسر الكاف وسكون الباء أى كبر سنى ووهن عظمى من كبر بكسر الباء أى أسن وقوله وانحناء أى لقامتى وهو من عطف الرديف أو الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء مختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر ويبعد حينئذ استقامته بخلاف أيام الشباب فان العود رطب والقلب لين فأدنى وعظ يؤثر فيه (قوله كنت) أى انما أخرت التوبة الى هذا الزمن لانى كنت فى نومة الشباب الذى تكثر فيه الغفلات وتتوالى على أهله الهفوات فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق من نومته الا بعرك قوى وقوله فما استيقظت أى من تلك الغفلة فى حال من الاحوال الا ولمتى أى والحال أن لمتى والمراد بها هنا اللحية والا فأصل معناها شعر الرأس اذا لم يجاوز شحمة الاذن وقوله شمطاء أى اختلط سوادها ببياضها (قوله وتماديت) أى وحينئذ بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر وتماديت أى طلبت أن أقتفى أى أتبع أثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العلية وقوله فطالت مسافة أى بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها وقوله واقتفاء أى لاعمالهم وأخلاقهم لانهم استغرقوا فيها أوقاتهم (قوله فورا السائرين) أى فبسبب طول المسافة التى بينى وبينهم ورائهم وقوله السائرين أى لما من السرى وهو السير فى الليل وعدل اليه عن ورائهم الذى هو مقتضى الظاهر ليبه على أنهم استغرقوا

(قوله أرتجى الخ) لما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها بقوله أرتجى التوبة أى أؤمل بحسن ظنى لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه ولقوله تعالى فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا اه صاوى

أرتجى التوبة النصوح وفى القلـ
ـب نفاق وفى اللسان رياء
ومتى يستقيم قلبى وللجسـ
ـم اعوجاج من كبرتى وانحناء
كنت فى نومة الشباب فما استيـ
ـقظت الا ولمتى شمطاء
وتماديت أقتفى أثر القو
م فطالت مسافة واقتفاء
فورا السائرين وهو أمامى
سبل وعرة وأرض عراء

حمد المدلجون غب سراهم
وكفى من تخلف الابطاء
رحلة لم يزل يفندني الصيـ
ـف اذا ام تو بتها والشتاء
يتقي حر وجهي الحر والبر
د وقد عز من لظى الاتقاء
ضقت ذرعا مما جنيت فيومي
قمطرير وليلتي درعاء
وتذكرت رحمة الله فالبشـ
ـر لوجهي أنى انتحى تلقاء
فالح الرجاء والخوف بالقلـ
ـب وللخوف والرجا احفاء

(قوله فهو عنده) قال العلامة الصاوي وهذه العندية عندية شرف ومكانة لا مكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا اه

لبلهم بالعبادة وقوله وهو أي ذلك الوراء أمامي جملة معترضة بين الخبر المقدم والمبتدا المؤخر بالتصريح بما علم من قوله أفتفي الخ وهو أنه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع أيضا وقوله سبل مبتدأ مؤخر أي طرق وقوله وعرة بفتح الواو وسكون العين أي يعسر سلوكها الان أولئك القوم كلفوا أنفسهم من الاعمال ما أوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرته على القيام بما قاموا به وقوله عراء بفتح أوله أي فضاء واسعة (قوله حمد) بكسر الميم أولئك القوم المدلجون أي السائرون من أول الليل الى آخره أو أكثره والقياس حمدوا أيضا فعدل الى الظاهر ليبين أنهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله أو أكثره وهذا القسم الثاني أفضل وأكمل لانهم رأوا ما يجدد به حمدهم مما لم يره من قبلهم وقوله غب أي عاقبة سراهم من الفوز برضا الله وقربه وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وقوله من تخلف أي عنهم في سيرهم وقوله الابطاء أي التأني في السير المفوت لادراك منازلهم وفي ذكر هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم (قوله رحلة) أي سيرهم الذي قطعوه رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات وقواطع البطالات وهذه الرحلة عز علي وتعسر أن اقفيهم فيها لاني لم يزل يفندني أي يكذبني الصيف وقوله اذا ما نوبتها ما زائدة وقوله والشتاء أي يكذبني أيضا أي اذا جاء الشتاء أنوي الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والامطار ويعسر فيه السير فاذا جاء الصيف أقول أصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسر فيه أكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وقيل أيضا مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة أما ليله فطويل للقائم وأما نهاره فقصير للصائم وقيل أيضا لم يزل عذاب من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء (قوله يتقي حر وجهي) بضم الحاء وتشديد الراء المضمومة وهو ما يبدو من الوجه وقوله الحر والبرد أي باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة في الشتاء والصيف كما أن ما في البيت السابق كذلك وقوله وقد عز أي والحال أنه قد عز أي صعب علي من لظى أي جهنم متعلق بقوله الاتقاء لاني متلبس بما يؤول بي اليها الا أن يتغمدني الله برحمته (قوله ضقت ذرعا) بالمعجمة وقوله مما جنيت أي من أجل الذي جنيته أو من أجل جنايتي فما موصولة أو مصدرية ومعنى ضقت ضعفت قوتي وطاقتي عن أن أتحمل وزره أي وزر الذي جنيته ولم أجد من يخلصني من ثقله وقوله فيومي قمطرير أي شديد وقوله وليلتي درعاء بالمهملة أي مظلمة وهذا كناية عن شدة ما لقيتها وأصل الدرعاء التي يطلع قمرها عند الفجر ومراده أن ذلك الضيق ملازم له ليلا ونهارا لا ينفك عنه في واحد منهما (قوله وتذكرت) أي ولكن خفف عني أني تذكرت رحمة الله أي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وأنها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي أي ان مظاهر رحمتي غلبت مظاهر الغضب يعني أن العباد المرحومين أكثر من المغضوب عليهم وليس المراد أن الرحمة سبقها سابقة على الغضب لان ارادة الله لا أسبقية فيها وقوله فالبشر أي فبسبب ذلك البشر أي الفرح والسرور وهذا مبتدأ خبره قوله تلقاء وقوله لوجهي متعلق به أي بالخبر وقوله أنى انتحى أي في أي مكان أنتحي أي أقصد وأتوجه أي فالبشر مقابل لوجهي في أي مكان توجهت اليه لاني مستشعر بسعة الرحمة ومعول عليها (قوله فالح) أي فبسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف وتذكري لسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء

الخ

صاح لا تأس ان ضعفت عن الطا
عة واستأثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة وأحق النـ
ـاس منه بالرحمة الضعفاء
فابق في العرج عند منقلب الذو
د ففي العود تسبق العرجاء
لا تقل حاسدا لغيرك هذا
اثمرت نخله وحظي عفاء

(قوله سبقوا بها الاقوياء) وفي الحديث القدسي أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي أي لان مطلوبهم رضائي ومعتقدهم أن لا عمل لهم وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب أي لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار اه صاوي

الخ أي أقام الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد سواء كما هو الراجح عند أئمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله وردهما أنهما اذا استويا أمنت غلبة أحدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منها المحذور الذي في مقابله أما المريض فيغلب الرجاء لحديث لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله أي يظن أنه يغفر له ويرحمه وقوله وللخوف والرجا أي اذا تواردا على القلب احتفاء أي استقصاء ومنازعة ومصادمة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر للنفس لا يطاقان لان من لوازمه الكف عن كل محرم ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وأن الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم أن كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد علمت أن الاولى للصحيح أن يستوي عنده المقتضيان ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس صاح الخ (قوله صاح) أي يا صاحبي وفيه تجريد اذ الاصل يا نفس فجرد منها شخصا وخاطبه وقوله لا تأس أي لا تيأس من رحمة الله تعالى أيس من الشيء ويئس منه اذا لم يبق له طمع وقوله عن الطاعة أي عن الاكثار منها وليس المراد عنها بالكلية لان تركها رأسا والاتكال على عفو الله غرور أي ان ضعفت عن الدأب في الطاعة والمواظبة عليها لضعف همتك وغلبة بطالتها وايثارك الراحة وقوله واستأثرت أي انفردت بها أي بكثرتها الاقوياء أي أهل الهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها وصارت عندها من الذ مألوفاتها وأعظم مشتهياتها (قوله ان لله) ان وان كانت مكسورة لكن فيها شائبة تعليل للنهي السابق وقوله رحمة أي عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف والشريف والوضيع وقوله منه متعلق بقوله بالرحمة وقوله الضعفاء أي الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون بأحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله في عبادتهم فهم أقوى نية في العبادة وأبعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء (قوله فابق في العرج) أي فبسبب الاحقية المذكورة ابق أيها العاقل الضعيف عملا في العرج أي في الضعفاء المشبهين بالعرج جمع أعرج وهو من برجله داء يمنعه من استقامة المشي وقوله عند منقلب الذود أي توجهه بأمر صاحبه وارساله الى جهة من الجهات والذود جماعة الابل من الثلاثة الى العشرة وقوله ففي العود تسبق العرجاء أي الى صاحبها لتفوز منه بأمولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات أوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يحصل لك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف تأخرك بخلاف المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا واعلم أنه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي أفاده أن المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي يصحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا يتنزل على هذا (قوله لا تقل) أي اذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حاسدا أي حال كونك حاسدا لغيرك الذي أكثر من الطاعة والمراد بالحسد هنا حقيقته الشرعية وهي

تمنى زوال نعمة الغير أى لا تقل ما سبا فى حال كونك متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه وقوله هذا
أى القوى فى الطاعة وقوله أثمرت نخله أى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة
وذكر الاثمار ترشيح وقوله ونخلى أى أعمالى عفاء بفتح العين أى كالتراب لا ثمرة لها بسبب
ضعفى ولا يعتد بها ووجه النهى فى النظم أنك لو قلت ماذكره مع الحسد تعترض على الحكيم فى
فعله وتخصيصه لكل ما أراد وخرج بقوله حاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد
الممدوح المسمى بالغبطة وهو أن تتمنى أن يكون لك مثل ما للغير مع بقاء نعمه بحالها وهذا
مطلوب كما فى الحديث لا حسد الا فى اثنتين (قوله وأت) أى واحذر أن تتكل على رجائك فقط
من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع العمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع
رجائك اجتهد وأت بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله
فقد يسقط أى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص أو انكسار كما أنه قد
يسقط الثمار الكثيرة النفيسة الاناء بفتح الهمزة والفوقية والمد وهو صغار النخل كما قاله
الجوهرى وهو قد يثمر ثمرا كثيرا جيدا اذا خلصت أرضه وزاد ريه وخصبه ولا يسقط ذلك
الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى
قوته ونفسه فتلخص أن الاناء بالكسر اسم لثمر النخل والشجر وقد تقدم بهذا المعنى آنفا
وأن الاناء بالفتح اسم لصغار النخل وهذا هو المراد هنا فسقط ما أطال به الشارح (قوله
ويحب النبى) متعلق بقوله فابغ رضا الله أى اطلب رضا الله امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله الآية وقوله فى حبه أى من الله المنعم بما لا يحصى وقوله والحباء بفتح الحاء
والمد أى العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية والأخروية كالتوفيق للأعمال الصالحة
والفوز بالمقامات العلية (قوله يا نبى الهدى الخ) فى هذا رجوع لما سبق من الضراعة واظهار
المسكنة وقوله الهدى أى الدلالة الموصلة بالنسبة لخصوص المؤمنين ومنه انك لا تهدى من
أحببت ومطلق الدلالة بالنسبة لمطلق المكلفين ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله
استغاثة بالنصب مفعول مطلق أى استغثت بك استغاثة أى ناديتك نداء فالاستغاثة نداء
من يخلص من شدة أو يخففها وقوله ملهوف أى مضطر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه
وقوله الحوباء بفتح الحاء وسكون الواو والمد أى مسكنة ذنوبه وضعف همته (قوله يدعى الحب)
هذا فى المعنى تعليل لقوله أضرت بحاله الحوباء أى يدعى الحب لله ولرسوله وقوله وهو يأمر
بالسوء أى والحال أنه يصدر عنه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال يأمر نفسه وغيره
بالسوء أى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل ولهذا أشار
الى غيبه أن يصدق فى دعواه محبتهما فقال ومن لى من استفهامية أى من الذى يتكفل لى
وكان الظاهر أن يقول له ففيه التفات من الغيبة الى التكلم وقوله أن تصدق الرغباء أى
رغبتى وعزمى فى الرجوع الى الله بالتوبة والعمل الصالح (قوله أى حب يصح منه) فيه
التفات من التكلم الى الغيبة وقوله وطرفى حال فيه التفات عكس ما قبله وقوله للكرى
أى النوم وقوله واصل أى متصل لا ينفك عنه النوم وليس هذا شأن المحب وقوله وطيفك
أى خيالك راء أى محتجب عنى كما احتجبت الراء عن واصل بن عطاء الرجل المشهور لانه هجرها
فلم يتكلم بكلمة فيها راء قط لعجزه عنها بل بمرادفها أو مقاربها خشية أن يعير بلثغته بالراء
فصار هجرا الشئ المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا

وأت بالمستطاع من عمل البر ... فقد يسقط الثمار الاناء
ويحب النبى فابغ رضا الله ... فى حبه الرضا والحباء
يا نبى الهدى استغاثة ملهو ... ف أضرت بحاله الحوباء
يدعى الحب وهو يأمر بالسو ... ء ومن لى أن تصدق الرغباء
أى حب يصح منه وطرفى ... للكرى واصل وطيفك راء

(قوله يا نبى الهدى الخ) قال العلامة الصاوى أى الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء اهـ

بالنظر للكرى اسم فاعل أى مواصل للكرى أى النوم أى مديم له وبالنظر للراء اسم علم
وتلميح لانه أشار الى قصة واصل وفيه الاستفهام الانكارى أى كيف تصدق محبتى وأنا
مواصل للكسل والنوم سلمنا أن مواصلة النوم لا تنافى المحبة لانها أمر وجدانى فكيف
توجد مع عدم خطور خيال المحبوب بالضمير لا فى اليقظة ولا فى النوم وهذا ينافى المحبة كما هو
محسوس لاستلزامها أن طيف المحبوب لا يغيب عن خيال المحب نوما ولا يقظة ثم قد يتخلف
هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه فى أن فقد خطور الطيف هل هو لذلك أو لغيره فقال
ليت شعرى الخ (قوله ليت شعرى) أى علمى أى ليتنى علمت أذاك أى عدم خطور طيفه
بقلبى وقوله من عظم ذنب أى من أجل عظم ذنب وقع منى وهو ظاهر والعظم أكثر الشئ
أى من أجل كثرة ذنب وقوله المتيمين أى المحبين وقوله حظاء بضم الحاء وكسرها جمع حظوة
كذلك وهى المكانة والرتبة أى انصباؤهم الى المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من
غير كثرة عمل وبعضهم لا يحظى به الا بعد كثرة العمل (قوله ان يكن عظم زلتى) أى التى
ارتكبتها وفى نسخة ذنبى وقوله حجب رؤياك خبر يكن فيقدر مع اسمها مضاف ليصح الاخبار
أى ان يكن جزاء عظم ذنبى حجب رؤياك أى رؤيا طيفك عنى فى النوم وقوله فقد عز داء قلبى
أى لداء قلبى فداء منصوب على نزع الخافض وقوله الدواء فاعل عز أى قل بل عدم الدواء
الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء لانه لا يوجد الا من جنابك وهذا التردد فى وجود المحبة
انما هو لمزيد الخوف وأن الانسان لا يأمن المؤاخذة بذنبه وان كان محبا الا أن زوال محبته بل
هى باقية ورجاؤه فى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة وحينئذ كيف يصدا الخ
(قوله كيف يصدا) أى يسود بالذنب أى بسبب الذنب الذى ارتكبه ذلك المحب وقوله
وله أى والحال أن له الخ وذكرك مبتدأ والجميل نعت له وجلاء خبره وله متعلق بجلاء
مقدم عليه وقوله ذكرك مضاف للمفعول أى ذكره لك بالصلاة والتسليم عليك
وسؤال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه ويصح أن يكون مضافا للفاعل أى وذكرك له
وقوله جلاء أى للصدا والمراد أنه يمنعه بالكلية لان ذاكره صلى الله عليه وسلم لا يصدأ
قلبه (قوله هذه علتى) لما غلب على ظنه ما أشار الى التردد فيه بقوله ان يكن الخ من
أن سبب حجب الرؤية عنه عظم ذنبه صرخ كما يصرخ من وجد آخذ ماله أو قاتل أبيه
بعد يأسه منه فقال هذه علتى التى أنحلت جسمى وأدهشت قلبى لا غيرها وقوله وأنت أى
والحال أنك أنت طبيبى العالم بها الماهر فى ازالتها وقوله ليس يخفى عليك الخ أى وأنت
لا أحد من الخلق أكرم ولا أحلم منك فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء من وصمة جميع
ما هنا لك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب (قوله ومن الفوز الخ) أى وانما رفعت البك
قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان من الفوز أى النجاة والظفر لمثلى
بجميع المطلوب أن أبث من بث وأبث نشر وأظهر وقوله شكوى هى الاخبار عن النفس
أو الغير بسوء فعله وقوله هى شكوى اليك أى لكن هذه انما هى شكوى منى لنفسى
اليك لا الى غيرك أى أنشر وأظهر بين يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد أن يهلكنى من عظيم
ذنوبى وقبيح عيوبى رجاء أن تغمنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان
رجائى فيك واسع وقوله وهى أى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المدح اقتضاء أى
أطلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع أن أتخلص من تلك المرطات وأنجو من هذه

(قوله واصل) وهو رئيس المعتزلة ففى النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح لانه أشار الى قصة واصل وفيه الاستفهام الانكارى أى كيف تصدق محبتى وأنا مواصل للكسل والنوم اهـ صاوى

ليت شعرى أذاك من عظم ذنب ... أم حظوظ المتيمين حظاء
ان يكن عظم زلتى حجب رؤيا ... ك فقد عز داء قلبى الدواء
كيف يصدا بالذنب قلب محب ... وله ذكرك الجميل جلاء
هذه علتى وأنت طبيبى ... ليس يخفى عليك فى القلب داء
ومن الفوز أن أبثك شكوى ... هى شكوى اليك وهى اقتضاء

العثرات وأن يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب (قوله ضمنتها) بالبناء للمفعول والهاء عائدة على الشكوى وقوله مدائح نائب الفاعل أى ضمنت تلك المدائح الشكوى الخ أى جعلت الشكوى فى ضمن المدائح فقوله مدائح جمع مدحة أى لجنابك أى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح وقوله مستطاب بالرفع صفة مدائح وقوله قبلك منها أى من تلك الشكوى وهذان الظرفان متعلقان بما قبلهما أو بعدهما ومن تبعيضية وقوله المديح أى لك وقوله والاصغاء أى من سامعيها أى سامعى تلك المدائح لان أوصافك زينتها ومن استطابة ذلك المديح أن الله يسره لى فى هذه القصيدة البديعة ببركة التجائى اليك (قوله فلما حاولت) أى تلك الشكوى هكذا قرره الشارح وفيه شئ لانه يقتضى أن الشكوى هى المقصودة بالذات مع أنه فيما سبق جعلها متضمنة للمدح أى فى ضمنه فالاولى ارجاع الضمير على القصيدة المعلومة من السياق ولواحق كلامه تدل على هذا ويكون الاسناد على هذا مجازيا وكذا يقال فى قوله الا ساعدتها وقوله ميم ودال وحاء أى مسمى هذه الاسماء وهو مدح أى ما توقف على معنى فوجهت همتى الى أحسن منه الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى وتساعدنى عليه فتأتى قريحتى منه لما هو أبدع وأبلغ وما فى قل مصدرية فالمعنى قلت محاولتها مدحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة أما فى تلك الحالة فانها لا تقل بل تكثر وعلى هذا يلزم وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى أو شبهه وهو النهى أو الاستفهام وهو ممنوع عند أكثر النحاة وحينئذ فيتعين تأويل النظم بأن يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وما نافية والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير قل أن يستصعب على ما أردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدنى مدحك على أكمل ما ينبغى ولاجل هذه المساعدة المسهلة على ما أردته من أعلى أنواع البلاغة حق لى قبلك الخ (قوله حق) بفتح الحاء وضمها أى ثبت واستقر وقوله قبلك أى فى مدحك وقوله قوما وهم الشعراء الذين مدحوك ومعنى أساجلهم أفاخرهم وأغالبهم فأقول ما صنعته خير مما صنعتموه وأبين لهم ذلك حتى يذعنوا لى فيه وحينئذ أفوز منك بابلغ ما فاز وا به والمساجلة تنازع المستقين على بئر بدلاء مختلفة ليريد كل منهم أن يظفر بملء دلوه قبل غيره شبه بهم المادحون فى تنازعهم وادعاء كل أن مدحه خير من مدح غيره فهى استعارة بالكناية واثبات المساجلة تخييل والدلو ترشيح (قوله ان لى غيرة الخ) هذا اشارة الى علة أخرى لتميزه عليهم وتسليمهم له والغيرة بالفتح أى حمية توجب لى أن لا أحب غيرى يسبقنى فى مدحك وقوله وقد أى والحال أنى قد زاحمنى أى ضيقت على فى معانى ألفاظ مدحك الشعراء وأرادوا أن يسبقونى فيه (قوله ولقلبى قبلك الخ) حال من الياء فى زاحمنى وقوله قبلك أى فى مدحك وقوله الغلو أى مجاوزة الحد وقوله وأنى للسانى أى وأنى يكون للسانى فى مدحك الغلواء أى الاسراع والتقدم عليهم لولا اسعافك وامدادك لى بما يميزنى عليهم وأنى استفهامية بمعنى كيف أو بمعنى من أين ويصح كسر ان أى وانى فالياء اسمها لكن الاول أبلغ وأظهر (قوله فانب) أى فبسبب صدق محبتى وشدة رغبتى أنب خاطرا أى قلبا بان تمده بما يتفوق به على مزاحميه ومسابقيه فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة وقوله بلذة بفتح اللام أى بلذة مدحك لذة تحمله على أن يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وقوله علما مفعول لاجله

ضمنتها مدائح مستطاب
قبلك منها المديح والاصغاء
فلما حاولت مدحك الا
ساعدتها ميم ودال وحاء
حق لى فيك ان أساجل قوما
سلمت منهم لدلوى الدلاء
ان لى غيرة وقد زاحمتنى
فى معانى مديحك الشعراء
ولقلبى فيك الغلو وأنى
للسانى فى مدحك الغلواء
فأنب خاطرا بلذة مد
حك علما بأنه اللألاء

(قوله أى مجاوزة الحد) عبارة العلامة الصاوى والغلو الاسراع وقوله فأنب خاطرى أى فرحنى على هذا المدح البديع بان تمدها بما تفوق به جميع مزاحميها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود ما جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبى بلذة مدحك لذة تحمله على أن يبذل وسعه فاخترع ما لم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه انتهت

أى لاجل علمه بانه أى مدحك اللألاء أى المضىء والمشرق فى قلوب المادحين حتى تأتى فى مدحك بالمعانى البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لى فى هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها أنه حالك من صنعة القريض (قوله حالك) أى من تلك الامور التى تميز بها هذا النظم على غيره أنه حالك أى نسج ذلك الخاطر فيه وقوله القريض أى الشعر وقوله برود جمع برد وهو نوع من أنواع الثياب اليمانية فيه زينة وقوله لك متعلق بحالك وقوله لم تحك أى لم تشبه وقوله وشيها أى نقشها بالالوان المختلفة وقوله صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشى (قوله أعجز الدر) أى ومن تلك الامور أنه أعجز الدر أى اللؤلؤ الابيض وقوله نظمه أى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه وقوله فيه أى فى العجز عنه وقوله البدان أى القريحتان وقوله الصناع بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة أى الحاذقة الماهرة وقوله والخرقاء أى الغبية (قوله فارضه) أى فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره ارضه أى اقبله بأخير من أمله المادحون ورجاه العارفون وتجاوز عما فيه وقوله أفصح منادى أى يا أفصح امرئ نطق الضاد منصوب على نزع الخافض أى بالضاد أى يا أفصح العرب وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان أحسنوه لكنهم يتفاوتون فيه وكلهم لم يصل أحد منهم الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى تأديتها وقوله فقامت أى فبسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذرها بتة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد قامت فاعله الظاء وقوله تغار منها جملة حالية وسبب الغيرة أن الضاد تميزت عليها بتلك المزية العلية فارادت الظاء أن يحصل لها مرتبة مثلها فلم تحصل فقامت تغار (قوله أبذكر الآيات الخ) أى ان طلبى من كرمك يا أكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها فى مدحك بل للطمع فى سعة حلمك وجودك وقوله أبذكر الآيات أى فى هذا النظم أى الخصائص والمعجزات الدالة على وصولك الى ما لم يصل اليه مخلوق والاستفهام انكارى أى لا يمكن ذلك الا من أحاط بمقامك وقوله أين منى أى أين منى الوفاء بذلك والاستفهام أيضا انكارى وقوله وأين منها الوفاء أى بذلك فهو راجع لكل منهما (قوله أم أمارى) أى أجادل بهن أى بذكرى لهن أى لتلك الآيات قوم نبى هو محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بقومه المادحون لجنابه أى لم أذكر تلك الآيات بقصد أن أوفى بها حقه ولا بقصد أن أجادل بها مادحيه ومن ظن بى واحدا منهما فهو غبى لا يفهم ولا يعقل شيأ وقوله الاغبياء أى لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه (قوله ولك الامة) استئناف أو معطوف على محذوف أى لك الآيات التى لا تحصى ولك الامة التى هى خير الامم وقوله غبطتها من الغبطة وهى تمنى مثل نعمة الغير من غير زوالها عنه وقوله لما أتيتها أى حين أرسلت اليها وقوله الانبياء أى فانهم وان كانوا من أمتك لكنهم ودوا أن يكونوا من أتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك أمتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك وكان الظاهر أن يقول غبطتك بها الانبياء لانهم تمنوا أن يكون لهم أمة مثل أمته لكنه ارتكب أحد أنواع البديع الذى هو القلب فى النظم القلب وتقديره غبطتك بها كما تقدم (قوله

حالك من صنعة القريض برودا
لك لم تحك وشيها صنعاء
أعجز الدر نظمه فاستوت فيـ
ـه البدان الصناع والخرقاء
فارضه أفصح امرئ نطق الضا
د فقامت تغار منها الظاء
أبذكر الآيات أوفيك مدحا
أين منى وأين منها الوفاء
أم أمارى بهن قوم نبى
ساء ما ظنه بى الاغبياء
ولك الامة التى غبطتها
بك لما أتيتها الانبياء

(قوله فقامت تغار منها الظاء) قال العلامة الصاوى أى فبسبب اختصاص الضاد بتعذر النطق على غير العرب وتعذر بتة على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد من اختصاصه بها دون غيره غارت منها وتمنت أن تكون مثلها اه

(قوله أى علماء العقائد الخ) عبارة العلامة الصاوى فالمراد بالعلماء أهل السنة والجماعة وهم أتباع أبى الحسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى رضى الله عنهما الماورد فى الاحاديث الصحيحة لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك أى هؤلاء هم أهل العلوم الشرعية والائمة من أهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة وضلالة دينية وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء أى ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وفى رواية يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر انتهت

لم نخف بعدك الضلال وفينا وارثو نور هديك العلماء

فانقضت آى الانبياء وآيا تك فى الناس مالهن انقضاء

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الاولياء

ان من معجزاتك العجز عن وصـ فك اذ لا يحده الاحصاء

كيف يستوعب الكلام سجايا ك وهل تنزح البحار الركاء

ليس من غاية لوصفك أبغيـ ـها وللقول غاية وانتهاء

انما فضلك الزمان وآيا تك فيما نعده الآناء

لم أطل فى تعداد مدحك نطقى ومرادى بذلك استقصاء

لم نخف بعدك الضلال) أى عما كنا عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التى لا يزيغ عنها الا هالك وهذا على نسخة نخف بالنون وفى نسخة لم تخف أى الامة ويؤيد الاولى قوله وفينا أى والحال ان فينا أعلام الهدى وهم وارثو نور هديك أى ما كنت عليه أنت وأصحابك وقوله العلماء خبر مبتدأ محذوف أى علماء العقائد كأبى الحسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى وعلماء الفروع كالائمة الاربعة وعلماء التصوف كالغزالى وأضرابه (قوله فانقضت) أى فبسبب أن فى أمتك وارثى هديك انقضت آى الانبياء بالمد جمع آية أى معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وآياتك أى معجزاتك فى الناس مالهن انقضاء اذ فى كل حين يقع لخواص أمتك من خوارق العادات مايدل على تعظيم قدرك الكريم مما لا يحصى (قوله والكرامات منهم) أى الواقعة منهم أى من الناس وقوله معجزات أى لان كلا منهما أمر خارق للعادة وانما يفترقان فى التحدى وعدمه لكنها فى الحقيقة معجزات لك وقوله من نوالك أى ميراثك أى ورثوها منك وفى نسخة من نوالك أى عطائك وكرمك وقوله الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ولا عن نهيهما أو بمعنى مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزايا هداه وكرمه وضابط الولى أنه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات (قوله ان من معجزاتك) هذا تأكيد لقوله مالهن انقضاء وقوله العجز أى من سائر الناس وقوله عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم أى عن الاحاطة بكل فرد من أوصافك التى اختصك الله بها وقوله اذ لا يحده أى الوصف المذكور واذ تعليلية وقوله الاحصاء أى العد (قوله كيف يستوعب الكلام) أى الصادر من واصفك وقوله سجاياك أى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة أقصى الكمال التى لا حد لها باعتبار أنك لاتزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى ما لا نهاية له وقوله وهل تنزح البحار أى المشبهة أوصافك بها فى أن تلك قيام الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله فى امداده وقوله الركاء أى المشبهة بها الالفاظ فى أن كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح ان أوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من أول الزمان الى آخره لاتعد ولا تحصى (قوله ليس من غاية) من زائدة وقوله لوصفك أى لاوصافك وخبر ليس محذوف تقديره توجد أو موجودة وقوله أبغيها أى أطلبها لما تقرر أن ذلك الترقى لا نهاية له فلا مطمع فى الاطلاع عليه وقوله وللقول أى منى بل ومن كل مادح غاية وانتهاء من عطف المساوى فهو تأكيد (قوله انما فضلك) أى انما فضائلك الزمان أى كالزمان فالكلام على حذف أداة التشبيه وهذا التشبيه من حيث الاجمال فى كل من المشبه والمشبه به وأشار الى تشبيه آخر من حيث التفصيل فيهما بقوله وآياتك الآناء من حيث ان جزئيات كل منهما كجزئيات الآخر فى عدم احصاء كل فقوله وآياتك أى معجزاتك وخصائصك وقوله فيما نعده أى فيما نحسبه ونضبطه وقوله الآناء أى كالآناء أى كالازمان والساعات واللحظات فكما أن هذه لا تحد فكذلك تلك والآناء بالمد جمع انا كمعى وأمعاء ومعناه الساعة والوقت كما عرفت ويقال فيه أيضا آن بمد الهمزة (قوله لم أطل الخ) أى لا تظن انى باطالتى فى هذه القصيدة تعداد أوصافه صلى الله عليه وسلم أخالف ما قدمته أنها لا تعد لانى لم

غير انى ظمآن وجد ومالى بقليل من الورود ارتواء

فسلام عليك تترا من الـلـه وتبقى به لك البأواء

وسلام عليك منك فما غيـ رك منه لك السلام كفاء

وسلام من كل ما خلق اللـه لتحيا بذكرك الاملاء

وصلاة كالمسك تحمله منـ ـى شمال اليك أو نكباء

أطل الخ وقوله ومرادى أى والحال أن مرادى بذلك استقصاء أى حصر لاوصافه واستيعاب لها وانما مرادى بتلك الاطالة برد الغليل وشفاء العليل كما أفاده قوله المشتمل على أداة الاستثناء المنقطع الذى هو قوله غير أنى الخ (قوله غير انى الخ) أى غير أنى لم أرد الحصر والاستيعاب لكنى ظمآن وجد أى بى من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والعطش للارتواء من سماعها وقوله ومالى بقليل أى وليس يحصل لى بقليل من الورود والورود اتيان الماء للاستقاء والمراد هنا نفس الماء الذى يورد أى وليس لى ارتواء بقليل من أجل ما بى من شدة العطش فاطالتى لطلب مزيد الارتواء لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة من حيث تشبيه شغفه وتولعه بتعداد الآيات وذكر الصفات بظمأ وعطش شديد لا يزيله الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء (قوله فسلام) أى فبسبب حصول الارتواء من تلك الاطالة أختمها بما هو المتعين على من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فأقول سلام أى عظيم شريف أى زيادة تكريم وطيب تحية واعظام وقوله تترا أى يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى القاموس ترى يترى كرمى يرمى تراخى وأترى عمل أعمالا متواترة بين كل عملين فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم تترا هنا مرادا به ماذكر الا أن يجاب بأنه أراد به أصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا كثرة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ما هو أخص أو أعم منه للضرورة مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص أو العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله وقوله وتبقى به أى بسببه على مر الازمنة وقوله البأواء بفتح الباء الموحدة ثم الهمزة الساكنة أى الفخر لان تسليم أمتك عليك مع التكرار والدوام زيادة فى شرفك وفخرك (قوله وسلام عليك منك) انما قدم السلام من الله مبادرة الى أشرفيته وسلامه على نفسه تابع لانه فى الحقيقة لا يكافئه سلام مخلوق غير سلامه على نفسه وقوله فما غيرك أى فليس غيرك من المخلوقين وقوله منه متعلق بالسلام الواقع مبتدأ وقوله لك متعلق بكفاء الواقع خبرا والجملة فى محل نصب خبر ما ان كانت حجازية وخبر عن غيرك ان كانت تميمية وقوله كفاء أى مكافئ لحضرتك من المكافأة وهى المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بقضا ثناك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل أحد السلام عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال وسلام عليك الخ (قوله وسلام من كل ما خلق الله) من ناطق وغيره وفى نسخة من خلق الله وفى الاولى تغليب غير العاقل لكثرته وفى الثانية تغليب العاقل لشرفه وقوله لتحيا بذكرك تعليل للعموم فى كلامه أى وانما جئت بهذا العموم لتحيا بذكرك الاملاء جمع ملأ وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سائر وجوه السلامة والشرف والتعظيم وقد ذكروا فى آداب الزيارة أن الزائر يطلب منه فى أول قدومه السلام عليه صلى الله عليه وسلم وتكريره وأنه فى تلك الحالة آكد من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فلذا آثره الناظم أولا لانه فى مقام الزيارة بجسمه وقلبه أو بقلبه فقط (قوله وصلاة) وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم أى وصلاة من الله ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام وقوله كالمسك أى فى الطيب والنفع البالغ وقوله تحمله أى ذلك المسك وقوله شمال بفتح الشين

(قوله أى وليس يحصل لى بقليل الخ) لأن البحار بها قيام الوجود الحسى وأوصافه بها قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكونين والخليفة الاكبر عن الله تعالى فى امداده اه صاوى

وهى التى تهب من جهة القطب الى المغرب أى تحمله البلى لينعطر الوجود بعبيره وقوله
أو نكباء وهى الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الاذيب وهى التى تهب
من سهيل الى المغرب والدبور وهى التى تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر
الكعبة (قوله وسلام على ضريح) أى قبرك المكرم ولكون المراد من الضريح هنا
البقعة التى ضمت أعضاءه الشريفة لم يكن فى افراد السلام هنا كراهة لانه غير السلام عليه
الذى ضم اليه الصلاة فيما مر أى فالسلام المتقدم كان على الحضرة المشرفة فلذا ضم اليه
الصلاة وأما السلام هنا فهو على البقعة المشرفة وهى لا يصلى عليها وانما يسلم عليها فلذلك
أفرد السلام عليها عن الصلاة وقوله تخضل بمعجمتين أى تبتل وقوله منه أى القبر
وقوله وعساء أى لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد على سبيل
الكناية وخيل لها بذكر تخضل (قوله وثناء الخ) ليس المراد منه الطلب كالصلاة والسلام
السابقين بل المراد الاخبار بأن ثناءه عليه الذى قدمه فى هذه القصيدة قام مقام التصدق
الذى ينبغى تقديمه على مناجاة الرسول فقوله بين يدى نجواى أى سؤالى منك بلوغ المأمول
الواقع فى هذه القصيدة بقولى جد لعاص الخ وفى غيرها وقوله اذ لم يكن اذ تعليلية أى
لاجل أنه لم يكن لدىّ أى عندى ثراء بفتح المثلثة أى مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا
ناجيتم الرسول الآية وكان هذا الامر للوجوب ثم نسخ بقوله أأشفقتم الآية ولا يلزم
من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقدم بين
يدى زيارته صدقة والناظم اعتذر بأنه لا مال له يقدمه على سؤاله فجعل حسن توسله
وثنائه بدل المال الذى يتصدق به (قوله ما أقام) ما مصدرية ظرفية وقوله الصلاة أى
اللغوية أو الشرعية وأبد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على أنا لا نسلم انقطاعه لان
أهل الجنة يدعون ربهم ويتعبدون تلذذا لا تكليفا كما جاء فى الحديث وقوله وقامت أى وما
قامت أى بقيت وثبتت على أبلغ نظام وأتقن احكام وقوله بها أى بايجاده وامداده وقوله
الاشياء أى الموجودات فى الدنيا والآخرة وأبدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما
مر وللتبرك بذكر المتعبد بن آخر كلامه وبالثانى الذى لا ينقطع بدوام نعيم الجنة وعذاب النار
ليجمع بين شرف الاول ودوام الثانى مع الاشارة بالختم بذكر الرب الى استفتاح أبواب تربيته
واستمناح موانح لطفه وهدايته جعلنا الله ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه وآمننا
من كل فتنة ومحنة انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على أفضل
خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون
وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ورضى الله عن التابعين وعن تابعيهم باحسان الى يوم
الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ووافق الفراغ من جمع هذه الحواشى
قبيل العصر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة
ألف ومائة وثمانية وثمانين تجاه القطب البدوى أمدنا
الله تعالى من مدده وأعاد علينا من
نفحاته وعلى المسلمين
أجمعين

م

وسلام على ضريحك تخضل
ل به منه تربة وعساء
وثناء قدمت بين يدى نجـ
ـواى اذ لم يكن لدىّ ثراء
ما أقام الصلاة من عبد الله
وقامت بربها الاشياء

(تتمة تشتمل على بعض فضائل
أمته صلى الله عليه وسلم) منها
ما ورد عن أبى نعيم أن موسى
عليه الصلاة والسلام لما
رأى مدح هذه الامة فى
التوراة قال يارب فاجعلنى من
أمة محمد قال ياموسى انى
اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى الآية فقال رضيت
يارب وفى رواية أنه سأل ربه
هل فى الامم أكرم عليك من
أمتى فبين أن فضل أمة محمد
على سائر أمم الانبياء كفضله
تعالى على سائر خلقه ومنها أن
لا أحد يدخل الجنة قبلهم
ومنها الوضوء على الكيفية
المخصوصة واباحة الغنائم
ومجموع الصلوات الخمس
والركوع وصفوفهم
كصفوف الملائكة والجمعة
وساعة الاجابة يومها وليلة
القدر التى هى خير من ألف
شهر ورمضان اهـ صاوى
باختصار

(بسم

•(بسم الله الرحمن الرحيم)•

حمدا لمن عم للمادحين مناهم فنالوا بذلك أكمل المقصود وكلهم بالنظر لصاحب الشفاعة
والمقام المحمود والحوض المورود وصلاة وسلاما على من هو بالمؤمنين رؤف رحيم الذى
اثنى عليه ربه بقوله وانك لعلى خلق عظيم وعلى آله وأصحابه الذين شاهدوا من سنىّ صفاته
وباهر معجزاته ما يبهر العقول وعلى سائر مداحه الناشرين لذلك بتواتر الاخبار وصحيح
النقول (أما بعد) فيقول المرتجى شفاعة النبى العربى الفقير اليه تعالى أحمد المكتبى قد
تم طبع حاشية الامام الكامل والهمام الفاضل الشيخ سليمان الجمل على القصيدة
الهمزية لامام الشعراء وأفصح البلغاء الشيخ شرف الدين البوصيرى عمهما الله تعالى
بالرضوان وأسكنهما أعلى فراديس الجنان وبهامشها المتن المذكور وتقريرات من شرح
العلامة الصاوى وشرح الامام ابن حجر وحاشية المحقق الحفنى عليه وذلك بالمطبعة
الجديدة المسماة بالخيرية المنشأة فى حوش عطى بجمالية مصر المعزية ذات الادوات
الزاهية الفائقة والحروف البديعة الشكل المتناسقة على ذمة الفاضلين
صاحبى المطبعة المذكورة عالى الجناب حضرة السيد محمد عبد الواحد
الطوبى وحضرة السيد عمر حسين الخشاب كان الله لهما
عونا وذخرا وأعلى لهما فى الخافقين ذكرا وكان
تمام طبعه غرة رمضان المكرم سنة
١٣٠٣ من هجرة النبى
صلى الله عليه
وسلم